



سنة ١٤٢٨
حاضر بختل
بأرمادة

قسيمة المسابقة داخل العدد

المنهل

AL MANHAL

مجلة شهرية للأدب والفنون والثقافة

اليوم الوطني.. وتجسيد القيادة

تاريخ.. وموافقات في رمضان

د. عمارة المنهل:

■ الهيمنة الغربية تصنع أمراضنا

■ تحرير المرأة بالإسلام

وليس تحريرها من الإسلام

د. يوسف عز الدين:

■ يروي ذكريات لم تنشر من قبل عن.. (الأخطل - شوقي - الرصافي)

لغة المعاملات.. والإنحدار اللغوي

يسر الإسلام ورحمته في فرض الصيام

العدد (١٠٨) الجديد (٢٩) العام (١٣٧) رمضان / شوال ١٤٢٨ هـ - سبتمبر / أكتوبر ٢٠٠٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم



عنوان المجلة

المنهل

مجلة للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية

السعودية - جدة

عن حارة المنهل

للسباهة والنشر المحدودة

أسسها المغفور له - بإذن الله -

عبد القدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م



ملكها ورأس تحريرها

المغفور له - بإذن الله -

نبيه عبد القدوس الأنصاري

من العام ١٤٠٣ هـ / حتى ١٤٢٤ هـ



ترسل جميع المراسلات إلى جدة
على العنوان التالي:

المركز الرئيسي

جدة الشرقية صرب ٢٩٢٥

رمز بريدي ٢١٤٦١

ناسوخ: ٠٢/٦٤٢٨٨٥٣

هاتف: ٦٤٢٩٧٦٥ - ٦٤٢٨٧٣١

٦٤٢٥٦٨٧ - ٦٤٣٢١٢٤

البريد الإلكتروني:

E-mail : info@al-manhalmagazine.com

مما قل:



مظاهر ومناظر

المتنقح..

عرفت فلانا ضئيل الكم والكيف، لا حول له ولا قوة، ولا يؤمل أن يكون له حول ولا قوة في يوم من الأيام..

ثم رأيته بعد ذلك، وهو يقفز قفزا سريعا طافرا إلى فوق.. بعد ما طال به الرسوب في أسفل، حيث ظل يعمل عملا رتيباً ألياً بسيطاً يكفى أن يهيء له لقمة العيش.

وكان تقدم صاحبنا أو قفزه الطافر، على سلم هين له من طبيعته الوصلية اللتوية التي تجعل الأبيض أسود، والأسود أبيض في نفس الوقت، حسب مقتضيات الحال والمصلحة والاندفاع..

وكان ذكاء صاحبنا محدوداً، اللهم إلا في تقدير خلألق من يمت إليهم بصلة، وفي ذات يوم، فتحت عيني، وإذا بي أرى فلانا صاحبنا وتسمه "عاكفا الجذاب" يخرج من قوقعة العمل الألي الذي قوس ظهره من طول مزاولته إياد، إلى جو فسح.. لا يمت إلى ذلك الجو المحدود إلا بأبعد الأسباب.. لقد خرجت "الضفدعة" من البركة.. بل لقد خرج "التمساح" من البحيرة، وها هو يجول في أفاق البراري طليقا متحررا.. وبدأ صاحبنا يتفسح ويتبجح، ويغامر ويتأبر، وكلما مضى به ركب الزمن ازداد ارتفاعاً وازداد تحليقا، وازداد تنجشا وطيشا وغرورا وركب رأسه ركوبا باهرا وقد نهجت الصحف باسم صاحبنا.

وكننت أنظر إلى تحليق صاحبنا، من بعد، كما ينظر المرء إلى تحليق الفراشة فوق أتون متأجج.. ذلك لأنني ممن يؤمنون بالمبادئ.. ومن يؤمنون بأن الرقي أو الشموخ المبني على الخداع والزيف، والتلفيق وتملق الأخلاق لن يكون طريقته الخلود أو الدوام، ولأنني ممن يبنون على هذا الملون من المعارج أن يهبط، وأن تنزل به القدم يوماً ما، وأن يهوى من حاقق في يوم من الأيام.. شاء أم أبى..

وفي ذات يوم أحب صاحبنا "المتنقح" أن يخلق عاصفة جديدة من الدعاية يرتفع على مصعد السحري إلى الأوج البعيد في أقرب شرسفة.. ولكن العاصفة قد اتفقت دوائها حوله ومآزلات به حتى هوت به إلى مهوى الحتيان التي كان يعيش في بحرهما من قبل..

«عبد القدوس الأنصاري»

صفر ١٣٧٨هـ سبتمبر ١٩٥٨م

من الفسحة:

السعودية ١٠ ريالات - الإمارات ٨ دراهم - البحرين دينار واحد - سلطنة عُمان ٦٠٠ بيسة - قطر ٨ ريالات - الكويت ٦٠٠ فلس - الأردن ٧٥٠ فلس تونس ٨٠٠ مليم - الجزائر ٨٠ دينار أ - سوريا ٤٥ ليرة - السودان ١٥٠ دينار أ لبنان ١٠٠ ليرة - المغرب ٩ دراهم - مصر ٢٠٠ قرش - اليمن ١٠٠ ريال بريطانيا جنيه استرليني - فرنسا ١٠ فرنكات - أمريكا ٣ دولارات

المشرف العام
د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري

رئيس التحرير
المدير العام
زهير نبيه
عبد القدوس الأنصاري

عزيزي القارئ
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنی فضلاً عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

إشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الإسهامات عناصر الجودة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الإشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

عنوان الموقع :

WWW.al-manhalmagazine.com

FROM THE LIBRARY
OF DR. KHALED AZAB

أما بعد يتقبل الله:

(وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون). هذه الآية الكريمة جاءت ضمن آية الصيام.. والذي نستشفه من هذه الآية الكريمة أن استجابة الدعاء مرتبطة ارتباطاً كبيراً بالعبادة.. والعبادة خشوع وخضوع وتذلل لله سبحانه وتعالى.. ومن تلك هذه حاله فإن قلبه يظل أبداً متعلقاً بالله خالقه، ومن يك بهذا التوصيف الروحي، والتعلق الوجداني بخالقه فإن دعوته مستجابة برحمة الله سبحانه.. وكلمة (فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) مرتبطة بالإيمان بالله سبحانه والاستجابة له في (افعل) و(لا تفعل).. وهذا الشهر الكريم هدية غالية لكل مسلم.. يُحسِّنُ فيه (التقرب) ليحظى بـ (القرب)..
..

الذكي

سـداء ٢٠٠٧

ستاذ الدكتور / خالد عزب
الإسكندرية

الشركة السعودية للتوزيع

- | | | | | | |
|-------------|--------------|-------------|------------|-------------|----------------|
| ٧ - ٢٢١٨٦٢ | عسير | ٢ - ٧٧٧٩٦٧ | النفجى | ٢ - ٦٥٢٩٠٩ | جدة |
| ٦ - ٤٣٣١١٧ | الجبعة | ٢ - ٧٤٥٤٢٢٢ | الطائف | ١ - ٤٧٢٨٨٠٥ | الرياض |
| ٦ - ٥٢٢١٥٥٥ | حائل | ٤ - ٤٣٣١٨٢ | تبوك | ٢ - ٨٤١٠٨٤ | الدمام |
| ٤ - ٣٢٢٥٨٤ | ينبع | ٣ - ٧٢١٠٠٣٦ | حفر الباطن | ٢ - ٥٥٨٥٠٧٨ | مكة المكرمة |
| ٤ - ٦٤٢١٧٩٦ | القرىات | ٢ - ٣٢٢٠١٥٨ | الجبيل | ٤ - ٨٤٧٠١٢٥ | الدمية المنورة |
| ٦ - ٣٢٤٢٠٧ | القصيم | ٧ - ٣٢٢٠١٠٤ | جازان | ٧ - ٢٢٧١١٧٥ | الباحة |
| ٨ - ٢٤٤٠٠٧٦ | الرقم المجاى | ٧ - ٥٢٢٠٩٠١ | نجران | ١ - ٦٤٢١٣٧٤ | الوادمي |
| | | ٢ - ٥٢٢٧٧٠٧ | الأحساء | ٤ - ٦٢٥١٨٨٢ | الجبوف |

مقالات مستقلة

■ **أبناء الملك عبد العزيز
بدلوا الغالي والنفيس من أجل
رفعة وأزدهار المملكة..**

ص ١٤

■ **محاولة فهم السياق
القرآني ينبغي النظر في
الآيات المتجاوزة..**

ص ٤٦

■ **الخيال في (رسالة
الغفران) جاء ثرياً ورائعاً
ومبدعاً..**

ص ٦٧

■ **كنتُ فرحاً سعيداً بقاء
الاختل الصغير..**

ص ٧٧

■ **ابن العربي واحد من
مشاهير علماء المذهب المالكي**

ص ٩٣

■ **سيد قطب بدأ أديباً
وانتهى باحثاً في الدراسات
الإسلامية**

ص ٩٩

■ **التمكن اللغوي عند ابن
جني مكنه من الوقوف على
دقائق معاني المتنبي.**

ص ١٠٩

■ **العرب سبقوا
الأوروبيين إلى ضرورة ترتيب
الخطاب حسب مقتضيات
الحوال والمقال**

ص ١٢٣

اليوم الوطني.. وتجسيد القيادة

كتب التاريخ، ومؤلفات الرحالة، وحكايات المعمرين،
جميعها تحدثنا عما كانت عليه الجزيرة العربية بعامة،
ومنتطقة نجد والحجاز بخاصة، قبل أن تصيرا إلى
مسمى (المملكة العربية السعودية) على يد المؤسس
الخالد الذكر الملك عبد العزيز طيب الله ثراه.



زهير الأنصاري

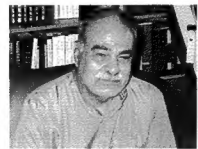
الصوم في الإسلام.. شبهات وردود



من لم يعرف جوهر شعار الإسلام لا يتذوق طعمها،
ومن لم يلاص الإسلام شفاف قلبه يظل حائراً
مرتدداً يعاني الأرق والتوتر، وتظل نظرتة إلى شعار
الإسلام حبيسة هذا الإحساس الذي لا يجني
صاحبه من ورائه إلا مزيداً من الأرق والتوتر..

أ. د. أمان محمد قحيف - مصر

د. محمد عمارة لـ المنهل:



الهيمنة الغربية تصنع أمراضاً..

الاستاذ الدكتور محمد عمارة مصطفى عمارة مفكر
إسلامي ومؤلف ومحقق، عضو مجمع البحوث
الإسلامية بالأزهر الشريف في حوار لـ المنهل

مصطفى محمد مصطفى

رحلة مع العلامة أبي بكر المعافري الأشيبلي



إن تاريخنا العربي الإسلامي لزاخر بفيض زاهر
وأثار علمية متنوعة، وتراث ثقافي جليل يحق لنا أن
نفاخر به وأن نضاهي الأمم بوجوده، فقد وهب
أسلافنا "رحمهم الله" أنفسهم للعلم ووقفوا عليه
حياتهم وبذلوا في خدمة العلم والمعرفة جهداً عظيماً.

عبدالله بن حمد الحقيل - الرياض

إبداعات نص - المتنبي -



لقد أحدث ظهور المتنبي نبأ في الحياة الأدبية في
عصره؛ ذلك النبأ الذي جعل من هذا الشاعر
محوراً تعقد حوله الجاسر، ويتنافر فيه الخصوم
والريدين، وعلى شعره تكتب الشروح، وإن شاعر له
مثل هذا الفعل، لابد أن يكون متميزاً في شخصه
وفي أبيه، وقد تنبه النقاد إلى هذا الأمر.

مريم جبر - الأردن

فهرس (رمضان - شوال) ١٤٢٨هـ

الأشذواكاف

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

قيمة الاشتراك السنوي
للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال
قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة
٥٧٦٠٠٢٤٤٠٠ - وكالة الأهرام
للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ -
الشركة التونسية للصحافة/
تونس ٢٢٢٤٩٩ - الشرقية
للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٢ -
شركة الإمارات للطباعة والنشر
والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ -
دار الثقافة للطباعة/ الدوحة
٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع
الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار
اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ -
الشركة المتحدة لتوزيع الصحف
والطبوعات د.م.م/ الكويت/
٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال
لتوزيع الصحف/ البحرين/
النامسة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات:

يراجع بشأنها

الأفارة ت: ٦٤٣٢١٢٤



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة
للطباعة والنشر - جدة تليفون:
٦٢٩٦٠٦٠ - فاكس: ٦٢٩٤٠٩٥

من مسيرة البطل المؤسس

شعر: د. بهاء بن حسين عزى

سياسة التضامن الإسلامي التي تسير عليها المملكة

علماء المدينة المنورة وجهاءها التسوا أن يكون مسمى الملكة (الملكة العربية السعودية) ..

عبد الله عمر خياط

آل سعود أسسوا الدولتين الأولى والثانية

أركان هذه المملكة قامت على التوحيد والوحدة ..

أحمد محمد الصانع

ملف خاص عن رمضان

من ص ٢٢ إلى ٤٣

بلاغة التكرار الجملي في القرآن الكريم

د. مشهور موسى مشاهرة

من أعلام الحرمين الشريفين

ضياء محمد عطار

تعقيب

د. د. عبد الله باقازي

مقارنة وموازنة بين رسالتين "الغفران" و"التوابع والزوابع"

د. خليل أبو ذياب

جانب من الفكر المجهول والنقد الحديث

د. د. يوسف عز الدين

أحماض أدبية - القول الممتاز في مثالب التسلف

د. أحمد عطية السعودي

عزف منشر

د. إخلاص فخري عمارة

رحلة في الذاكرة - سيد قطب

أ.د. محمد رجب بيومي

قصيدة، بظنية رسم للرسول ومعهد ... - حسان بن ثابت محمد عبد الواحد حجازي

د. ماضي حميد السبيعي

كلمات ومعان

د. عبد الله الحيدري

لغة المعاملات والإنذار اللغوي

د. مصطفى أحمد قنبر

لكل مقام مقال - البنية اللغوية والمقام

أ.د. ياسين بن ناصر الخطيب

الفروق في اللغة (الإرادة وما يرادها)

د. د. محمد السيد علي يلاسي

قراءات - ابن فارس .. وكتابه "المصاحبي"

أ.د. محمد السيد علي يلاسي

أدباء على هامش التاريخ

عبد الله بن أحمد الشباط

ظلال - (هزي إليك بظلي....)

جبران بن محمد علي قحل

وفيات الأعيان (عبد العزيز التويجري - نازك الملائكة)

رحم الله عبد العزيز محمد بن

أ.د. عبد الرحمن الأنصاري

خطرات فكر - ذو العصف والريحان

علي خضران القرني

أشعة - من تداعيات أزمة الحقد...

د. صالحة رحوتي

قصة قصيرة - ذات صباح

أحمد المؤذن

للقديم روعة

١٥٣

مسك الختام (اغتراب)

قاسم طاهر رضا

١٥٨

اليوم الوطني.. وتجسيد القيادة..



زهير الأنصاري

رئيس التحرير

كتب التاريخ، ومؤلفات الرحالة،
وحكايات العمريين، جميعها
تحدثنا عما كانت عليه الجزيرة
العربية بعامة، ومنطقة نجد
والحجاز بخاصة، قبل أن تصيرا
إلى مسمى (المملكة العربية
السعودية) على يد المؤسس
الخالد الذكر الملك عبدالعزيز
طيب الله ثراه.

كانت قبائل متفرقة لا يجمع
بينها جامع، وإمارات صغيرة
متعددة.. وجماعات سلب ونهب
من الأعراب..



في الداخل،

لم يكتف خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز -حفظه الله ورعاه- لم يكتف بالتقارير تُقدَّم إليه.. وللشوارع في الملفات الأنيقة الجميلة، بل قرر أن يرى الواقع بنفسه.. (وما رآه كمن سمع) كما تقول الحكمة..

ارتحل بنفسه إلى كل مناطق المملكة المتراصة الأطراف، تحرك في كل الاتجاهات، ورأى بعينه، وسمع بآذنيه، من المسؤولين، ومن الناس مباشرة..

كل تلك المجموعات.. في تعددها وتنوعها - كانت متقاتلة متحاربة فيما بينها، متى ما تضاربت مصالحها.. وكان القتل أيسر وأسهل ما يكون بينها..

حتى الحاج والمعتمر ما كان يستطيع أداء نسكه إلا في ركب تتقدمه حراسات قوية المراس.. وإلا كان القتل والسرقة مصير هذا الحاج وذاك المعتمر..

أما أمر الدين عندهم، فقد كان خرافات ورجلاً وغشياً في المعتقد.. ذلك كان الحال. تخلف وجهل واقتتال.. وما كان لذلك أن يسمر..

وباتي الملك عبدالعزيز بعون الله سبحانه وتوفيقه، وبمساعدة الأخيار من العلماء والشجعان من الفرسان ليغير ذلك الحال المتردي في كل مهاوي الظلم والضلالات..

وأسس مملكة، وأقام العدل، وأمن الناس على أنفسهم وأموالهم.. وأرسى قواعد أمة متوحدة.. وموحدة..

ومن بعده جاء أبناؤه، لإعلاء شوامخ ذلك الصرح.. وظلت أمانة البناء والإعمار لهذه المملكة متواصلة بينهم.. كل ملك يسلم الأمانة لمن بعده وهي أكثر نضارة وبهاء.. وأقوم عوداً، وأعلى قامة.. داخلياً وخارجياً..

وتصل الأمانة بكل زخمها ومسئولياتها إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود.. حفظه الله تعالى ورعاه ووقفه..

وكان الجدير بها وأهلها.. لقد عُرف بالحكمة والأناة وسداد الرأي..

نظر إلى الداخل وقرر: (نظامية اليد- والزراعة في الأداء- ونصرة المظلوم- ورفاهية هذه الأمة).. وهذه مقوماتها الاقتصاد والتصنيع.. والتعليم والصحة.. وكل البنيات الأساسية..

أما السياسة الخارجية التي التزمها فهي الموضوعية والاعتدال.. ولتحقيق هذا الطموح فقد ظل خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز يعمل ليل نهار..



رأى.. وسمع.. واستوعب.. وقرر.. وكانت قراراته خيراً دافقاً على كل أبناء المملكة..

مشاريع تنموية ضخمة عملاقة.. نهضة تطويرية في التعليم كیفاً وكماً.. منجزات لصحة الإنسان والبيئة.. مشاريع للمياه.. استراتيجية متكاملة لمحاربة الفقر.. مشاريع إسكانية شعبية.. حماية النزاهة ونظافة اليد.. ومكافحة الفساد.. استراتيجية أمنية متكاملة لحفظ الأمن ومحاربة الإرهاب.. انفتاح فكري وثقافي من غير إفراط ولا تفريط.. الخ..

ولما كان (إنسان المملكة) هو الهدف والغاية عنده في كل هذه المشاريع بغرض اسعاده ورفاهيته، ورفع كفاءته العلمية والمهنية والفكرية، فقد سجل خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - إضافة إلى كل ذلك: زيادة الرواتب بنسبة ١٥٪ لكل العاملين في الدولة وكذلك زيادة رواتب المتقاعدين.. وأسس هيئة لرعاية المتقاعدين والمحتاجين والفقراء.. وتوفير فرص العمل لكل المؤهلين له.. زيادة مخصصات الضمان الاجتماعي.. دعم مؤسسات المجتمع المدني والجمعيات الأهلية.. تأسيس صندوق وطني لمكافحة الفقر.. تعزيز دور المرأة، أداء وتنمية.. سداد الديوان والعفو عن سجناء الحق العام.. هذه رؤوس عناوين في حركة التنمية والنهضة الضخمة التي قادها ويقودها الآن خادم الحرمين الشريفين أيده الله تعالى ورعا.. ولا سبيل للتفصيل فيها، ولكن لنستأنس ببعضها على سبيل المثال..

في الاقتصاد والصناعة والتنمية:

خلال جولاته التفقدية في أنحاء الوطن مدنه وقراه، قام خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله تعالى - بتأسيس وتدشين وافتتاح عدد كبير من المشروعات الاقتصادية والصناعية في كبريات مدن المملكة.. ومنها:

إقامة ست مدن اقتصادية هي: مدينة الملك عبدالله الاقتصادية في رابغ - مدينة الأمير عبدالعزيز بن مساعد الاقتصادية في حائل.. مدينة المعرفة الاقتصادية بالمدينة المنورة - مدينة جازان

الاقتصادية.. مدينة اقتصادية في تبوك - ومدينة اقتصادية في الشرقية..

هذا إضافة إلى مركز الملك عبدالله المالي في مدينة الرياض، ويضم المركز أكاديمية مالية، ويمثل هذا المركز قفزة نوعية في حركة الحزم الاقتصادية في المملكة.. وسيصبح له أداؤه الفاعل في الحركة الاقتصادية في المملكة..

وفي منطقة الشمال عند زيارته لها افتتح فيها أربعة وأربعين مشروعاً من المشاريع التنموية والاقتصادية والتعليمية والصحية..

وفي المنطقة الشرقية دشّن فيها أكثر من عشرين مشروعاً تنموياً وصناعياً قيمتها الإجمالية حوالي ٤٣ مليار ريال..

وفي القصيم وضع حجر الأساس لخمس عشرة مشروعاً وفي المدينة المنورة عمل على إقامة مشروعات المسجد النبوي وتطوير المنطقة المركزية.. لتكون أكثر فاعلية وأداء..

في الخدمات التعليمية والصحية:

في المدينة المنورة: مشروع تطوير الجامعة، ومشاريع الوحدات التدريبية، ومستشفى الحرس الوطني وفي مدينة الطائف كان اهتمامه البالغ بالمدينة الجامعية والطبية، ومشاريع التعليم الفني، وإنشاء جامعة للعلوم والتقنية.

ووافق على إنشاء جامعات جديدة في: حائل - جازان - تبوك - الباحة - الجوف.. ثم جامعة متخصصة للبنات.

في الثقافة:

في مجال الثقافة والفكر والحوار الجاد المستمر، فقد كانت لخادم الحرمين الشريفين - حفظه الله تعالى - توجيهات سديدة، راشدة..

فقد وجه بتطوير مؤسسات الثقافة المحلية لتشهد نقلات نوعية وفنية وتكون أكثر فاعلية وتفاعلاً.. وهذا الدور تنشطه (وكالة شئون الثقافة والإعلام للشؤون الثقافية، والعلاقات الثقافية الخارجية.. وهذا الأخير



الشريفيين الملك عبدالله بن عبدالعزيز.. وفي هذا الإطار نجد مجموعة من المشاريع والمسابقات الرياضية والجوائز منها.. مشروع مسابقة كرة القدم -مسابقة الدوري السعودي لفرق الدرجة الممتازة- كأس خادم الحرمين الشريفين للأبطال- مسابقة كأس ولي العهد- مسابقة كأس الأمير فيصل بن فهد- منتخب ذوي الاحتياجات الخاصة، وإقامة أندية رياضية لهم..

خارجياً؛

عالمنا اليوم، أصبح (قرية واحدة) كما يقولون.. أصبحت الدول اليوم مرتبطة ببعضها أكثر من ذي قبل.. ومن الحكمة وسداد الرأي إقامة علاقات طيبة بين الدول بعضها ببعض..

والملكة العربية السعودية بطبيعة الحال قد حازت ثقة وإعجاب العالم لما تنتهج من سياسة متوازنة تقوم على الاحترام المتبادل بين الدول..

ومن منطلقات هذه السياسة الحكيمة الراشدة قام خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز بحفظه الله تعالى- ومن أجل هذا الوطن الغالي- ومن أجل استقرار المنطقة، قام بعدد كبير من الزيارات إلى أنحاء العالم غرباً وشرقاً.. فقد زار (الصين والهند وماليزيا والباكستان) وزار أسبانيا وعدداً من الدول الأوروبية.. وكان لزياراته صدى واسعاً..

مهمته التعريف بالمملكة في الخارج فكراً وثقافة ومنهجاً.. ولاشك أن العلاقات الثقافية الخارجية أصبحت لها أكبر الأثر في الربط بين الأمم على تنوع ثقافتها ومعتقداتها..

ويدعم هذا الدور المتنامي العمل على إطلاق جمعيات ثقافية مدنية، وفي مجال العمل الثقافي الوطني يأتي مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني ليكون بمثابة العروة الوثقى التي تجمع أبناء الوطن في حوار هادف ببناء هادئ من أجل الوطن..

والمرأة لم تكن بعيدة عن هذا الزخم الثقافي الذي يرعاه خادم الحرمين الشريفين -حفظه الله تعالى- فقد أشار إلى إنشاء مركز ثقافي للمرأة في الرياض يركز على شؤون معطياتها الفكرية والثقافية والإبداعية في كل مجالاتها..

أما جائزة خادم الحرمين الشريفين للترجمة، فهي إنجاز علمي وفكري وثقافي ضخم.. والترجمة هي الرابط الوثيق بين ثقافات الأمم وإبداعاتها..

في الرياضة؛

كما أسلفت، في هذه الصفحات لا نستطيع إحصاء ما أنجز وسيُنجز في هذا العهد المبارك لخادم الحرمين الشريفين، ولكننا نلمح إلماحاً يسيراً، لعله يعطى صورة عامة..

ولم تغب الرياضة عن اهتمامات خادم الحرمين

من مسيرة البطل المؤسس

شعر: د. نهاء بن حسين عززي - جدة



الله وفّقني والحزم أوسع لي
وشبّ عزمي دماء حرة لهبها
عبد العزيز أنا، والعزلي حسب
قد نلته كابراً عن كابر نسبها
لا تسأل الكتب وانظر ما بنته يدي
فليس من فعلها فعل هوى وقبها
هذي الجزيرة قد رسخت وحدتها
بعد الشتات الذي ناءت به حقبا
أقمت فيها حدود الدين صافية
فأين ما كان بالتحريف مرتكبها
وأين من كان يخشى البر متشاحاً
سيقاً من الشوم يدميه بمن نهبا
كانت أحاديث إفزع مؤتمن
في حجه البيت يخشى الفدر والرعبا

دعني أسير لجد يقدم الشهباً
دعني، أشيد بناء للدن عجباً (١)
دعني فإن المنى أعيت نجى هوى
وما تمتيت يهوى الجهد والتعبا
فما يضير الفتى إلا تقاعسه
عن سرية المجد من تهويل ما صعبا
نادتني البید والأجبال من رهق
ونادت المدن تشكو الجور والنصبا
والبحر نادّت على أمواجه سفن
تشكو قرصانة أوسعنها سلبا
فكيف يحلو الكرى في محنة رسخت
سبيل إجلائها فكر وسل ظلبا
فهب عزمي وحولي فتية صدقت
عهد الاله فكنّا جيشه الملبّيا

وَحَدَّثَهَا فَغَدَت شَتَّى بِيَارِقِهَا
 فِي بَيْرُقٍ مُشْرِقٍ يَسْتَوِي مَا غَرِبَا
 فَمَنْ يَخَالُ الَّذِي وَحَدَّثَهُ شَتَّى
 مِنَ الْمَسَائِلِكَ يَعْلُوهُنَّ مِنْ وَثْبَا
 جَسْ فِي الْفِيَاثِي، تَلْمَسُ قَدْرَ مَا مَنَّا
 وَاصْعَدُ جِبَالاً، فَهَلْ تَخْشَى بِهَا رَهْبَا؟
 هَذِي الصَّحَارِي الَّتِي أَنْهَيْتُ وَحَشَّتْهَا
 وَسَادَ أَمِنْ بِهَا بَعْدَ الَّذِي اضْطَرَّيَا
 أَخَيْتُ فِيهَا الْهَوَى فَاشْتَاقَ مَوْحِشُهَا
 إِلَى التَّآخِي مُغْنِئاً فِيهِ مُطْلَبَا
 أَلْفَتْهَا بِنِي الْأَمْصَارِ فَانْتَشَرَتْ
 نَسَائِمُ الْحُبِّ مِنْ صَفْوِ الْفَرَامِ صَبَا
 أَنْظُرْ إِلَيْهَا قَدْ اخْضَرَّتْ مَقَاوِزُهَا
 وَالْمَاءُ يَحْنُو عَلَيْهَا بَعْدَ أَنْ نَضِيَا
 أَنْبَتْنَ مِنْ كُلِّ زَرْعٍ كَانَ مَنِيئُهُ
 بَيْنَ الْفَرَائِثِ وَالنَّيْلِ الَّذِي عَذِبَا
 فَمَا غَدَا جَانِحٌ إِلَّا بِهِ كَسَلُ
 يَخْشَى الْكَفَّاحَ وَتَهْوَى كَفُّهُ الْطَلْبَا
 حَتَّى عَصَافِيرُهَا مِنْ شَبْعِهَا انْتَشَعَتْ
 تَغْشَى الْعَشَاشَ وَيَنْمِي فَرْخُهَا زَغَبَا
 وَيَعِدُ أَنْ طِينٌ فِي أَمِنْ صَبُوتُ لَهُ
 أَتَبِعْتُ نَجْجَ النُّمَا فِي مَرَحِهَا سَبَا
 هَذِي الْمَدَائِنُ قَدْ شِيدَتْ قَوَاعِدُهَا
 فَهَمَنْ يَنْطَحِنُ فِي جَوْفِ السَّمَاءِ السُّحْبَا
 أَنْظُرْ إِلَيْهَا فَهَلْ تَخْضَى لِذِي بَصَرِ
 أَنْظُرْ إِلَيْهَا، فَمَا شِيدَتْ قَدْ رَحَبَا
 وَالْعِلْمُ فِيهَا زَهَا فَانْظُرْ مَا آثَرُهُ
 فِي كُلِّ بَابٍ نَمَا بِإِعْ لَه وَرَبَا
 أَقَرَّرْتُهَا مَعْلَمًا لِلدِّينِ كَيْفَ بِهِ
 أَتَى النَّبِيَّ وَجَلِيَّتُ الَّذِي حُجِّبِيَا
 جُدُّدُهُ فَسَنَّتْ فِيهَا مَنَابِرُهُ
 تَدْعُو بِدَعْوَتِهِ مَنْ كَانَ مَجْتَنِبَا

وَيَعْدُ أَنْ نَالَ كُلُّ مَأْمَنَاتِنَا وَنَمَا
 أَتَبِعْتُ نَجْجَ الضُّئَى فِي حُبِّهَا سَبَا
 ★★★★★★
 جَالَتْ بِفِكْرِي صَنَاعَاتُ رَأَيْتُ لَهَا
 عَزَمًا كَصَلْبِ قِيَامِ الْجِسْمِ أَنْ نُصَبَا
 لَا يُسْتَنْهَبُ لِأَخْطَارِ إِذَا حَزَبْتُ
 إِلَّا وَكَانَتْ بِهَذَا الْعَصْرَ مَا طَلَبَا
 أَوْكَلْتَهَا لِبَنِي الصَّيْدِ مَوْعِظَا
 أَنْ شَيْدُوها بِفِكْرٍ شَبَّ مُحْتَسِبَا
 فَكُلْ مِنْ جَاءَ مِنْهُمْ هَبْ يَذْكُرْهَا
 بِفَعْلِهِ الْقَدْ حَتَّى وَعَدَهَا قَرِيبَا
 لَا يَدُ أَنْ تَزْدَهِي يَوْمًا بِمُفْخَرَةٍ
 تَأْتِي بِخَيْرٍ وَتَرْقُدُ الَّذِي سَلَبَا
 فَالْقُدْسُ جَاسَتْ بِهِ شَذَاذُ قَافِلَا
 مِنْ كُلِّ مُسْتَصْهِنٍ لَا يَعْرِفُ الْعَرِيبَا
 وَكَيْفَ نَحْنُ وَقَدْ شَطَّ الْعَدُوُّ وَقَدْ
 جَاسَ الدِّيَارُ وَقَدْ أَفْنَى وَقَدْ غَضِبَا
 وَالْفَيْدُ يَشْكِينُ وَالْأَبَاءُ فِي حَرْجٍ
 مِمَّا اسْتَكَيْنَ، فَذَخِرُ الْحَرَّةِ انْتَهَبَا
 لَقَدْ أَتَوْا عَطِيبَا وَاللَّهُ يَا مُرْنَا
 بِأَنْ نُعَدَّ الَّذِي يُجْلِي لَنَا الْعَطِيبَا
 يَا رَبِّ فَارْهَقْ لَوَاءَ الْحَقِّ مُنْتَصِرَا
 عَلَى الَّذِي ظَلَمَ الْأَقْصَى بِخَيْرِ رُبِّي
 ★★★★★★

وَاحْفَظْ لَأَلِّ سَعُودِ كُلِّ نَائِفَةٍ
 فَهَذَا كَمِيَّ آتَاهُ الْمَلِكُ مَيْتَخِيَا
 أَسْعِدْ بِهِ أُمَّةَ عَظُمَى تَخَيَّرْهَا
 رَبُّ الْعِبَادِ فَلَيْبَتُهُ كَمَا رَغِبَا
 إِنَّ الصَّلَاةَ عَلَى الْإِخْتَارِ سَيِّدُنَا
 وَسَيِّدِ الرُّسُلِ جَمْعَا صَدْعُهَا وَجَبَا

سياسة التضامن الإسلامي التي تسير عليها المملكة

محمد بن ناصر العبودي - مكة المكرمة

بلادنا بلاد شرفها الله سبحانه وتعالى بأن جعل أهلها سدة بيته، وخدمة حرمه ولذلك تلقب عاهل المملكة العربية السعودية بلقب خادم الحرمين الشريفين وآخر هذا اللقب على اللقب المعتاد لأمثاله وهو جلالة الملك.

وكان الناس يسمون الملك عبد العزيز رحمه الله بالإمام ويخاطبونه بإمام المسلمين ولكن هذا ليس لقباً رسمياً يذكر في المراسيم وإنما هذه عادة الناس لأنه بالفعل كان إمامهم وكان مقدمهم.

ونظراً إلى أن المملكة العربية السعودية هي بهذه المكانة وهي بلاد شرفها الله سبحانه بأن انطلقت الدعوة الإسلامية في الرسالة المحمدية من مكة المكرمة والمدينة المنورة إلى سائر أنحاء العالم وهما مهبط الوحي ومنتزلا القرآن الكريم فكان لابد للمملكة العربية السعودية أن تهتم بكل ما يتعلق بالدين الإسلامي بل تهتم بنشره في الزمن الحاضر كما كانت هذه البلاد منطلقاً له في الزمن الماضي.

وقد كان الخلفاء المسلمون الأوائل يعملون هذا، لذلك ولدت في المملكة العربية السعودية سياسة التضامن الإسلامي.



١٠





توجيهاتكم في هذا الأمر فقال: يا أخي، أنا أوصيك بكلمة لا أزيد عليها ولا أنقص وهذه الكلمة هي (راقب الله في أفعالك وأقوالك تتجع). قال هذه الكلمة الجامعة وقد تأملتها ووجدت أنها حقيقة تستحق أن يجعلها الإنسان دستور حياته لأنه إذا راقب الله نجح حتى في أعمال النسيان فالتاجر الذي يراقب الله فلا يفتش ولا يتخذ من الناس أكثر مما تستحقه السلعة فإن الناس يقبلون عليه وبذلك تروج تجارته وكذلك الموظف وغيره الذي يراقب الله في أفعاله وأقواله فإنه ينجح نجاحاً نبيناً ونجاحاً دنيوياً.

وكانت هذه السياسة تسير عليها المملكة العربية السعودية فعلاً وقد أعلنها الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً أعلنها سياسة رسمية للمملكة سماها سياسة التضامن الإسلامي وطبقتها المملكة العربية السعودية بأن أعانت على إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي على نطاق رسمي، وطبقت التضامن الإسلامي المتمثل في إعانة الجمعيات الإسلامية في الخارج ومساعدتها وكان لي شرف أن كنت في أول وفد رسمي يحمل نقوداً من المملكة العربية السعودية لتوزيعها على الجمعيات الإسلامية في أفريقيا وذلك في عام ١٣٨٤هـ الموافق لعام ١٩٦٤م في آخر عهد الملك سعود رحمه الله تعالى.

وكان الملك فيصل رحمه الله وهو في ذلك الوقت رئيس مجلس الوزراء ونائب الملك قد أعطاني مبلغاً من المال وقال: وزع هذا على الجمعيات الإسلامية في أفريقيا.

وعندما سافرت في المرة الأولى ووزعت هذا المبلغ قدمت تقريراً رفع إلى الملك فيصل رحمه الله وذلك بعد أن تمت مبايعته ملكاً على البلاد في عام ١٣٨٤هـ.

وكان في هذا التقرير اقتراح بتعيين دعاة على نفقة المملكة العربية السعودية وإرسالهم إلى المسلمين في أفريقيا وكذلك تقديم منح دراسية لأبناء المسلمين تتكفل بلادنا بدفع نفقات دراساتهم ومعيشتهم وإسكانهم إلى جانب دفع تذاكر سفرهم وكذلك مساعدات مالية لمشروعاتهم فوافق على ذلك في ذلك الوقت.

والذي لا يعرفه كثير من الناس أن سعر يرميل النفط (البترول) عندما سافرنا كان دولارين إلا ربعاً وكانت المملكة العربية السعودية تنتج ما لا يزيد على مليون يرميل نفط في اليوم، ومع ذلك أعطانا الملك فيصل بعض المال الذي لم يكن من السهل آنذاك أن يدفع فذهبنا إلى هناك ووزعناه على الجمعيات والمؤسسات الإسلامية وأذكر أنني في الرحلة الثانية عام ١٣٨٦هـ قبل أن أسافر إلى أفريقيا ذهبت لتوديع الملك فيصل وكان ذلك في مكتبه في قصر شبرا بالطائف لأن الوقت كان وقت صيف وأنا كنت في الجامعة الإسلامية فكنت أذهب في العطلة الصيفية فقلت له يا صاحب الجلالة نحن ذاهبون إلى بلاد بعيدة وليس فيها سفارات سعودية ونحن نحتاج إلى

الهيئات والمؤسسات الإسلامية:

من هذا النطلق كله كان حرص المملكة العربية السعودية على ما ينفع المسلمين ظاهراً مقدراً أن تولى الملك عبدالعزيز إلى الآن.

ولا نستطيع أن نعدد الأشياء التي قامت بها المملكة العربية السعودية بالنسبة للمسلمين لأنها كثيرة ومتنوعة ولكننا نستطيع أن نذكر مؤسسات منذ بدأت وحتى الآن وهي تعني بشؤون المسلمين.

من ذلك رابطة العالم الإسلامي التي أنشئت في المملكة العربية السعودية في آخر عام ١٣٨١هـ وكان أول اجتماع رسمي لها في أول عام ١٣٨٢هـ وتنفذ المملكة العربية السعودية لرابطة العالم الإسلامي منذ إنشائها حتى الآن ميزانية سنوية بمثابة المعونة وهي ميزانية ثابتة ولكن لا يقتصر دعم المملكة العربية السعودية للمسلمين بوساطة الرابطة على هذه الميزانية الثابتة في الرابطة أي لا يقتصر إنفاق الرابطة على هذه الميزانية فقط وإنما هذه الميزانية تدفع رسمياً وهي مخولة أي أمانتها العامة وعلى رأسها الأمين العام للرابطة مخولة بإنفاق هذا المبلغ دون الرجوع إلى الحكومة أي إنفاقه في الأغراض النبيلة التي أسست من أجلها الرابطة.

ولكن أحياناً لا تتسع أبواب الرابطة لبعض المشروعات الكبيرة فترفع الرابطة الأمر إلى خادم الحرمين الشريفين وفقه الله وألبسه رداء الصحة والعافية وتكتب إليه ترحوه أن يدعم بعض المشروعات الإسلامية فيأمر بذلك من خارج ميزانية الرابطة.

ومن ذلك أن النفقات التي تنفقها الآن رابطة العالم الإسلامي على عدد من المراكز الإسلامية في الخارج منها المركز الإسلامي في مدريد والمركز الإسلامي في برازيليا والمركز الإسلامي في روما وهذه المراكز أمر خادم الحرمين الشريفين بأن تخصص لها ميزانية تشغيل تدفع للرابطة لكي تنفقها وذلك لأن رابطة العالم الإسلامي مسؤولياتها تشمل العالم كله، فمن تشمل مسؤولياته العالم كله لا تستطيع ميزانيته أن تفي بكل ما يطلبه المسلمون على مدار الوقت وعلى مستوى العالم كله.

فالمملكة العربية السعودية أنشأت عدة مؤسسات لخدمة المسلمين في الخارج غير رابطة العالم الإسلامي، ومنها وزارة الشؤون الإسلامية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

كذلك أنشأت الحكومة الهيئة العليا للدعوة الإسلامية

وأنشأت المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وهذا ينظر في أحوال المسلمين وفي تقديم المساعدات لهم، وأنشأت المملكة العربية السعودية لجنة قبل ذلك استمرت خمسين وعشرين سنة باسم لجنة الشؤون الإسلامية بمجلس الوزراء وهي تقترح مساعدات ومعونات إلى المسلمين في العالم.

هذا بالإضافة إلى ما تقوم به الجامعات الإسلامية في المملكة، فالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة أنشئت لتعليم أبناء المسلمين خاصة وقد افتتحت في عام ١٣٨٥هـ.

وهذه من أعمال المملكة العربية السعودية ولا يزال في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة جنسيات تزيد على مئة جنسية من جنسيات الطلاب في مختلف أنحاء العالم وقد نفع الله بالفريجين منها منذ أن خرجت أول فوج منهم.

كما أنشأت المملكة العربية السعودية مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف وعلومه من أجل توفير نسخ كافية من المصحف الشريف موثقة ومضمونة عن الغلط والتحريف.

فهذه من أعمال المملكة، وهناك المراكز الإسلامية التي تنشئها المملكة ليست ميزانياتها ضمن إحدى هذه المؤسسات وإنما خارجة عنها.

ثم هناك شيء مهم جداً لا يعرفه بعض الناس وهو أن المملكة العربية السعودية تساعد المسلمين وعلماءهم على أمور دينهم فقل أن يفتح شخص مسلم مدرسة إسلامية أو أن تبتنى جمعية إسلامية مشروعاً لإقامة مسجد إلا وتتسارع المملكة العربية السعودية ممثلة في إحدى الجهات العاملة فيها بالإسهام في هذا المشروع.

هذه أعمال عظيمة ومشروعات إسلامية كبيرة والشيء الذي كان لي شرف الإسهام فيه والأمر لله سبحانه وتعالى ثم لأولياء الأمور الذين أحسنوا الظن بي منذ عهد الملك سعود حتى الآن أنها ترسل أناساً من المملكة العربية السعودية إلى أماكن وجود الأقليات في العالم للإطلاع على المشروعات الإسلامية وتعطيهم النقود التي بها يساعدون هذه المؤسسات وكان لي شرف أن

كنت رئيس أول وفد يذهب في هذا الغرض ومبعوثاً من النقود. هذه ذكريات فرضتها علي هذه المناسبة (اليوم الوطني) لأتذكر ويتذكر معي الجميع جهود هذه الدولة المباركة وقادتها الأوفياء في خدمة الإسلام والمسلمين.

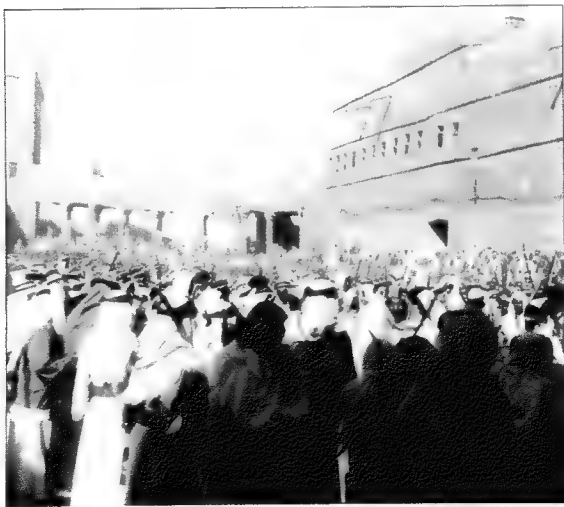


علماء المدينة المنورة ووجهائها التمسوا أن يكون مسمى المملكة (المملكة العربية السعودية) ..

عبد الله عمر خياط - جدة

كلنا يعرف تاريخ الجزيرة العربية.. وكيف كانت. قبائل وإمارات لا يجمعها رابط.. ولا توحيد أهدافها غاية.. لا قبائل وإمارات.. بالاسم.. أما الفعل.. فهو للذين كانوا يعيشون في الأرض فساداً يقطع الطريق، ونهب الأموال، وسلب الممتلكات.. حتى ولو كان ذلك عن طريق قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

■ الملك عبدالعزيز وحّد المملكة بعد شتات وتفرق..



أبناء الملك عبدالعزيز بذلوا الغالي والنفيس من أجل رفعة وازدهار المملكة..

وقرار أعيان أهل المدينة.. وهو الذي نشرته مسبقاً بالخطاب السابق لوكيل إمارة المدينة المنورة آنذاك معالي الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم - رحمه الله -.. جريدة أم القرى بعددها ٤٠٧- الصادر في ١٣٥١/٥/٩هـ.. كان نصه.

حضرة صاحب الجلالة وليتنا المعظم عبدالعزيز آل سعود أيده الله
الرياض

بحمده تعالى في اليوم الرابع عشر من جمادى الأولى عام ١٣٥١هـ قد اجتمع الموقعون أدناه من علماء وأهالي وتجار المدينة المنورة للبحث والتشاور في أمر خطير يعود نفعه على هذه البلاد التي من الله عليها بأن يكون الجالس على عرشها جلالة الملك المفدى عبدالعزيز آل سعود أيده الله. ذلك أن الباري سبحانه قد اختصها من بين الأقطار العربية الشقيقة بمزايا جمّة، فقد جعلها أشرف البقاع على الإطلاق، وأظهر الممالك العربية استقلالاً، وهب أهلها مفاخر خاصة بهم فجعلهم عنصراً عربياً متحداً في الدين الإسلامي، والعادات، والأخلاق، والتاريخ.. إلى غير ذلك مما يدعو ويحض على وحدة البلاد بكل مصاني الوحدة، ومظاهرها القيمة. ولكون أهم هذه المظاهر هو اسم المملكة التي تشمل أبناء الأمة العربية الموصوفة آنفاً، ولأن اسمها الحالي هو "المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها" لا يفي بالفرض الاسمي المطلوب، إنه لا يدل على الاتحاد العنصري والحكومي والشعبي المائل في هذه البلاد بأصدق معانيه، وغاية ما يدل عليه تسمية بعض الأقطار العربية، فنظراً لما شرح، وإظهاراً لكمال التضامن الموجود حالياً واستقبالياً (والذي تجلّى في حوادث ابن رقاد الأخيرة) لذلك فإن عموم المجتمعين يسترحمون من جلالة الملك المفدى أن يتفضل بإصدار إرادته الملكية بالموافقة على تحويل الاسم الحاضر إلى الاسم التالي "المملكة العربية السعودية" لأن هذا الاسم أكثر انطباقاً على الحقيقة الواضحة ولأنه أدل على الأمانى المقبلة، وأظهر في الإشارة إلى من كان السبب الوحيد في انقظام

هكذا.. كان وضع الجزيرة حتى جاء البطل عبدالعزيز- طيب الله ثراه- فصنع هذا الكيان الكبير.. وأرسى في ريوعه قواعد الأمن والاستقرار، بتحكيم شرع الله.. والحزم الذي تفرضه دواعي العدل.

المؤرخ الشهير أمين الريحاني.. يذكر في مؤلفه "ملوك العرب" مثلاً لما شهده من مظاهر الأمن.. وبأي شيء تحقق فيقول:

"مررتنا بجمل بارك، رازح تحت حملة، فسالت عن صاحبه، فقبل لي إنه سار في طريقه، وسيرجع بعد أن يصل إلى البلد، ويأتي بجمل آخر يحمل البضاعة، وقد يموت الجمل الرازح، ويبقى حملة على قارعة الطريق عشرة أيام، فيعود صاحبه، فيجده وما مست يد بشرية، كما ترك في مكانه".

كيف تمكن ابن سعود من إقامة مثل هذا الأمن، وتوطيده في بلاد العرب؟

بأمرين: أولهما: الشرع. وثانيهما: أحكام الشرع تنفيذاً لا يعرف التردد، ولا التمييز.. ولا الرفة..

وهذا الذي رواه الريحاني.. وهو ما اعترف به أبناء المملكة من أعيان أهل المدينة المنورة في برقيتهم التي رفعها وكيل إمارة المدينة المنورة يومها بخطاب لمعامل الجزيرة يقول فيه:

"حضرة صاحب الجلالة مولاي الملك المفدى عبدالعزيز آل سعود أيده الله.. أتشرف بأن أعرض لجلالتكم أنه في هذا اليوم الموافق ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ قد اجتمع العلماء والأهالي، وبعد المذاكرة والبحث قرروا رفع برقيات منهم لاعتباكم العالية يسترحمون فيها صدور إرادتكم السنية بالموافقة على تحويل اسم المملكة الذي هو "المملكة الحجازية والنجدية" إلى اسم "المملكة العربية السعودية"..

وقد بنوا قراراتهم المشار إليه على حقائق اجتماعية أوضحوها فيه.. كما أنهم نوهوا بلهجة أكيدة باسترحامهم بصور أمركم الجليل بوضع نظام الحكم، وتوارث العرش تنبيهاً لمركز الدولة في الداخل والخارج، وتخليداً لها على مر العصور كما هو الحق بعنايته تعالى. وحيث أن في ذلك تأمين المصلحة فإنني أضمر صوتي إلى صوتهم مسترحماً صدور الأمر الملكي الكريم بأسعاف مرغوبهم سيدي..

وكيل إمارة المدينة المنورة
عبدالعزیز بن إبراهيم





عبد الباقي، ذياب، عبد العزيز مدني، أحمد بساطي،
عبد الله برزنجي، محمود شويل، عتيق بن محمد
الخرج، حسني العلي، السيد زين العابدين مدني،
عبد العزيز الخريجي، محمد الخريجي، حسين طه،
محمد زين بري، أبو بكر، أسعد سعد، محمود ديشيش،
حمزة بافقيه، عباس قمقمجي، عبد الله بن عمرو،
صالح البلاغ، محمد الدغيش، إبراهيم التركي، علي
عبد الله عقيل، حسن عبد الجبار، إبراهيم هاشم، زين
صافي، صالح خاشقجي، محمد حسين جباد، محمد
أسعد).

هكذا توحدت الجزيرة.. على يد مؤسس الكيان الكبير
الملك عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه.. وبذلك
اتحدت القلوب.. واجمعت أمرها لتكون ولاة أمرها يداً
واحدة.

وقد سار خلفاؤه على النهج ذاته حتى تصبح بلادنا في
مقدمة الدول الحضارية مع التزامها بشرع الله الذي
فيه صلاح دنيانا وآخرتنا وبه عزنا.. وهو ما يجعلنا
نفتخر ونفاخر بهذا اليوم الوطني المجيد الذي توحدت
فيه أنحاء المملكة..

عقد هذا الاتحاد الميمون.. ألا وهو شخص جلالة الملك
المحبوب، ولأنه يشمل جميع البلاد العربية التي وفق الله
جلالة الملك بتوحيد شملها ولم شعنها.

هذا ولما كان الانتظام والاستقرار هما من الشروط الأولية
في بقاء الدول، واستمرارها كما يبرهن عليه التاريخ وتتبع
أحوال الأمم والحكومات، لهذا فإننا نتقدم أيضاً إلى حضرة
صاحب الجلالة مليكنا القدي أطال الله بقاءه مسترحمين
من جلالته أن يصدر أمره العالي بوضع نظام للحكم،
وتوارث العرش، لما في ذلك من تقوية مركز البلاد مادياً
وأدبياً، ولكي يعلم القاضي والداني من الأصدقاء وخلافهم،
أن هذا الملك يحول الله وقوته باق على ممر الدهور موطن
الأركان لا تؤثر فيه الزعازع، وأنا وانقون بأن جلالتهكم
حفظه الله أول من يقدر هذه الحقيقة الاجتماعية حق
قدرها.. وفق الله جلالتهكم لما فيه الفلاح والصلاح.

(محمد زكي، السيد عبد الجليل مدني، محمد حسن
سمان، عبد الله جمل الليل، إبراهيم بري، حمود ديشيش،
عبد الله مسلم، صالح عبد الله الزغبيني، عبيد مدني،
إسماعيل حفطي، يحيى زكريا، حسام الدين المصطفى،
صالح التونسي، محمد الطيب التبنكتي، عبد الرؤوف

آل سعود أسسوا الدولتين الأولى والثانية، لكن المستعمر الأوروبي كان لهم بالمرصاد

عبدالله فراج الشريف - جدة

■ الملك عبدالعزيز كان واسع الأفق، بعيد الفكر، أقام دولة إسلامية أخذت بأسباب الدولة الحديثة

انهارت فيه آخر دولة للإسلام موحدة بسقوط الخلافة العثمانية، فكانت الجزيرة آنذاك وقيل بقليل تعيش في مجاهل العالم، جهلاً وفقراً وتششتاً وفرقة، لا يذكرها الناس إلا إذا تحدث القاصدون البيت الحرام للحج، وما رأوه من أهوال في طريقهم إليه، وبشاه الله الطلي القدير أن يبعث في أرض الجزيرة حماساً منقطع النظير لاستعادة عز ومكانة مفقودة لأرض الجزيرة، التي كانت ولا تزال منطلق الدعوة إلى الإسلام، وإظهار دين الله ولو كره الكارهون، فكان آل سعود مثبّر هذا الحماس، فأول من أطلق الدعوة إلى عزّ هذا الوطن ببعث عز الإسلام ومجده، المؤسس الأول لدولة آل سعود الأمير محمد بن سعود يرجمه الله، بعد أن توافق ما يرنو إليه مع ما يدعو إليه الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وتعاهدا على العمل للدعوة الإصلاحية الماركة، التي يَشُرُّ بها الشيخ، وعلى نشرها في أرجاء الجزيرة العربية، فاستطاعت تلك الدولة الناشئة في زمن يسير أن تضم إليها معظم أقاليم الجزيرة العربية، وكان من الممكن أن تصبح الجزيرة العربية في ظلها دولة واحدة، لولا أن الظروف العالمية والإقليمية آنذاك غير مواتية، وكثير من القوى العالمية مناهضة لأي توجه لإقامة حكم إسلامي

غاية الحكم السعودي في جميع أدواره: إن شخصية الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود المتفردة، والتي كان أثرها في واقع الجزيرة العربية ومستقبلها أثر واضح مميز، جعلت من المملكة العربية السعودية قلب الجزيرة النابض دولة إسلامية المنهج والنظام، حديثة الشكل والمحتوى، تعيش عصرها وتتفاعل معه بروى مميزة، لا تقلد فيها فتدثر، ولا تغلق الحدود على نفسها فتتخلف، هذه الشخصية الفذة نالت من الأصدقاء والأعداء الثناء والإنصاف، فالملك المؤسس هو كما يقول عنه الصحفي اللامع محمد حسنين هيكل: إن الملك عبدالعزيز آل سعود قضية متفق عليها، ودور معترف به، فهو بكل المعايير شخصية تاريخية كبيرة، ضمن مؤسسي الدول ومنشئي النظم في هذا العالم العربي وفي ظروفه وأحواله (١)، فالجزيرة العربية بعد العز الأول الذي نالته يظهر الإسلام فيها، وخروج الأبطال من دعائتها ورجالاتها إلى أرجاء الدنيا يدعون إلى الإسلام، ويقسمون حضارة لم تر الإنسانية مثلاً، توازن بين الروح والجسد، بين الدنيا والآخرة، تبني الحياة بالفضائل، وتمنع انهيارها بمواراة الرذائل، هذه الجزيرة أخذت تتوارى بفعل انتقال عواصم الدولة الإسلامية إلى مدن الأقاليم المفتوحة، حتى جاء العصر الذي



١٦



الملك عبدالعزيز

كان صلة الوصل

لآبائه وأجداده



دولته منذ أول يوم أسس فيها ملكه، يوم أن استعاد ملك الآباء والأجداد على نظام الإسلام ومنهجه، ليحقق الغاية التي إليها سعوا أن يعود الأمر في جزيرة العرب إلى نصابه، فينتشر نور الهدى ويغم الأرجاء فتتوحد الأمة ويرتقى الوطن، ويقول - رحمه الله - "إنني والله لا أحب إلا ما أحب الله خالصاً من الشرك والبدع، وأنا لا أعمل إلا لأجل ذلك ولا يهمني أن أكون ملكاً أو فقيراً" فالغاية واضحة كل الوضوح إقامة دولة إسلامية المنهج والنظام، تأخذ بأساليب العصر، وتستفيد من كل إمكاناته وتقنياته فالقائد المؤسس يقول: "إنني أرى كثيراً من الناس ينقمون على ابن سعود، والحقيقة ما نقموا علينا إلا اتباع كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ومنهم من عاب علينا التمسك بالدين، وعدم الأخذ بالأعمال العصرية، فأما الدين فوالله لا أغير شيئاً مما أنزل الله على رسوله - صلى الله عليه وسلم، ولا أتبع إلا ما جاء به، وليغضب علينا من شاء، وأما الأمور العصرية التي تعيننا وتقينا ويبيحها دين الإسلام فنحن نأخذ بها ونعتل بها، ونسعى في تصميمها، ولا مدينة أحسن وأفضل من مدينة الإسلام" (٥) فقد عارض رحمه الله الموقفين المتطرفين، موقف الرافضين لكل تجديد وتطوير لا يخالف أصلاً من أصول ومقاصد الإسلام، وموقف من يرون أن التجديد والتطوير لا يكون إلا بالتخلي عن الثوابت والأصول، فحسم ذلك في عقله وفكره وناضل عنه بالحوار وتبادل الرأي، حتى إذا لم يبق إلا الحسم، رد الفارحين على الدولة بدعوى الجهاد ورفض كل جديد على أنه محرم وبدعة، ولو كان فيه صلاح أمر البلاد والعباد، اسمعه يقول: "إن الله جعل المسلمين فريقين، الفريق الأول: المجاهدون الذين يرباطون للدفاع عن حوزة الدين، والفريق الآخر: الذين يشتغلون بالصناعة والزراعة وغيرها، فإذا سرتنا نحن المسلمين على هذا المنوال، فهناك الرقي والحضارة والتعمد، وأما ادعاء أولئك المتفرجين من المسلمين: أن التمسك بحبل الدين يرجع بنا القهقري إلى الوراء، فهو ادعاء باطل وقول مكذب، لأن الدين لا يمنع الناس عن تعلم الصناعات وما شاكلها، بل هو يحث عليها في مواضع كثيرة في محكم آياته" (٦) وهو لذلك رفض دعاوى من تعصبوا فرفضوا كل وسيلة حديثة تستعين بها الدولة لتحقيق بعصر تتنامى فيه المخترعات والمستحدثات، التي تجعل الحياة أسهل وأيسر، وفي استخدامها قوة للدولة المسلمة، التي استقر

المنهج والنظام، فأنتهت الدولة السعودية الأولى كدولة وحدة عربية إسلامية، وحيث قلب الجزيرة العربية وضمت معظم أقاليمها في عام ١٢٢٢هـ بعد حرب ضروس مع الدولة العلية في مصر، والتي نذبتها الدولة العثمانية لحرب آل سعود (٧) ولكن الرغبة في توحيد الجزيرة العربية على أساس دولة إسلامية المنهج والنظام، تعيد إليها مجدها الغابر، وتحقق لها القوة والمنعة ظلت تراود رجال البيت السعودي، حتى في حالات ضعف حكمهم لأسباب خارجة عن إرادتهم، وبعد كل تلك الفوضى التي عمت الجزيرة العربية بعد انهيار الدولة السعودية الأولى استطاع جطل آخر من البيت السعودي أن يؤسس الدولة الثانية في نجد وكادت أن تبلغ في عهده مابلغته الدولة الأولى إلا أن القوى العالمية والدولية رأت خطراً في نشوء دولة قوية في قلب الجزيرة العربية، فثارت النزاع القبلية والشخصية بين الأمراء وبين القبائل مما أنهى حكم هذه الدولة، وأذن ذلك نهاية الدولة السعودية الثانية، بداية القرن الرابع الهجري عام ١٢٠٩ تقريباً.

دولة الأصالة والوحدة،

ولكن الرغبة في توحيد هذا الوطن على أسس إسلامية قوية دعا القائد البطل عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود، أن يعاود الكرة لإقامة هذه الدولة عام ١٢١٩هـ حينما فتح "الرياض" بنقله من الأبطال لم يتجاوز عددهم الأربعين رجلاً إلا قليلاً (٣) وجميع من كتب عن القائد الموحد المؤسس محباً له كان أو كارهها يعترف له بصفات متميزة، جعلت منه النموذج الأمثل للقائد العربي المسلم، الذي يتميز بالشجاعة وقوة العزيمة والحكمة والحكمة السياسية والعسكرية فضائل أخرى عديدة، مع إيمان راسخ بقضيته التي دفعته التضحية بكل ما يملك، وحتى بذل روحه في سبيل غايته، وقضيته هي أن هذه البلاد لا يوجد إلا الإسلام، ولا يعيد إليها العز إلا اتباع أحكامه، وإقامة النظام على أسبسه وثوابته، فهو يقول: (لا ينهض المسلمون بغير الرجوع إلى دينهم والتمسك بعقيدتهم الصحيحة، والاعتصام بحبل الله سبحانه، والطريق إلى ذلك واضح معبد لمن أراد سلوكه، وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بالتوحيد الخالي من الشرك والبدع، والعمل بما يأمرنا به الدين، لأنه لا فائدة من قول بلا عمل) ويقول: (إن الإسلام هو الوسيلة لسعادة الدنيا والآخرة) (٤) ذلك فقد أقام



خطوات الرائدة، التي صنعوا بها كياناً كبيراً مستقراً تنعم به اليوم، فرحمه الله رحمة واسعة، وإنا في هذه المناسبة الأثيرة إلى نفوسنا نتذكر جهوده الرائعة، ونحن على يقين أن دولتنا الراشدة الرشيدة آمنة من كل الأخطار مادامت على المنهج القويم الذي اختطه لها القائد الموحد المؤسس وسار على دربه قادتها من بعده والله ولي التوفيق.

- (١) من مقدمة كتاب "أسرارة الليل هتف الصباح" للشيخ عبدالعزيز التويجري ص ١٨، ١٩
- (٢) تاريخ المملكة العربية السعودية للدكتور عبدالله صالح العثيمين بدءاً من ص ١٧١ وحتى ص ١٩٧.
- (٣) صقر الجزيرة للأستاذ أحمد عبدالغفور عطار ص ٢٤٤.
- (٤) كتاب "أسرارة الليل هتف الصباح" لمعالي الشيخ عبدالعزيز التويجري ص ٧٨٢ و ٧٨٣.
- (٥) السعوديون والحل الإسلامي للأستاذ محمد جلال كشك ص ٣١، ٣٢.
- (٦) السعوديون والحل الإسلامي. للأستاذ محمد جلال كشك ص ٣١.
- (٧) نفس المرجع ص ٦٥٩ وما بعدها.

نظامها في قلب الجزيرة العربية، وأصبحت مثلاً يحتذى للعالم الإسلامي كله، فوصف هؤلاء بأنهم يتعبدون عن جهل ويتقربون عن جهل، وأمرك النوايا من بعض الغلاة، الذين يتشددون بالدين، ويصير معهم تعصبات وأمور مخالفة للشرع وهم مغرورون، ومن معهم ممن له مقاصد سيئة كطمع وغيره كما كان يقول، (٧) لذلك حسم الأمر برأي جامع من العلماء والأمة وردع المتجاوزين للحدود، دون أن ينتقص لهم حقاً، أويستى إليهم، وقد كانوا من رجاله ونواة جيشه حينما وحد هذا الوطن، ولكن الحكمة تقتضي إقامة الدولة على أصولها الإسلامية وأساليب الحياة المعاصرة.. وهكذا كان.

إن شخصية الملك الموحد المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - يرحمه الله - شخصية قوية ذكية نادرة، فقد عرف بلاده وأهلها، وما يمكن أن يؤدي إلى وحدتها، فهم عرب أقحاح لهم عزة وكرامة، لا يخضعهم إلا الحق المتمثل في الإسلام نظاماً ومنهجاً، فجمعهم به وتسامح مع أفرادهم وجماعاتهم، ثم بنى دولة عصرية لها كل مقومات الدولة الحديثة، وما تنعم به بلادنا اليوم من ازدهار وأمن ورخاء يعود كله إلى ذلك الغرس، الذي زرعه القائد الموحد، الذي رعى أبنائه القادة من بعده على ما كان يؤمن به وعنه يدافع، وأوحى إليهم بكل هذه



كفاح وإصلاح

أركان هذه المملكة قامت على التوحيد والوحدة.. مجلة المنهل ظلت المدونة الوثائقية لراحل تطور المملكة ونهضتها..

أحمد محمد الصانغ - جدة

حقاً لقد قامت الدولة السعودية منذ عهدها الأول على قواعد راسخة ومبادئ سامية مستمدة من منهج الإسلام الصحيح. والتزمت بالعقيدة والشريعة الإسلامية، وناصرت دعاة الإسلام منذ عهد الإمام محمد بن سعود رحمه الله حيث واكبت هذه الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ الجليل محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث.

يأتي الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذي يعتبر من أبرز زعماء الإصلاح في العصر الحديث، وقد كرس حياته لتوحيد المملكة، وعمل على إزالة عوامل التخلف المتمثلة في (الفقر والجهل والمرض) وانتشل البلاد من الفوضى والصراعات الإقليمية والقبلية، وقادها إلى عهد النظام والوئام في ظل شريعة الإسلام، ووطد دعائم الأمن والاستقرار، ووضع البلاد على طريق النهضة الحديثة التي امتدت وتنامت وازدهرت على أيدي من خلفوه من أبنائه الميامين، كما كانت للملك عبدالعزيز مواقف المشرقة في خدمة القضايا العربية والإسلامية في المحافل الدولية.

وكانت العلاقة الوثيقة بين الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب وحدة الهدف بينهما نقطة تحول في تاريخ الجزيرة العربية، وأساساً قويا للإصلاح الديني والاجتماعي الذي شمل الحاضرة والبادية، واستقطب الكثيرين من المؤيدين والأنصار من رجال العلم والفكر ودعاة الإصلاح من ذوي الفهم السليم لأصول الإسلام في الأقطار العربية والإسلامية.

وقد نالت الدولة السعودية في فترات الثلاث عناية واهتمام الكثير من الباحثين والمؤرخين وخاصة الفترة الثالثة التي تمثل تأسيس المملكة العربية السعودية على

وما قبل ظهور البترول في المملكة كانت تعتمد على إمكاناتها الذاتية المتاحة وجهود ونشاط أبنائها في مجالات التجارة والزراعة والثروة الحيوانية، والتعامل التجاري مع الأقطار العربية المجاورة وغيرها من الدول على أساس المصالح المشتركة والاخترام المتبادل.

وفي عهد الملك عبدالعزيز تحقق أهم إنجاز حيوي وهو اكتشاف البترول في المملكة ثم إنتاجه وتصديره، وقد أصبح يشكل أهم مصدر تعتمد عليه بعد الله سبحانه وتعالى موارد الدولة، وتمويل مشاريع التنمية الشاملة والبنية الأساسية لنهضة وتطوير البلاد في شتى المجالات.

وقد شهدت المملكة نهضة مباركة وتطوراً سريعاً ومدهشاً خلال الثلاثة عقود الأخيرة من تاريخها أي منذ بداية تنفيذ الخطط الخمسية للتنمية منذ عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م وقد أولت خطط التنمية جل الاهتمام لتطوير المواطن والمجتمع. ومن أهدافها تعميق الولاء والانتماء لدى المواطنين. ومع استمرار الحكومة الرشيدة في تنفيذ خطط التنمية وحرصها على النمو والتطور فهي تؤكد على ضرورة التمسك بتعاليم الدين الإسلامي والمحافظة على التراث والقيم الإسلامية.

ومن بعد عهد العاهل المؤسس الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه سار من تعاقبوا على الحكم من أبنائه الأمانة على المنهج الذي قامت عليه هذه الدولة وهو منهج الإسلام عقيدة وشريعة.

وشواهد ومعالم النهضة بارزة في سائر مدن وقرى المملكة من النواحي العمرانية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية. وحسبنا أن نذكر بكل اعتزاز ما بذلته وتبذله الدولة من جهود وعناية خاصة بشؤون الحرمين الشريفين وتيسير سبل الحج والعمرة للحجاج والمعتمرين وزوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.. لقد بذلت الدولة ما في وسعها في سبيل توسعة الحرمين الشريفين وتطوير المشاعر المقدسة. وفي كل عام تحشد الدولة كل الإمكانيات والوسائل والطاقات البشرية اللازمة لتأمين الخدمات المطلوبة لضيوف الرحمن طوال إقامتهم في الديار المقدسة وحتى عودتهم إلى ديارهم سالمين غانمين.

وتشيد وسائل الإعلام العربية والإسلامية بما تؤديه المملكة حكومة وشعباً من خدمات جليلة ومتميزة لضيوف الرحمن التزاماً بواجبها الإسلامي، وأذكر ما سبق أن نشرتته إحدى الصحف الغربية الأسبوعية من حقائق ضمن الحديث الذي أدلى به إليها معالي وزير الحج آنذاك الدكتور محمود محمد سفر والذي ورد فيه قوله:

"نحن نتعامل مع ما لا يقل عن ١٢٠ نوعية من الحجاج بجنسيات مختلفة ولغات مختلفة وإمكانيات اقتصادية مختلفة، وبمستطاع أن نؤكد أن ما لا يقل عن ٤٠ إلى ٦٠٪ من طاقة المملكة الإنتاجية يصرف على أمور الحج في فترة الحج وفي أيام الذروة فجميع أجهزة الدولة يشتتى تخصصاتها تجتهد تجنيداً كاملاً خلال أشهر الحج لخدمة ضيوف الرحمن".

وبذلك ينعم الحجاج بأداء مناسكهم في أجواء إيمانية، ومشاعر تقيض بالقبطة والسورور لما يجدونه من كريم العناية، وما يشاهدونه من إنجازات تبعث على التقدير والإعجاب وفي مقدمتها المشروع الإسلامي الخالد لتوسعة الحرمين الشريفين الذي لم يسبق له مثيل في التاريخ وبكل المقاييس.

وتواصل مسيرة الخير والبناء والعطاء بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود سدد الله خطاه لمواصلة جهوده الإصلاحية الموقفة في سبيل رفعة الوطن وتوطيد الأمن والاستقرار، واستمرار النمو والازدهار.

ومجلة (المنهل) الرائدة تعتبر أولى المجلات السعودية التي واكبت مراحل النهضة منذ بداية صدورها عام ١٣٥٥هـ في عهد الملك عبدالعزيز وفي ظل رعايته وتشجيعه، وصدور (المنهل) في تلك المرحلة من تاريخ المملكة خير دليل على مدى تقدير الملك عبدالعزيز رحمه الله لور الصحافة الهادفة وأثرها الإيجابي في تنوير وتطوير المجتمع.

وقد ظلت (المنهل) تلتزم بديورها وواجبها الديني والوطني وتمير في كل مناسبة عن الولاء للقيادة الحكيمة، والوفاء للمؤسس العظيم لهذا الكيان الشامخ. ومن مظاهر هذا الوفاء أن مؤسس (المنهل) الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري رحمه الله أصدر عريضةً خاصاً من (المنهل) عن ذكرى وسيرة جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله في شهر ربيع الأول عام ١٣٧٧هـ - نوفمبر ديسمبر ١٩٥٦م.

وقد افتتح الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري ذلك العدد بمقال ضاف بعنوان (عظمة وخلود) تضمن قوله: "فقد أسس الملك عبدالعزيز مملكة مترامية الأطراف، من شتات وأشتات، ونعم يحزمه وحكمته، ويكرمه وحلمه، وطيب سجاياء وحديثها وكيانها. حتى أصبحت بلاده مرموقة المكانة، وشعبه محترم الشخصية، وقد عاكز جلالته الحواريات، وذلل الأعداء، وجالل وكافح، وناضل، وسهر الليالي الطوال في تكوين هذه المملكة الفتية، وكانت سياسته الحكيمة عربية إسلامية عريقة أصيلة.. إلخ".

يُسْرَ الإسلام ورحمته في فرض الصيام

لفضيلة الشيخ/ محمود شلتوت - رحمه الله

استقر في ضمير المؤمنين أن ما ثبتت فرضيته أو حرمت ليس محلًا للرأي، ولا مجالًا للاجتهاد الذي أباحه الله للعباد، واستقر كذلك في ضميرهم أن من يعيث بشيء من الأحكام القطعية، ويتخذ ذلك العيث باسم "الرأي وحرية" قنطرة يعبر عليها إلى فتنة الناس في دينهم، أو زعزعة إيمانهم، أو الحصول على شهرة زائفة مفتعلة، أو متاع زائل حقير كان هو ومن يتبعه ويصدقه ومن يقويه وينفخ فيه، كان "ثلاثتهم" في الخروج عن دين الله سواءً، وكان جديرًا بالمؤمنين الصادقين أن ينبذهم بنذ النواة، وأن يسموهم على الخرطوم بحروف بارزة "ضالون مضلون" (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير * ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزى وثيقه يوم القيامة عذاب الحريق).

إن لكل دين إلهي أو نظام بشري دائرة مقدسة وشقة محرمة لا يسمح الدين ولا أهل النظام أن تمس، وإذا مست عن قرب أو بعد كان مسها اعتداءً صارخًا عليها، وتقويضًا لقداستها وانتهاكًا لحرمتها، ولا يبرره أنه رأى، وحرية الرأي مكفولة، فإن للرأي في الشرائع - سماوية أو وضعية - مجاله، والدائرة المقدسة مجالها، وعلى هذا طبع النفوس في معتقداتها ونظمها ودساتيرها. ومن جهة أخرى فقد بنى الإسلام تشريعه كله على



اليسر والرحمة، ولم يقصد بتكاليفه -يوجه عام- عبثاً ولا إرهاقاً (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا). (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)، ومن ذلك رخص لمن أخرجه على الكفر أن ينطق بكلمته وقلبه مطمئن بالإيمان، ورخص لمن أشرف على الهلاك أو خاف الضرر بجوع أو عطش أن يكل أو يشرب مما حرمه الله بقدر ما يحفظ عليه حياته، أو يدفع عنه ضرره، حتى إذا ما تزمت في التدين، وامتنع باسمه عن الأكل أو الشرب حتى مات، أو أصيب بزمانة كان أثماً عند الله مسرفاً في تدينه، (فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

وكذلك أباح لمن يتضرر أو يخاف الضرر باستعمال الماء في طهارة الصلاة أن يتيمم صعيداً طيباً، وأباح الصلاة في مواطن الخوف والمشقة، مخففة في عدد ركعاتها، وكيفية أدائها، حتى لقد تقبلها رمزاً بحركة رأسية أو عينية. وأباح ترك الحج عند خوف الطريق، وجعل أمنه والقدرة على نفقة الذهاب والإياب زائدة عن نفقة الأسرة من الاستطاعة التي لا يجب الحج إلا بها.

وعلى هذه السنة الرحيمة العامة في التكاليف كلها فرض الله صوم رمضان، وجعل الناس بالنسبة إليه واحداً من ثلاثة:

١- مقيم سليم قادر عليه دون ضرر يلحقه أو مشقة ترهقه، والصوم واجب محتم عليه. وهذا هو الأصل الذي نظر فيه إلى السلامة من العوارض، وهو المذكور بقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) وقوله (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)

٢- مريض أو مسافر، وقد أبيع له الإفطار مع

وجوب القضاء يوم بيوم عند الصحة أو الإقامة، وهو المذكور بقوله تعالى: (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) ٢- من يشق عليه الصوم لسبب لا يرجي زواله، ومنه ضعف الشيخوخة، والمرض المزمن، والحمل والإرضاع المتواليات إذا خيف على الحامل أو المرضع أو الرضيع، وقد أبيع لهؤلاء وأمثالهم الإفطار دون قضاء، واكتفى منهم أن يطعموا بدلاً عن كل يوم مسكيناً واحداً بما يشيعه في وجبتين من طعام متوسط، ويقوم مقام الإطعام بدل ثمنه على حسب التقدير المتعارف بين الناس، وهذا هو المشار إليه بقوله تعالى: (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ)، وإنما يقال: يطيق حمل هذه الصخرة. وإن في تدل على العسر ومشقة الاحتمال.

وإن.. فحيث كان اليسر كان الصوم، وحيث كان العسر كان الإفطار، هذا هو شرع الله ونيته. وتقدير اليسر والعسر يرجع المؤمن فيه إلى إيمانه وما يحسه من نفسه، ومفتيه في ذلك ضميره، ولا حاجة بسعد معرفة المبدأ العام- إلى فتوى المفتين التي كثيراً ما توقع الناس في الصيرة والاضطراب "البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في الصدر وكهرت أن يطلع عليه الناس".

ومما يجب التنبيه عليه هنا أن المراد بخوف الضرر المبيع للإفطار هو تيقنه أو غلبة ظنه، وواضح أن ذلك يستدعي التجربة الشخصية، أو إخبار الطبيب الأمين الذي لا يعرف بالتهاون الديني. أما الخوف الناشئ عن مجرد الوهم أو التخيل فإنه لا وزن له عند الله ولا يبيع به الإفطار.



الصوم في الإسلام.. شبهات وردود

أ.د. أمان محمد عبدالمؤمن قحيف - مصر

من ثم يعرف جوهر شعار الإسلام لا يتذوق طعمها. ومن ثم يلامس الإسلام شفاف قلبه يظل حائراً متردداً يعاني الأرق والتوتر. وتظل نظرتة إلى شعار الإسلام حبيسة هذا الإحساس الذي لا يجني صاحبه من ورائه إلا مزيداً من الأرق والتوتر.. وهناك من الماديين- من أبناء أمتنا- الذين أغوتهم النزعات المادية من نظر إلى الصيام من هذا المنظور.. فذهب بوجه سهام نقده إلى الصيام كشعيرة دينية- بل يهاجم الإسلام كله- بدلاً من أن يتوقف معه وقفة علمية مدققة ليستكنه سره ويدرك جميل أثره. ولقد ظن هؤلاء أن تقديم للصيام هو قول في محله. غير مدركين أنهم يعبثون في أقوالهم كمن عز عليه استيعاب القواعد الأساسية لعلم الفيزياء- لضيق أفقه- فلم يفعل شيئاً غير أن ذهب يهاجم هذا الفرع من العلوم ويتهمة بأنه لا يتوافق مع العقل الإنساني والروح العلمية.

ولقد حدد هذا المقال لنفسه مهمة معينة ألا وهي تناول بعض الشبهات التي وقع فيها الماديون، بالرد والتحليل بهدف البرهنة على بطلانها وسطحياتها وتهافت عقول القائلين بها.

أولاً: تعريف الصيام:

جاء عند الفقهاء أن الصوم لغة: الإمساك بنية التعبد عن

الصوم عبادة تقوم

على النية

الخالصة لله تعالى

الأكل والشرب وغشيان النساء وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس^(١)... وجاء عند المفسرين أن الصوم هو الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله عز وجل لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة^(٢).. بهذا المعنى يكون الصيام عبارة عن الامتناع عن ممارسة الإنسان لسلوكه الحيواني في شكله المعتاد من تناول الطعام والشراب وتلبية حاجات الجسد من الشهوات المعلومة، شريطة أن يكون الامتناع بنية تنفيذ أمر الله وطاعته.

والملاحظ أن الفقهاء وعلماء التفسير قد ركزوا على إبراز النية؛ إذ لا بد أن تكون نية الصائم متجهة إلى أنه سيمسك عن كل المفطرات احتساباً لوجه الله الكريم وليس لأي هدف آخر.. والحق أن هذه النقطة وإن كانت مهمة في الماضي فإنها اليوم أكثر أهمية من ذي قبل؛ لأن هناك في عصرنا هذا من يمسك عن الطعام والشراب وربما سائر المفطرات لكن لأسباب أخرى غير طاعة الله عز وجل وتلبية أوامره، كالصيام من أجل الرشاقة (الرجيم) والصيام من أجل رفع اللياقة البدنية (للرياضيين) والصيام من أجل المطالبة بالحقوق السياسية فيما يسمى (الإضراب عن الطعام)... وغيرها من الأسباب التي يتمتع بعض المعاصرين عن الطعام والشراب من أجل تحقيقها.

ثانياً: قضية كل عام؛

ومع الحديث عن ظهور هلال الشهر المبارك تثار كل عام قضية الوسيلة المعتمدة في تحديد بداية الشهر، فهل تلجأ إلى الرؤية العينية المباشرة دون الاستعانة بأشوات العصر الحديث وآلياته التي أنتجها العلم المعاصر أم نزاوج بين هذا وذاك من منطلق أن العلم

الصحيح لا يتعارض مع الدين الحنيف؟.

والحق أن هذه القضية أثرت منذ فترة من الزمن غير أنها تكاد تكون قد حسمت في أيامنا هذه، حيث أكد جمهور الفقهاء المعاصرين أن الإسلام لا يرقض الاستعانة بأدوات العصر ومنجزات العلم عند الحاجة إليها.. غير أن الإنصاف يقتضي الإشارة إلى أن هناك من الباحثين من يتحفظ على الأخذ بهذا الأسلوب الجديد.. لكنهم قلة لا يمتثلون إجماعاً.

وتجدر الإشارة إلى أن رفض هؤلاء العلماء للأخذ بالأسلوب العلمي الحديث جعل جماعة من الماديين يهاجمون الدين الإسلامي ذاته، حيث ردد هؤلاء أن الإسلام لا يتوافق مع منجزات العلم، ووقعوا بذلك في الخطأ بين آراء العلماء الباحثين في الدين وبين الدين ذاته.. الأمر الذي يحضه العقاد بقوله "لا لوم على الشرع في رفض حساب العلم أو شهادة الرصد كل الرقص بغير تمييز، إذ هو جهل من المنتسبين إلى الشرع وادعاء عليه بغير بينة.. وإنما اللوم على جهل الجهلاء وجمود الجامدين"^(٣).

والرأي عند كاتب السطور أن الذين يرفضون الأخذ بالصناعات الفلكية لهم الحق في الرفض إذا كانت هذه الصناعات حسابات منجمية؛ لأن المنجم لا يعتقد برأيه في الإسلام، جاء في الفقه على المذاهب الأربعة "ولا عبرة بقول المنجمين، فلا يجب عليهم الصوم بحسابهم، ولا على من وثق بهم"^(٤).. غير أن الذي نود الإشارة إليه أن الحسابات الفلكية العلمية المعاصرة تختلف كل الاختلاف عن التنجيم الذي لا يقوم على علم دراية صحيحة، ولابد لنا من التفرقة بين علم الفلك الذي نبغ فيه المسلمون وبين التنجيم الذي رقبضه الإسلام ولم يثق فيه أهل الملة وعلماء الدين.

ثالثاً، الفضائل المادية للصيام،

أدرك الناس منذ زمن الوحي العديد من الفوائد والفضائل الروحية للصيام لذلك أقبلوا عليه وأدوه باعتباره أحد الألبس الخمس التي بني عليها الإسلام، وباعتباره فعلاً تعبدياً يبعد الصائم بزيادة روحية ومعنوية كبير.. أما في زماننا هذا الذي سيطرت عليه الفلسفات المادية فإن هناك من الناس من يقوى اقتناعه ويزداد عندما يدرك أن ثمة فضائل مادية ملموسة تعود عليه من الأفعال التي يؤديها ويقدم عليها في حياته.

وشأت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يكون للصوم منافع وفضائل المادية التي يستطيع المسلم المعاصر أن يرد من خلالها على الماديين الذين ينتقدون فعل الصيام زاعمين خلوه من الفوائد المادية التي هي عندهم أصل كل شيء - لأنهم لا يؤمنون بالفائدة الروحية والمعنوية فقد حرموا لذتها وباعد الله بينهم وبين التمتع بها؛ لأنهم فسقوا وبعدوا عن طريق الدين [إن الله لا يهدي القوم الفاسقين] (المنافقون:٦)- وغاية كل جهد إنساني في هذه الحياة.

وقد كان الماديون يظنون حتى عهد قريب أن العبادات ليس لها من المنافع المادية نصيب غير أنه في العصر الحديث قد ثبت للعبادات الروحية من الفضائل ما لم يثبت لها قبل القرن العشرين بغير فضيلة الطاعة الواجبة لأوامر الدين، أو بغير الأسباب التي ينفرد الدينيون بتفسيرها وإقامة الأدلة على لزومها، فلا تدخل في نطاق البحوث التي يتصدى لها علماء الماديات وعلماء المحسوسات.. والصيام في مقدمة هذه الأوامر الدينية التي أعيد فيها النظر بإبداء أبناء القرن العشرين، فظهرت لها مزاياها الكثيرة إلى جانب العبادة والإيمان بالغيب، مع حقوق الشهادة والعيان.. فقد أصبح أبناء القرن العشرين جميعاً يزاولون نوعاً من الصيام في وقت من الأوقات لصالح البنية أو صلاح الخلق أو صلاح النوق والجمال (ه). ومنهم من يزاول الصوم لتقوية الإرادة

الصوم تزكية للنفوس وارتقاء

بها في معارج الخير.

الإنسانية كي ما تتعود على ترك المألوف من العادات والسلوكيات اليومية العادية والتقليدية. ومنهم من يستخدم الصيام وسيلة لتحقيق غرضه السياسي، وهذا ما يسمى بـ"الصيام السياسي" أو ما يسمى في لغتنا المعاصرة بـ"الإضراب عن الطعام" .. وهكذا تتعدد الفضائل المادية للصيام وتتنوع في العصر الحديث حتى تشمل مختلف جوانب حياة الإنسان الجسدية والخلقية والنوعية والجمالية، الأمر الذي يكشف ويؤكد للماديين والمحدسين - إن كانوا منصفين - أن فرض الصيام على المسلمين لم يكن إلا من لدن عزيز حكيم.

رابعاً، كما كتب على الذين من قبلكم

ونلت نظر المتشككين والمترددين من الماديين إلى أن المتأمل في آيات الصيام يتبين له حرص القرآن الكريم على الإشارة إلى أن الصيام كُتب علينا مثماً كُتب على الأمم التي سبقتنا، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم) (البقرة:١٨٢)، ومن المؤكد أن لهذا الأمر دلالاته.. فعندما يتوقف الباحث أمام هذه الآية ويتأملها بحيادية، فإنه سيدرك - بدون عناء طويل - أنه من كلام رب العالمين لا محالة، فإله تعالى وحده هو الذي يعلم ماذا فعلت الأمم السابقة، وبماذا تم تكليفها، وما مدى استجابتها لهذا التكليف؛ قال تعالى: (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (الملك:١٤).

وإذا كانت وجهة نظر بعض المفسرين تنتهي إلى أن المقصود بالأمم السابقة: أي من أهل الكتاب، فإن المعنى قد يُجمل لدى البعض على كل الأمم السابقة على الأمة الإسلامية خاصة وأن القرآن الكريم يقول



الوسائل الحديثة لتراثي الهالال تيسر على المسلمين..

معلوم، واشتهر مثله صيام البابليين والآشوريين على نحو قريب من الصيام الذي تعلمه منهم اليهود أيام السبي متابعة للشعائر الدينية التي جاء بها الرسل الأسبقون قديماً بين النهرين، وأولهم نوح عليه السلام على القول المشهور.. وكان الصيام معروفاً عند المجوس الزرادشتيين ولكنهم - أو طائفة منهم - حرّموه أخيراً لثورتهم على العبادات البرهمية والعبادات الآشورية بعد اصطدام العقائد الجديدة بالعقائد الموروثة السابقة عليهم.. ولا يندر الصيام في أمة من الأمم الكبيرة غير الأمم النيوتونية من أبناء الشمال، فإنه قليل في تاريخهم القديم وإن لم يكن مهملًا كل الإهمال، ولعلمهم ألقوا

[كما كتب على الذين من قبلكم] ولم يحدد من أهل الكتاب أو من غير أهل الكتاب، لذا فقد يحمل المعنى على جميع الأمم السابقة كتابية كانت أو غير كتابية.

ويرى كاتب هذه السطور أن هذه الآية تثبت أن القرآن الكريم كلام الله لا محالة لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن قد درس تاريخ الحضارات الإنسانية السابقة ولم يكن من علماء الأنثروبولوجيا، أي لم يكن لديه المخزون المعرفي الذي يسمح له بأن يقرر حقيقة علمية كهذه الحقيقة التاريخية التي لم يعرفها إلا علماء العصر الحديث، حيث إن المتواتر من أقوال الباحثين عن عادات الأجناس البشرية أن الصيام بجميع أنواعه قديم في أمم العالمين القديم والحديث.. ففي حضارات أمريكا آثار تدل على قدم الصيام بين شعائر العبادة التي دان بها سكانها الأصلاء قبل ميلاد السيد المسيح، وقد اشتهر الصيام البرهمي والبوذي منذ أقدم العصور التاريخية، مع تحريم أكل اللحم كما هو

منه لصعوبة الاستغناء عن الطعام زمناً طويلاً في البرد الشديد، أو لصعوبة توقيت المواعيد حيث تطول الفترة بين شروق الشمس وغروبها، فلا ينتظم التوفيق بينهما وبين وجبات الطعام (٦).

ومن هذا المنطلق يستطيع الباحث الانتهاء إلى أن الأمم السابقة على الإسلام - سواء كانت كتابية أم غير كتابية - قد صامت وعرفت الصيام، وبُنيت هذه المعرفة إما على تشريع ديني أو على عرف اجتماعي، فهناك بعض الأمم التي تركت مسار دينها غير أنها صامت وأقرت الصيام لأسباب أخرى غير طاعة أوامر الله والسير على منهجه.. وهذا الأمر يجعلنا نقول ونكرر في اطمئنان مع القرآن الكريم (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) (البقرة: ١٨٣).

خامساً: مزايا الصوم في الإسلام:

ويتساءل بعض الماديين: هل ثمة مزايا للصوم في الإسلام تميزه عن غيره من أشكال الصيام وصوره في الحضارات الأخرى؟.. ولهؤلاء نقول: تعددت أنواع الصوم التي شهدتها الإنسانية وتنوعت، وجاء هذا التعدد والتنوع بحسب الأهداف والغايات التي أنيط بالصوم تحقيقها والوصول إليها، فهناك صوم كان يباط به تقوية الإرادة الذاتية للصائم بينما صوم آخر يراد به الاعتذار عن معصية والتوبة من ذنب وهناك صوم هدفه إدراك ظروف الفقراء من ثم ينمي الصوم داخل نفس الصائم الإحساس بهم والعطف عليهم وهناك صوم يمارسه أهله طلباً للرشاقة الجسدية وتحسيناً للياقة الرياضيين البدنية وهناك صوم يهدف تهذيب الأخلاق وتكريس القيم الإنسانية.. إلخ.. ويتميز الصوم في الإسلام بميزتين عن بقية أنواع الصوم الأخرى، نذكرهما على النحو التالي:

أولاً: أنه قادر على تحقيق كل الأهداف والغايات التي أرادت أنواع الصوم الأخرى الوصول إليها وتحقيقها

إذ عند المقابلة بين أنواع الصيام تتبين مزايا الصيام الإسلامي بين جميع هذه الأنواع، فإنه واف بالشروط العامة للصيام المفروض بحكم الدين أو المتبع لرياضة الأخلاق، وهو على ذلك صالح لمقاصد التطهير والعطف والتوبة، والتكفير.. ولا جدال في رجحان الصيام بنظامه الإسلامي، على نظام الصيام الذي يتحرى الصائم فيه اجتناب بعض الألوان من الأطعمة الفاخرة أو الأطعمة الشهية، فإن اجتناب بعض الألوان لا يكفي لترويض وظائف الجسد وتغليب حكم الإرادة عليها، إذ كانت هذه الوظائف تؤدي عملها بكل لون من ألوان الطعام، وقد يكون فيه ترويض للنوق على اجتناب الذائذ والشهوات الجسدية، ولكنه ترويض ينتفع به القادرون على تحصيل الطعام اللذيذ والطعام الثمين، ولا رياضة فيه - حتى اللزوق عند فقدان القدرة على تحصيل هذه الأطعمة في جميع الأوقات.. لا جرم كان الصيام في الإسلام نظاماً لا يفضلته نظام بين شتى الأنظمة التي تقدمت بها فرائض الصيام (٧).

ثانياً: كونه متوازناً غاية التوازن، فهو ليس سهلاً يستخف به الإنسان فلا يحقق الأغراض التي شرع من أجلها ولا هو شديد الصعوبة يجهد الإنسان حتى يهلك أو يسبب له الكثير من الإرهاق، فالصيام في الإسلام ليس للدهر كله ولا لبعض من الوقت يسير، بل أيام معدودات وهي أيام شهر رمضان، ومن طلوع الفجر إلى غروب الشمس، إذ لو كان الصوم للدهر كله، أو لليوم واليلة لكن فيه مشقة، ولو كان لبعض اليوم ما كان له من أثر، وإنما كان على هذا النحو من الفجر إلى الغروب وأياماً معدودات.. وإلى جانب هذه الرحمة فإن الإنسان الذي به مرض ويضره الصوم، أو المسافر سقراً طويلاً، ويشق عليه الصوم شرع الله تعالى لكل من المريض والمسافر أن يفطرا ويقضيا أياماً بقدر الأيام التي أفطرا فيها رحمة وتيسيراً (٨).. ويضاف إلى ذلك مراعاته لظروف الحائض والنفساء.

الطاعة تسوق لطاعة بعدها.. والمعصية مهلكة وترد..

الخلاصة

شرع الله تعالى الصيام للمسلمين وفرضه عليهم بشروط، وتعرض الصيام شأن العديد من التشريعات والفروض الإسلامية للنقد من غير المسلمين أو حتى من المسلمين الذين انبهروا ببعض الأيديولوجيات التي تتناقض جوهرياً مع الدين الإسلامي وشرائعه وفروضه.

ولنا أن نؤكد للماديين على نقطة نراها مهمة وهي: أنه لا بأس من التماثل والنقد فذلك سبيل الإقناع، والدين لا ينتشر إلا بالإقناع ولا مجال فيه للإكراه أو الضغط، قال تعالى [لا إكراه في الدين] (البقرة: ٢٥٦).

من ثم فلا ضير في التساؤل والتماثل والمجادلة بالتي هي أحسن، بل الضير في العناد والشقاق والتشدد الذي يورث الكراهية والبغضاء ويحجب القلب والعقل ومختلف الحواس عن الامتثال للحقيقة والمعرفة الصحيحة السليمة، الأمر الذي أشار إليه القرآن الكريم عندما قال: [إننا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا] (الكهف: ٥٧).

الهوامش:

- ١- راجع الفقه على المذاهب الأربعة، قسم العبادات، طبعة وزارة الأوقاف المصرية، شوال ١٤٠٦ هـ رية/ يوليو ١٩٨٦م، صه وانظر أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، المدينة المنورة، ص٦٠.
- ٢- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار التراث



العربي، القاهرة، بدون تاريخ، ج١، ص٢١٣.

٣- العقاد، يوميات، دار المعارف، القاهرة، ج٣، ص٦٤٥.

٤- راجع الفقه على المذاهب الأربعة، مرجع سابق، ص١٢، ١٣.

٥- العقاد، يوميات، ج١، ط٢، ص٢٨٥، ٢٨٦.

٦- المصدر نفسه، ص٢٨٨.

٧- المصدر نفسه، ص٢٨٨.

٨- دكتور أحمد عيسى هاشم، الصيام في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١، ص١١.

صيام الأمم السابقة

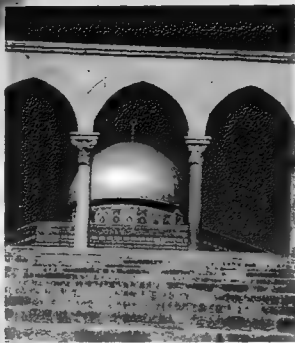


فضيلة الشيخ عملية مشر

رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف سابقاً

والصوم في الإسلام إمساك عن الطعام والشراب والشهوة الجنسية من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وصوم الأمم السابقة مختلف في موقعه من شهور السنة، وفي مدته، وفي كفيته. وعرفنا من صيام السابقين صوم عاشوراء عند اليهود شكراً لله على نجاة موسى - عليه السلام - من الغرق كما ثبت في الحديث الصحيح، وما سوى ذلك يعرف من كتبهم، واليهود المعاصرون يصومون ستة أيام في السنة، وأتقيائهم يصومون شهراً، وهم يفترون كل أربع وعشرين ساعة مرة واحدة عند ظهور النجوم.

الصِّيَامُ يُوجِبُهُ عَامٌ فَرَضَ عَلَى غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)، وليس في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية بيان كيفية صيام السابقين، وإن كانت الآية تقول عن مريم -عليها السلام- كما أمرها الله: (فَأِمَّا تَرِينِ مِنَ النَّبَشِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًا)، وهو في ظاهره الإمساك عن الكلام، وقد يكون عن أشياء أخرى. وأخير الحديث المتفق عليه أن داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً.



الصيام مضطجعين على الحصى والتراب في حزن عميق.

وفي سفر الخروج أن موسى - عليه السلام - كان هناك عند الرب أربعين يوماً وأربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماءً، وفي إنجيل متى أن المسيح صام أربعين يوماً في البرية.

وجاء في كلام النبي حزقيال أن صيامه كان عن اللحوم وما ينتج عن الحيوان، وكان النبي دانيال يتمتع عن اللحوم وعن الأطعمة الشهية مدة ثلاثة أسابيع، وجاء في الترجمة السبعينية أن داود قال: ركبتاي ضعفتان من الصوم، ولحمي تغير من أكل الزيت.

والذين لا يدينون بدين سماوي كان عندهم صيام كالبراهمة والبوذيين في الهند والتبت، ومن طبقوسهم في نوع منه الامتناع عن تناول أي شيء حتى ابتلاع الريق لمدة أربع وعشرين ساعة، وقد يمتد ثلاثة أيام لا يتناولون كل يوم إلا قسحاً من الشاي، وكان قساوسة جزيرة كريت في اليونان القديمة لا يأكلون طول حياتهم لحماً ولا سمكاً ولا طعاماً مطبوخاً.

ويصومون اليوم التاسع من شهر "أغسطس" كل سنة في ذكرى خراب هيكل أورشليم، والنصارى يصومون كل سنة أربعين يوماً، وكان الأصل في صيامهم الامتناع عن الأكل بتاتاً، والإفطار كل أربع وعشرين ساعة، ثم قصره على الامتناع عن أكل كل ذي روح وما ينتج منه، وعندهم صوم الفصول الأربعة، وهو صيام ثلاثة أيام من كل منها، وصيام الأربعاء والجمعة تطوعاً لا فرضاً.

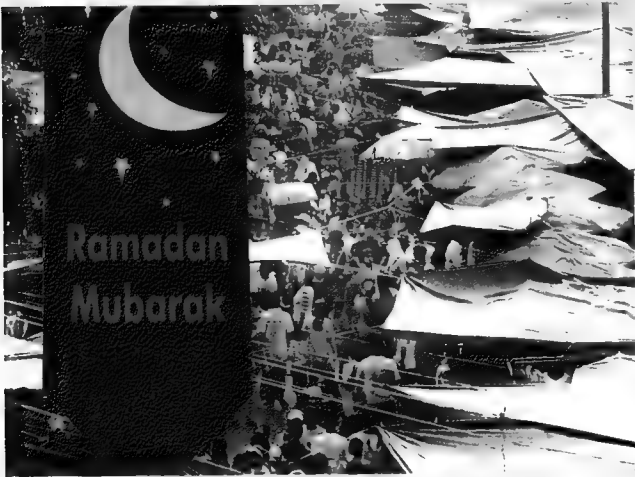
جاءت في تفسير ابن كثير أقوال عن بعض الصحابة والتابعين أن صيام السابقين كان ثلاثة أيام من كل شهر ولم يزل مشروعاً من زمان نوح إلى أن نسخ الله ذلك بصيام شهر رمضان، كما ذكر حديثاً عن ابن عمر مرفوعاً أن صيام رمضان كتبته الله على الأمم السابقة.

وجاء في تفسير القرطبي أن الشعبي وقتاده وغيرهما قالوا: إن الله كتب على قوم موسى وعيسى صوم رمضان، فغيروا وزاد أجبارهم عليه عشرة أيام، ثم مرض بعض أجبارهم فنذر إن شفاه الله أن يزيد في صومهم عشرة أيام ففعل، فصار صوم النصارى خمسين يوماً، فصعب عليهم في الحر فنقلوه إلى الربيع، واختار النحاس هذا القول، وفيه حديث عن دغفل بن حنظلة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم ذكر أقوالاً في أن تشبيه صيامنا بصيام السابقين هو في فرضيته وليس في صفة ولا في مدة.

ومن مراجعة كتب التاريخ وأسفار العهد القديم والجديد رأينا أن قدماء اليهود كانوا لا يكتفون في صيامهم بالامتناع عن الطعام والشراب من المساء إلى المساء، بل كانوا يمتصون

إلى كل من كان يترك الصيام في شهر رمضان

هذه مجموعة أسئلة قدمت للشيخ الدكتور يوسف القرضاوي وأجاب عنها **أحفظه الله تعالى**.



٣٢

ما الأمر حول ما مضى من السنوات العشر؟ هل أصوم قضاء بمعدل شهر عن كل سنة، وهذا ثقيل علي، أم أكفر عن العشر سنوات التي مضت، أم هل أنا مطالب بصيام سنتين يوماً عن كل يوم أفطرته بمعدل (١٠ يوم × ٣٠ يوم × ١٠ سنوات) على اعتبار أن كفارة إفطار يوم عمداً من غير عذر تكون مثل كفارة الظهر كما قرأت ذات مرة في فتوى شيخ الأزهر سيد طنطاوي.

السؤال: أنا لم أصم رمضان طيلة عشر سنوات، أي منذ كان عمري ثلاثين سنة، لسبت مريضاً ولا منكراً لفرضية رمضان ولا جاحداً، بل أقر بأن رمضان فرض على كل مسلم بالغ صحيح عاقل، وأنه الركن الرابع من أركان الإسلام، لكنني كنت أفطر لضيق نفسي وطغيان شهوتي. وفي العام السابق صمت رمضان والحمد لله، ولكن

علما بأنني لم أنقطع عن الصلاة.. منذ تلك العشر سنوات وإلى الآن.

أهيدوني.. كيف يكون لي إصلاح ذلك الفساد؟

● من تعمد عدم الصيام في شهر رمضان فهذا لا تجب عليه الكفارة، ولكن عليه أن يقضي أياما غير الأيام التي أفطرها توبة إلى الله، وبراعة إليه من هذا الذنب العظيم، والكفارة تجب على من نوى الصيام ثم أفسه بالجماع.

وليس معنى هذا أن من تجزأ على تعمد الإفطار أقل إثما ممن نواه ثم ضيع أثناء النهار فغلبته شهوته، ولكن ذلك كمن حلف يمينا على أن لا يفعل شيئا، فله أن يكفر عن هذا اليمين، ويأتي ما حلف عليه، أما من حلف بالله كاذبا فلا تقيد الكفارة ولا تشرع في حقه.

ذلك أن تعمد عدم الصيام في رمضان، وتعمد الحلف كاذبا من الذنوب الكبار التي لا تحوها الحسنات، ولا تجبرها الكفارات، ولكن لابد لها من توبة يحوبها ذنوبه السالفة.

لن أؤنب الأخ على ما فرط في جنب الله، وعلى تضجيعه فريضة صوم رمضان، وهي من أعظم فرائض الإسلام - عشر سنوات كاملة - فيكفي تأنيب الأخ لنفسه، وما يعانیه من لوم النفس، وتعذيب الضمير. فله الضمد أن استيقظت نفسه (اللوامة) بعد أن سيطرت عليه سنن نفسه (الأماره بالسوء).

والعجيب أننا نرى كثييرا من المسلمين والمسلمات يصومون رمضان، ولكنهم - وأسفاه - يتركون إقامة الصلاة، وهي أعظم فرائض الإسلام بعد الشهادات، فلا يجترئ على انتهاك حرمة رمضان بالإفطار فيه عمدا، إلا امرؤ فاجر، والفياء بالله تعالى شاته.

ولكن الأخ السائل عكس القضية، فحافظ على الصلاة، وضيع الصيام: الفريضة السنوية

التي أوجبها الله تعالى شهرا في كل عام، ليهب النفوس لتقوى الله عز وجل، كما قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام، كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) البقرة: ١٨٣

وما دام الأخ السائل معترفا بأنه لم يكن منكرا ولا جاحدا لفريضة الصيام في شهر رمضان، بل مقرا بأن صومه فرض على كل مسلم بالغ عاقل لا عذر له، وأنه الركن الرابع من أركان الإسلام، وأنه كان يؤدي الصلوات في تلك السنوات.. فلا يمكننا أن نقول: أنه بدأ الإسلام من جديد، والإسلام يجب ما قبله، وأنه كان كافرا فأسلم واعتدى، والله تعالى يقول: (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) الأنفال: ٣٨

فمن الواضح أنه كان مسلما عاصيا، مفرطا في جنب الله، مقصرا عن طاعته، مضيعا لفريضة من أقدس فرائضه، وركن من أعظم أركان دينه، وهذا يعني أن هذه الأشهر العشر التي فاتته صيامها في تلك السنين: دين في عتقه، يلزمه قضاؤها، مثل كل الديون الواجبة على الإنسان، لله أو للناس. وفي الحديث الصحيح: (بين الله أحق أن يقضى

ومضي تلك السنين لا يسقط هذا الدين أو هذا الحق الواجب لله على عبده، فإن مضى الزمن في الإسلام لا يسقط حقوق العباد، ولا حقوق الله. بل يظل لازما في رتبة كل مدين، حتى يؤديه أو يؤدي عنه، أو يطالب به يوم القيامة.

والمطلوب هو: قضاء يوم عن كل يوم: أي (٣٠٠) ثلاثمائة يوم عن تلك السنين العشرة. وليس سنين يوما عن كل يوم كما قال الأخ: ١٨٠٠ = ٣٠ × ٦٠ = ثمانية عشر ألف يوم.

وربما يقول هذا بعض الناس أو يتصورونه: على أساس أن من أفطر عمدا في نهار رمضان بالجماع في بعض المذاهب، وبه وبالأكل والشرب في مذهب أخرى - يجب عليه

كفارة مغلفة عن كل يوم: تحرير رقبة، أو صوم شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكينا، على الترتيب، أو على التخخير، حسب اختلاف الأئمة رضي الله عنهم.

ولكننا نقول: هذه الكفارة إنما هي حق من صام وأفطر عمداً في صيامه، فجعلت هذه الكفارة تطهيراً له.

أما من لم يصم أصلاً، فهذا لا كفارة له. مثل اليمين المنعقدة فيها الكفارة، أما اليمين الغموس التي يتعمد الحالف فيها الكذب فلا كفارة فيها، بل فيها التوبة فقط.

وكذلك القتل الخطأ، فيه الكفارة، وأما القتل العمد، فلا كفارة له، بل فيه التوبة بشروطها.

فباب التوبة مفتوح لكل ذنب صغر أو كبر، سواء أكان ترك مأمور، أم فعل محظور.

ولكن التوبة لا تكون صادقة، ولا تقبل حقاً، إلا إذا صاحبها أداء الحقوق إلى أهلها: حقوق الله، وحقوق العباد، فهذا شرط لا بد منه لقبول التوبة عند الله جل جلاله.

ولا تقبل القدية عن صيام كل يوم: إطعام مسكين، إلا ممن عجز عن الصيام تماماً، ولم يعد قادراً على صيام رمضان أداءً، فيسقط عنه قضاء.

إما إذا قدر، فلا يصح منه إلا الصيام. وأنصح الأخ أن يصوم في أيام الشتاء، فهي أيام قصيرة وباردة، وكثير من المسلمين يصومون فيها تطوعاً. كما قيل: الشتاء ربيع المؤمن: قصر نهاره فصامه، وطال ليله فقامه.

يستطيع الأخ أن يعزم على الصيام في كل سنة في الشتاء: ثلاثة أشهر متتابعة، وأؤكد له أنه حين يتابع الصوم، سيسهل عليه، ولن يشعر بأي حرج أو ثقل، وخصوصاً مع شعوره بأنه يتلافى نقصيره فيما مضى، ويؤدي دينه، ويرضي ربه، ويصحح توبته، ويبيض صفحته.

قضاء ما فات من رمضان في شعبان

السؤال: كيف أقضي ما فات من رمضان؟

● ما فات من رمضان من أيام على المسلم أو على

المسلمة فعليه أن يقضيه عند الاستطاعة حينما تتاح له الفرصة، طيلة أشهر العام، قبل رمضان التالي، ومعنى هذا أن أمام المسلم أحد عشر شهراً يستطيع أن يقضي فيها ما فاتته من رمضان، سواء كان أفطر لعذر مرض أو سفر أو لعذر حيض أو لغير ذلك من أذكار.

وهناك نوع من السنة في الشرع، لقضاء ما فات من رمضان.

يستطيع المسلم أن يقضي في شوال أي بعد رمضان مباشرة، وما بعد شوال.

ولا شك أن المبادرة أفضل، مسارعة في الخيرات، كما قال تعالى: (فاستبقوا الخيرات) ولأن الإنسان لا يضمن أجله، ولهذا يكون الأحوط لنفسه، والأضمن لأخوته أن يجعل بإبراء ذمته بقضاء ما فاتته.

فإذا أجله لعذر ما، كشدة الحر، أو لضعف وعجز في صحته، أو طرأت عليه مشاغل لم يتمكن معها من الصوم قضاء ما فاتته، يستطيع أن يقضي إلى رمضان الآتي.

فإذا جاء شعبان ولم يقض ما فاتته، فإن عليه أن يقضي في شعبان، لأنه الفرصة الأخيرة وقد كانت تفعل ذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقد كانت كثيراً ما يفوتها بعض أيام من رمضان، فتقضيها في شعبان... وذلك لا حرج فيه، وإن كان هناك اشتباه لدى بعض الناس في هذا الأمر: فهذا لا أساس له من الشرع... إذ كل الشهور يمكن أن تكون محلاً لقضاء ما فات من رمضان.

ولكن يجب أن إنساناً كان مريضاً في شهر رمضان الماضي، وحتى الآن، وقد وافاه رمضان التالي وهو على حاله من المرض، لا يستطيع قضاء ما فاتته إلا بمشقة شديدة وحرج وإعناء... مثل هذا يبقى ما فاتته من صيام رمضان ديناً مؤجلاً عليه إلى ما بعد رمضان، حين يستعيد صحته ومقدرته على الصيام، ولا حرج عليه في ذلك، قاله تعالى ختم آية الصوم بقوله: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)

البقرة: ١٨٥



هل يحوز شواب ليلة القدر من لم ير طاقة النور؟
السؤال، لقد قمت جميع الليالي السابقة من شهر
رمضان، وماهي الليالي لم يبق منها سوى ثلاث،
واحدة منها فقط من النور.
وسؤالي ... أنني لم أر في الليالي الماضية شيئاً
أشعر به أن واحدة من هذه الليالي هي ليلة القدر،
فلم تفتح لي طاقة من نور، ولا غير ذلك.
فيإذا لم أعرف أية الليالي هي سلحوز فضلها
بمجرد أنني قمتها ، أم لا بد من معرفتها بطاقة
النور حتى أحوز فضلها.

● ليلة القدر أخفاها الله على عباده في العشر
الأواخر، لكي يجتهدوا في تحريها ، فينالوا الفضل
والأجر العظيم ولكن ورد في بعض الأحاديث علامات
لليلة القدر ولصبيحتها فغلا قد ذهب جمع من أهل
العلم إلى أنه يشترط أن يتعرف المسلم الذي يقومها
عليها حتى يحوز أجرها، ورجح آخرون أن التعرف
عليها ليس شرطاً، وأن من قام ليلة القدر حاز
فضلها سواء عرف أنها هي أم لم يعرف.
وطاقة النور هي ضرب من خيالات الناس، ولا
أساس لها من الصحة.

السؤال: هل تعتبر ليلة القدر ليلة خاصة لبعض
الناس، تظهر له وحده بعلامة يراها، أو رؤيا في
منام، أو كرامة خارقة للعادة، تقع له دون غيره؟ أم
هي ليلة عامة لجميع المسلمين بحيث يحصل الثواب
المرتب عليها لمن اتفق له أنه أقامها، وإن لم يظهر
له شيء؟.

● لقد ذهب جمع من العلماء إلى الاعتبار الأول،
مستدلين بحديث أبي هريرة: "مَنْ يَمُزُّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ
فِيَوَافِقَهَا" (رواية يسلم عن أبي هريرة).
وبحديث عائشة: "رَأَيْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ وَاَفَقْتُ لَيْلَةَ
الْقَدْرِ مِمَّا أَقُولُ؟".

فقال: "قولي: اللهم إني عفوٌ تحب العفو فاعفُ
عني" (رواه ابن ماجه والترمذي عن عائشة).
وفسروا الموافقة بالعلم بها، وإن هذا شرط في
حصول الثواب المخصوص بها.

ورجح آخرون معنى يوافقها: أي في نفس الأمر،
إن لم يعلم هو ذلك، لأنه لا يشترط لحصولها رؤية
شيء، ولا سماعه، كما قال الإمام الطبري.
وكلام بعض العلماء في اشتراط العلم بليلة القدر
كان هو السبب فيما يعتقده كثير من عامة
المسلمين أن ليلة القدر طاقة من النور تفتح لبعض
الناس من السعداء دون غيرهم. ولهذا يقول
الناس: إن فلانا انتقحت له ليلة القدر، وكل هذا
مما لا يقوم عليه دليل صريح من الشرع.
فليلة القدر ليلة عامة لجميع من يطلبها، ويتقني
خيرها وأجرها، وما عند الله فيها، وهي ليلة عبادة
وطاعة، وصلاة، وتلاوة، وذكر ودعاء وصدقة وصلة
وعمل للصالحات، وفعل للخيرات.

الفوائد الطبية لصيام رمضان

د. شريف كف الفزال - بريطانيا

إن هدف صوم رمضان هو استجابة لله عز وجل الذي قال في كتابه الكريم (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) فالصيام فريضة بين العبد وربّه تكفل سبحانه وتعالى بالمكافأة عليها كما قال في الحديث القدسي (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فهو لي وأنا أجزي به). ومع ذلك فإن للصيام فوائد صحية كثيرة لا يُفقد عنها، فـرمضان هو شهر للتدريب الجسمي والروحي مع الأهل أن يستمر ذلك لما بعد رمضان.

وفي عام ١٩٩٤، عُقد المؤتمر الأول لفوائد رمضان الصحية في مدينة الدار البيضاء في المغرب وتوقّشت فيه حوالي (٥٠٠) ورقة بحث من مختلف أنحاء العالم ومن قبل علماء مسلمين وغير مسلمين تضمنت كثيرا من الفوائد الصحية لصوم رمضان.

ومن الفوائد الطبية لصيام رمضان،

● راحة لجهاز الهضم : رمضان هو فترة راحة للجهاز الهضمي المسؤول عن استهلاك واستقلاب الطعام،



وبالتالي فالكبد أيضا يأخذ فرصة استراحة كونه معمل استقلاب الغذاء الرئيسي في الجسم . ولتحقيق هذه الغاية على المسلمين أن يلتزموا بسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم بعدم الإفكار في وجبة الإفطار وقد قال - صلى الله عليه وسلم - ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه. وبهذا يضمن بقاء النشاط وعدم الخمول والاستعداد للتأارين المعتدلة بعد فترة راحة قصيرة ألا وهي صلاة التراويح التي ثبت أن حركة العضلات والمفاصل في كل ركعة تستهلك ١٠ حريرات.

ومن الفوائد الطبية أن يبدأ الإفطار بتناول بعض التميرات (كما هي السنة النبوية) فالتمر غني بسكري الفلوكوز والفركتوز اللذين لهما فائدة حريرية كبيرة وخاصة للدماغ، ويفيدان في رفع مستوى السكر في الدم تدريجيا مما يخفف شعور الجوع ويقلل الحاجة إلى كمية أكبر من الطعام .

● **نقص الوزن المعتدل:** خلال الصيام ينقص استهلاك السكريات وبالتالي فإن مستوى سكر الدم ينخفض وهذا يجعل الجسم يعتمد على مخزونه من السكر لحرقه وتأمين الحريرات اللازمة للاستقلاب، ويأتي مخزون السكر من الكبد بتفكيك مادة Glycogen وكذلك من تحطيم الدهون في النسيج الشحمي لتحويلها إلى حريرات وطاقة لازمة لفعاليات الجسم وهذا بالتالي ينتج عنه نقص معتدل في وزن الجسم، ولهذا يعتبر الصيام فائدة كبيرة لدى زائدي الوزن، وحتى لمرضى السكري المعتدل غير المعتمدين على الأنسولين " Stable non-insulin diabetes".

● **نقص مستوى كوليسترول الدم:** أثبتت دراسات عديدة انخفاض مستوى الكوليسترول في الدم أثناء الصيام وانخفاض نسبة ترسبه على جدران الشرايين الدموية، وهذا بدوره يقلل من الجلطات القلبية والدماغية ويخفف ارتفاع الضغط الدموي . ونقص شحوم الدم يساعد بدوره على التقليل من حصيات المرارة والطرق الصفراوية - قال - صلى الله عليه وسلم - " صوموا تصحوا " .

● **استراحة للجهاز الكلوي:** بينت بعض الدراسات أن عدم تناول الماء لحوالي ١٦-١٧ ساعة ليس بالضرورية شيئاً بل هو مفيد في كثير من الأحيان، فتركيز سوائل الجسم تزداد محدثة جفافاً خفيفاً يجتلمه الجسم لوجود كفاية من مخزون السوائل فيه، وطالما أن الشخص لا يشكو من حصيات كلوية فإن هذا يعطي

الكليتين استراحة مؤقتة للتخلص من الفضلات، ومع ذلك فالسنة النبوية تقتضي تأخير السحور والتعجيل في الفطور مما يقلل الفترة الزمنية للجفاف قدر الامكان . ونقص السوائل يؤدي بدوره لنقص خفيف بضغط الدم يحتمله الشخص العادي ويستفيد منه من يشكو ارتفاع الضغط الدموي.

● **فوائد تروية ونفسية:** يفيد رمضان في كبح جماح النفس وتربيتها بترك بعض العادات السيئة وخاصة عندما يضطر المدخن لترك التدخين ولو مؤقتاً على أمل تركه نهائياً، وكذلك عادة شرب القهوة والشاي بكثرة. وفوائد رمضان النفسية كثيرة، فالصائم يشعر بالطمأنينة والراحة النفسية والفكرية ويحاول الابتعاد عما يعكر صفو الصيام من محرمات ومنقصات ويحافظ على ضوابط السلوك الجيد مما ينعكس إيجاباً على المجتمع عموماً. قال - صلى الله عليه وسلم - : " على الصيام جنة، فإذا صام أحكم فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شتمه فليقل إنني صائم إنني صائم " . وقد أثبتت دراسات عديدة انخفاض نسبة الجريمة بوضوح في البلاد الإسلامية خلال شهر رمضان.

وكلمة أخيرة بخصوص من يعانون مرضاً متقدماً سواء أكان سكرياً شديداً أو نقص تروية قلبية أو حصيات كلوية حادة، فهم مستثنون من صيام رمضان ولهم أن يأخذوا بالرخصة الشرعية، قال تعالى - " فمن كان منكم مرضياً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " .

المراجع:

1. A. Cott : Fasting is a way of life . New York, ١٩٧٧.
2. F. Azizi et al. : Evaluation of certain hormones and blood constituents during Ramadan . Nov. 1987.
3. S. Athar . Fasting for medical patients. Islamic Horizon. May 1985.
4. S. Athar. Medical aspect of islamic fasting. 1998.
5. J. El-Ati. Increased fat oxidation during Ramadan fasting in healthy women. Am J Clin Nutr . Aug 1995.
6. Islamic Medicine site , by: Dr. Sharif Kaf Al-Ghazal , <http://www.welcome.to/islamic.medicine>

رمضان كريم

تاريخ.. وموافقات في رمضان

نبارك للمسلمين حلول شهر رمضان المبارك أعاده الله على المسلمين باليمن والبركة حيث شهد شهر رمضان المبارك انتصارات كبيرة للمسلمين في سائر بقاع العالم بسبب توحيدهم وتضامنهم، وتكاتفهم للوقوف في وجه الأعداء من المشركين والكفار، وقد تجلت هذه الانتصارات بتحقيق الفتوحات الإسلامية التي خيمت الديانة الإسلامية عليها بسماحتها وقناع المسلمين للمشركين بأهمية عبادة الله الواحد القهار والعزوف عن عبادة الشرك والأصنام.. ونضع بين أيديكم جملة من الأحداث التي وقعت في شهر رمضان الكريم للتعرف على بعض الانتصارات والشخصيات وبعض الأحداث التي يلمع السلم في هذا الزمان معرفتها والاحاطة بها.

الأول من رمضان

من السنة الأولى من الهجرة: جهز رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية أمر على رأسها حمزة بن عبدالمطلب ويقاته في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ليعترضوا قريشاً، وكان منهم أبو جهل بن هشام، وهم في ثلاثمائة رجل، فباصطف الفريقان القتال حتى سعى للصلح بينهم مجدي بن عمرو الجني وكان حليفاً للجميع فلم يقتلوا، وكان لواء حمزة أول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبيض، حمله أبوهرث كنان بن حصين الغنوي.

من سنة ١١٤ للهجرة: وقعت معركة بلاط الشهداء في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك في فرنسا، حيث كان المسلمون متوجهين لإعلاء كلمة الله وقد أصيب المسلمون في هذه المعركة وقد سميت ببلاط الشهداء لكثرة القتل فيها.

من سنة ٤٢٨ للهجرة: توفي الطبيب الفيلسوف أبو علي الحسين بن عبد الله، المعروف بابن سينا، صاحب كتاب القانون والشفاء وغيرهما.

من سنة ٦٥٤ للهجرة: احتريق المسجد النبوي ويبلغ من الشدة أن انهار به بناء المسجد وتحطم المنبر.

الثاني من رمضان

من سنة ٦٥ للهجرة: تولى عبد الملك بن مروان الخلافة وهو أبو الوليد الأموي عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، وهو والد الخلفاء الأمويين، كان أميراً على أهل المدينة وعمره ١٦ سنة، ولاه إياها معاوية وكان يجالس الفقهاء والعلماء والعباد والصلحاء، وهو أول من سمي بعبد الملك في الإسلام، وكان عبد الملك بن مروان قبل الخلافة من العباد والفقهاء الملازمين للمسجد التالين للقرآن.

من سنة ٤١٢ للهجرة: توفي شيخ المحدثين

والمؤرخين ورئيس المتكلمين وأستاذ الفقهاء والأصوليين الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكري.

من سنة ٧٢٢ للهجرة: ولد العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون بتونس، وقد درس منذ مطلع شبابه علوم اللغة العربية والآداب والفلسفة، ومن أشهر مؤلفاته "المقدمة" التي ملأت الدنيا شهرة ومعروفة بمقدمة ابن خلدون.

الثالث من رمضان

من سنة ١١ للهجرة: توفيت السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما خديجة بنت خويلد، ولدتها قبل النبوة بخمس سنين، وهي أصغر بناته صلى الله عليه وسلم، وتزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه في السنة الثانية من الهجرة في رمضان، وولدت له الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وحسيناً ومات صغيراً، وكانت لها مكانة عظيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يتأذيها بألم أبيها لما كان فيها من الحنان والحب لرَسُول الله صلى الله عليه وسلم.

وفيها: أنزلت الصحيفة من السماء على خليل الله إبراهيم عليه وعلى نبيّنا وآله الإسلام.

الرابع من رمضان

من سنة ٥٢ للهجرة: توفي زياد بن أبيه، الذي كان والياً على البصرة في زمن معاوية بن أبي سفيان.

من سنة ٦٦٦ للهجرة: استرجع بيزنط أنطاكية من الصليبيين.

الخامس من رمضان

من سنة ٢٠٢ للهجرة: كان فيه زواج الإمام رضا بابنة المأمون.

السادس من رمضان

وفيه: أُنزلت التوراة على كليم الله موسى بن عمران عليه وعلى نبينا وآله السلام وقيل في التاسع من ذي الحجة الحرام .

من سنة ٢٠١ للهجرة: بايع المأمون العباسي نفسه للإمام ثامن الحجج علي بن موسى الرضا عليه السلام بولاية العهد وذلك في زمن المأمون العباسي.

من سنة ٢٢٢ للهجرة: وقعت معركة فتح عمورية بين المسلمين بقيادة المعتصم وبين الروم وذلك بعد أن استنجدت امرأة بالمعتصم فصرخت وأمعصماه فسمع المعتصم بالخبر وجهز جيشاً وفتح عمورية.

سنة ٤٦٣ للهجرة: توفي الفقيه الجليل حمزة بن عبد العزيز الديلمي، المشهور بسنار، صاحب كتاب المراسم، وكان من تلامذة الشيخ المفيد والسيد المرتضى.

السابع من رمضان

وفيه: كانت وفاة أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وناصره ومؤازره والمدافع عنه، ومات أبو طالب بن عبدالمطلب وعمره بضع وثمانون سنة وذلك قبل الهجرة بـ ٢٠ سنوات.

من سنة ٣٦١ للهجرة: وضع جوهر الصقلي أساس الأزهَر الشريف بأمر من الخليفة الفاطمي ويعتبر منارة للعلم والفكر، وحارس علوم اللغة والدين منذ أكثر من ألف عام، وبالأزهَر الشريف تسعة وعشرون رواقاً، وبه ثلاثة عشر محراباً وست مآذن، وسبع مزاوِل لمعرفة الوقت وتسعة أبواب أهمها باب المزينين والمغاربة والعباسي والجوهرية.

الثامن من رمضان

فيه: مولد النبي يحيى عليه السلام

التاسع من رمضان

من سنة ٩٩٥ للهجرة: نور الدين زنكي ينتصر على الصليبيين ويأسر قائدهم ويستعيد مدينة حارم.

العاشر من رمضان

من السنة الثامنة للهجرة: فتحت مكة المكرمة وذلك عندما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة المنورة متجهاً نحو مكة المكرمة، فنزل في مَرِّ الظهران عشاءً، ولم يبلغ قريشاً مسيره وهم مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم، فبعثوا أبا سفيان وحكيم بن حزام وبنيل بن ورقاء، فسمع العباس صوت أبي سفيان، فقال: أبا حنظلة هذا رسول الله في عشرة آلاف، فأسلم تكلتك أمك وعشيرتك فأجاره وخرج به وبصاحبيه حتى أدخلهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسلموا، وجعل لأبي سفيان أن من دخل داره فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة في كتيبته الخضراء وهو على ناقته القصواء فأسلم الناس طائعين، وطاف بالبيت وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فجعل كلماً مَرَّ بصنم منها يشير إليه بقضيب في يده ويقول (جاء الحق وزهق الباطل) فيقع الصنم لوجهه، وأمر بلالاً أن يؤذن وصلى الضحى.

وفيه: من السنة العاشرة للهجرة توفيت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضوان الله عليها زوجة النبي صلى الله عليه وسلم التي ضحت بكل ماتملك من أجل نشر الإسلام وتثبيت ركائزه فسماها النبي عام الحزن.

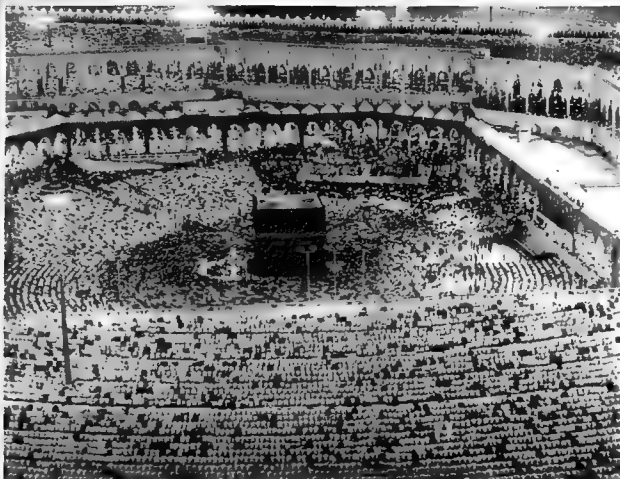
سنة ٦٠ للهجرة: بعث أهل الكوفة رسائلهم إلى الامام الحسين عليه السلام وهو في مكة المكرمة يطلبون منه القدوم إلى الكوفة.

الثاني عشر من رمضان

من السنة الأولى للهجرة: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين والأنصار، كما آخى حينها بيته وبين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: أنت أخي في الدنيا والآخرة.

الثالث عشر من رمضان

وفيه: أنزل الإنجيل على نبي الله عيسى عليه السلام، من سنة ٩٥ للهجرة: ملك الحجاج بن يوسف الثقفي



صلى الله عليه وسلم يخيه حباً شديداً حتى كان يقبل
ذبيحته وهو صفيّر، وربما جاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو ساجد في الصلاة فيركب على ظهره
فيقره على ذلك ويطلق السجود من أجله...
من سنة ٦٠ للهجرة: بعث الإمام الحسين عليه
السلام مسلم بن عقيل سفيراً إلى الكوفة لأخذ البيعة
له من أهل الكوفة.

السادس عشر من رمضان

وفيهِ: نزل الملك على رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم بغار حراء.

من السنة الثانية للهجرة: ذكرى غزوة بدر الكبرى
التي كانت فيها قوة المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر
مقاتلاً ليس معهم إلا سلاح خفيف. سبعون بغيراً،
وفرسان، وقد خرجوا للقتال، وإنما للاستيلاء على

الرابع عشر من رمضان

من سنة ٦٧ للهجرة: قتل المختار بن أبي عبيدة
الثقفي الرجل الذي انتقم من قتله الإمام الحسين
عليه السلام في الكوفة.

من سنة ١٤٥ للهجرة: قتل محمد النفس الزكية
رضوان الله عليه.

من سنة ٧٠ للهجرة: فتح القائد صلاح الدين
الأيوبي عدة مدن في بلاد الشام كان من بينها فتح
بعلبك.

الخامس عشر من رمضان

من السنة الثالثة للهجرة: ميلاد الحسن بن علي رضي
الله عنهما، أمه فاطمة الزهراء وأبوه علي بن أبي طالب
رضي الله عنهما، سبط رسول الله صلى الله عليه
وسلم.. الحسن وهو أكبر ولد أبيه وقد كان رسول الله

عير قريش القادمة من الشام وكان جيش المشركين تسعمائة وخمسين، وعيّرهم سبعمئة بعير، ومائة فرس.

من سنة ١٢ للهجرة المباركة: أسري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ومن ثم عرج به إلى السماء فكان قباب قوسين أو أدنى دنواً واقترباً من العلي الأعلى .

من سنة ٥٨ للهجرة: وفاة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق وزوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحب أزواجه إليه، المبركة من فوق سبع سموات رضي الله عنها، وعن أبيها - وأوصت أن تدفن بالقيع ليلاً، وصلى عليها أبو هريرة بعد صلاة الوتر، ونزل في قبرها خمسة، وهم عبد الله، وعروة ابنا الزبير بن العوام، من أختها أسماء بنت أبي بكر، والقاسم، وعبد الله ابنا أخيها محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر - وكان عمرها يومئذ سبعاً وستين سنة، لأنه توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرها ثمان عشرة سنة، وكان عمرها عام الهجرة ثمان سنين أو تسع سنين فאלله أعلم، ورضي الله تعالى عن أبيها وعن الصحابة أجمعين -

الثامن عشر من رمضان

وفيه: أنزل الزبور على نبي الله داود عليه وعلى تينا وآله السلام ، وقيل : في التاسع من ذي الحجة الحرام.

من سنة ٢١ للهجرة: سيف الله يلاقي ربه وهو خالد بن الوليد من أجل الصحابة وأبرعهم وأشجعهم، وهو سيف الله المسلول لم يقهر في جاهلية ولا إسلام وأبوه هو الوليد بن المغيرة سيد قريش في عصره وأمه ليابة بنت الحارث أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين، وقد أسلم - رضي الله عنه - بعد الحديبية في العام الثامن الهجري، وشهد مؤتة، وانتهت إليه الإمارة يومئذ من غير إمرة، فقاتل يومئذ قتالاً شديداً لم ير مثله، وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آخذ الراية زيد فأصيب، ثم

أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه، ومن يومئذ سمي سيف الله، وشهد خيبر وحنيناً، وفتح مكة وأبلى بلاءً حسناً.

العشرون من رمضان

من سنة ٥٤٢ للهجرة: توفي العالم النحوي هبة الله بن علي بن محمد العلوي الجسني المعروف بابن الشجري صاحب كتاب الأمالي.

من سنة ٤٠ للهجرة: استشهد مولى الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إثر ضربة ابن ملجم عليه العنة .

من سنة ١٢٨٩ للهجرة: توفي الفقيه الأصولي السيد محمد تقي بن السيد محمد رضا بن السيد محمد مهدي بحر العلوم ، وكان عالماً مطاعاً جليلاً مهيباً .

الحادي والعشرين من رمضان

وفيه: رفع روح الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى السماء .

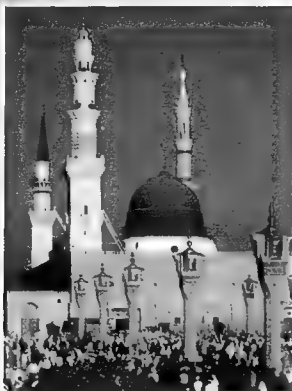
وفيه: قبض كليم الله موسى بن عمران عليه السلام .
وفيه: قبض يوشع وصي نبي الله موسى عليه السلام .
من سنة ١٢٠٥ للهجرة: توفي العالم الفاضل السيد صادق بن علي بن الحسين الأعرجي الفحام وكان من مشاهير أدباء عصره.

الثالث والعشرين من رمضان

وفيه: أنزل القرآن دفعة واحدة إلى سماء الدنيا وهي أعظم ليلة من ليالي القدر.

الرابع والعشرين من رمضان

من سنة ٦٥٨ للهجرة: كانت معركة "عين جالوت" التي انتصر فيها المسلمون انتصاراً عظيماً على "التيار" المخربين المدمرين، الذين اجتاحت بلاد الإسلام، وفعلوا من المآثم والمظالم ما تقشعر منه الأبدان. و "عين جالوت" بلدة من أعمال فلسطين المغتصبة - ربما الله إلى المسلمين قريباً - وهي بلدة بين بيسان ونابلس



البشرية جميعاً.. وهذه اللحظة هي من أعظم لحظات مرتت
بهذه الأرض في تاريخها الطويل.
وحقيقة هذا الصاب أن الله جل جلاله، العظيم
الجبار القهار المتكبر مالك الملك كله، قد تكرم -
في عليائه - فالتفت إلى هذه الخليقة المسماة
بالإنسان، القابعة في ركن من أركان الكون لا
يكاد يرى، اسمه الأرض، وكرم هذه الخليقة بأختيائه
واحد منها: ليكون ملتقى نوره الإلهي، ومستودع
حكيمته، ومهبط كلماته، وممثل قديره الذي يريده
سبحانه بهذه الخليقة.

من سنة ٦٤٨ للهجرة: ولد العلامة الطلي الحنبلين
يوسف بن علي بن محمد بن المطهر.

الثامن والعشرين من رمضان
من سنة ٩٢ للهجرة: فتح المسلمون الأندلس، ثم
وقعت المعركة الحاسمة بين قوة المسلمين وجيوش ملك
القوط المسيطرين على بلاد الأندلس وانتهت بانتصار
القوط وانتصار المسلمين.

الخامس والعشرين من رمضان

وفيها: فتح المسلمون مدينة بلغراد.

من سنة ٦٩٢ للهجرة: توفي أبو عبدالله محمد بن
أحمد بن الظليل الخوئي الشافعي الدمشقي صاحب
كتاب شرح فصول ابن معط.

من سنة ١١٢٧ للهجرة: توفي شيخ الفقهاء بهاء
الدين محمد بن حسن بن محمد الأصفهاني المعروف
بالفاضل الهندى صاحب كتاب كشف اللثام وغيره
من المصنفات.

السادس والعشرين من رمضان

وفيها: نزول الصحف على النبي إدريس عليه السلام

السابع والعشرين من رمضان

من سنة ١٧ قبل الهجرة: نزول القرآن. هدية السماء
شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن.

إن حادث نزول الوحي وبداية نزول القرآن حادث ضخم
بحقيقته، وضخم بدالاته، وضخم بآثاره في حياة



بلاغة الفكر الجملي في القرآن الكريم

د. مشهور موسى مشاهرة - جامعة الملك خالد - أبها

هذا نمط من التكرار. سمّيته اجتهداً، التكرار الجملي. وأساسه أن تتكرر الجملة القرآنية أكثر من مرة. وفي هذه الدراسة عرضت لما جاء على حرفين فقط؛ بسبب طول هذه البياحت فيما لو أردت استقصاء هذا اللون من التكرار الذي أوصله الزركشي في برهانه إلى ثلاثة وعشرين حرفاً (١). قال تعالى: «وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ» هود: ٦٧. وقال تعالى: «وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيتَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ» هود: ٩٤.

من المفيد عند دراسة الآيات القرآنية، أو أي جزء من أية، أن ننظر في ما يجاورها: لعلاقات بلاغية وشيجة لا يمكن تجاهلها في فهم السياق القرآني. ففي آيتي سورة هود تشابه على صعيد الحرف والكلمة، وبينهما وبين آيات آخر تشابه يصب

في تحليل العلاقة القائمة بين عناصر الصورة القصصية التي رسمتها الجملة الأخيرة من نهاية هذا صالِح، وقوم شعيب عليهما السلام، ولأجل ذلك اقتضى المقام ذكر هذا التشابه، ومعالجة ما يحتمل هاتين الجملتين.

فالاشتراك الحاصل بين آيتي سورة هود الأيتي المذكور وآيتي سورة الأعراف (إضافة آية سورة الشعراء، وآية سورة العنكبوت. ففي حق ثمود: قوم صالح عليه السلام، قال تعالى: [فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْعَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ] الذين ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ] هود: ٦٧.

وفي أهل مدائن: قوم شعيب عليه السلام قال تعالى: [فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْعَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ] الأعراف: ٩١. وقال تعالى (ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخَذْتِ الذين ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ] هود: ٩٤. وقال تعالى: [فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْعَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ] العنكبوت: ٢٧. وفي أصحاب الأيكة: قوم شعيب عليه السلام أيضاً قال تعالى [فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظَّلَّةِ إِنَّهُ كان عَذابٌ يَوْمَ عظيم] الشعراء: ٨٩.

إن آية هذا البحث هي قوله تعالى في حق قوم صالح وشعيب عليهما السلام: [فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ] هود: ٦٧، هود: ٩٤. ولكن الملاحظ أن هذه الآيات تشابه على صعيد آخر من حيث: اختلاف الفعل (أخذ)، فهو يتجدد من علامة التانيث مرة، ويضرب بها في أخرى، وكذلك التعبير مرة بالصيحة، وثانية بالرجفة، وثالثة بالظلة، وفي الآيات أيضاً توحيد الدار في موضع، وجمعها في آخر، أضف إلى ذلك كلمة ما نحن بصدد التفصيل فيه، وهو ختام قصة صالح وشعيب عليهما السلام في سورة هود بقوله تعالى: [فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ] هود: ٦٧، ٩٤.

أما تانيث الفعل في قصة شعيب وأخذت الذين ظلموا الصيحة فهو عند الإسكافي للتعليل ومما سببه التانيث، إذ إن في التنيث ثلاث لفظات مؤنثة في التعبير عن العذاب الذي أهلِكوا به. وهي (الصيحة أو الرجة أو الظلة) (٢).

وعند الكرماني مما يستأن: إلا أن التنيث أخف في قصة صالح. وفي قصة شعيب لوقاف ما يقدمها، وهو

قوله تعالى (كما بعث ثمود) هود ٩٥ (٢).

وعند القرطبي يجوز الوجهان: الحذف والإنشاد. استناداً إلى الفصل بين الفعل وقاطعه: من المشهور في العربية أنه إذا حُزِرَ بين الفعل والفاعل فاصل جاز التذكير والتانيث، وفي القرآن الكريم: (فمن جاء موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف) البقرة: ٢٧٥، ومنه قوله تعالى في حق قوم صالح: [وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ] هود ٦٧. إلا أن الحذف أحسن. وما اختلافهما في الآيتين إلا من باب الجمع بين الوجهين، خصوصاً أنهما في سورة واحدة (٤).

وردى القرطبي في تفسيره أن ابن عباس قال: ما أهلك الله أمتين بعذاب واحد إلا قوم صالح وقوم شعيب، أهلكهم الله بالصيحة، غير أن قوم صالح أخذتهم الصيحة من تحتهم، وقوم شعيب أخذتهم الصيحة من فوقهم (٥). ولكن هذا التفريق ليس على أساس العناصر الداخلية للآيات.

ولئن كان الكرماني يرى أن حذف الحرف في قصة صالح يدل على خفة الفعل، فإن البقاعي يرى أن الحذف يدل على قوّة في الفعل. فقال في صيحة شعيب الواردة بالنا. "وكأنها كانت دون صيحة ثمود لأنهم كانوا أضعف منهم، فلذلك أبرز علامة التانيث في هذه دون تلك (٦).

وأما عن توحيد الدار في موطن، وجمعها في موطن آخر، فمفردة عند الإسكافي إلى وجهين: أولاً: لأن المقصود بدارهم أيضاً هو بلدهم على التوحيد، وبالجمع على الجنس كما في قولنا دينارهم شَرٌّ من درهمهم.

ثانياً: إن في التوحيد والجمع معنى آخر مفاده: أنه



لِحَاوَلَة فَهْم السِّيَاق الْقُرْآنِي يَنْبَغِي النَّظَرُ فِي الْآيَاتِ الْمُتَجَاوِرَةِ..

جهنم إلاً أَنَّهُمْ أَغْلَوْا رِيبَ ذَلِكَ بِالسِّيَاقِ رِيبًا يَكْشِفُ لَنَا
عَنْ دَلَالَةِ هَذِهِ التَّعْبِيرَاتِ، وَكَذَلِكَ عَنْ حَقِيقَةِ سِرِّ الْجُمْلَةِ
الْآخِرَةِ مِنَ الْآيَتِينَ.

وَالَّذِي يَبْدُو لِي أَنَّ الْجُمْلَةَ الْآخِرَةَ تُمَثِّلُ صُورَةً مِنْ نَهَائِ
لِقَطْعِ دَعْوَى سَجَلَتِهِ سُورَةُ هُودٍ عَلَى نَحْوٍ مِنَ النِّظْمِ
الْمُتَشَابِهِ: فَقَدْ كَتَبَ قَوْمٌ صَالِحٌ كَمَنْ سَبَقَهُمْ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ
وَهُودٍ، وَجَادَلُوا وَتَكَبَّرُوا وَعَتَوْا وَعَقَرُوا، فَجَنَّى اللَّهُ صَالِحًا
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَاصْبَحُوا
فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ، كَانُوا لَمْ يَفْتَرُوا فِيهَا.

لَقَدْ قَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَى قَوْمٍ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِتَذَكُّرِهِمْ
بِحَالٍ مِنْ سَبَقِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ، وَبِالِنَاقَةِ الَّتِي أَخْرَجَهَا لَهُمْ
مِنَ الصَّخْرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْبَرَاهِينِ، وَلَكِنَّهُمْ زَادُوا فِي
تَكْبَرِهِمْ وَتَطَاوَلُوا عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ، فَنَزَلَ بِسَاحَتِهِمُ
الْعَذَابُ نَتِيجَةً لِعَصْيَانِهِمْ، وَقَتْلِهِمْ نَاقَةَ اللَّهِ، وَبِرَهَانًا عَلَى
قُوَّةِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيتَنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ
آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِنَا) هُود: ٦٦. وَكَانَتْ
النَّجَاةُ لِمَنْ آمَنَ، ثُمَّ خَفَّتِ الْآيَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ رَيْكُ هُوَ
الْقَرْيُ الْعَزِيزُ} وشَهِدَ ذَلِكَ: {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا
الصَّيْحَةَ...} بِمَعْنَى: إِنَّ بَدَايَةَ هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى نَهَائِ
الَّتِي قَبْلَهَا.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَاصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} هُود: ٦٧
دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى اجْتِمَاعِ الْقَوْمِ، هَذَا فَضْلًا عَمَّا فِيهَا مِنْ
تَصْوِيرِ الْعَذَابِ، حَيْثُ تَرَكْتَ دِيَارَهُمْ خَالِيَةً، كَأَنَّ أَحَدًا لَمْ
يَسْكُنْهَا مِنْ قَبْلِ، وَهِيَ صُورَةٌ مُخَفِّةٌ.

وَفِي الْآيَةِ أَيْضًا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَرْضَ لَمْ يَوْرَثْهَا مِنْ بَشَاءٍ
مِنْ عِبَادِهِ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ: فَهَمَّا عَمَرُ الظَّالِمِ، وَبَنَى
الْقُصُورَ وَنَحَتِ الْجِبَالَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ سَبَبُ رَيْسٍ فِي مَحَقِّ
هَذِهِ النَّعْمِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْإِلَاءِ.

وَفِي قِصَّةِ مَدْيَنَ قَوْمِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَتَرْغِيبٌ
وَتَرْهِيْبٌ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يُصَيِّرْهُ لِدَعْوَةِ شُعَيْبٍ، وَتَكْبَرُوهُ فَلَمْ
يَعْبُدُوا اللَّهَ، وَتَقْصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، وَلَمْ يَعْدِلُوا، وَوَلَّجُوا
سَبِيلَ الْفَسَادِ، وَجَادَلُوا شُعَيْبًا وَاسْتَهْزَؤُوا بِدَعْوَتِهِ،
فَارْتَدُّهُمْ إِلَى الْإِعْتِبَارِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَحَذَّرَهُمْ نَهَائِهِ مِنْ
سَبَقِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ، وَلَقَدْ وَصَلَ الْأَمْرَ ثَرَوَتَهُ، وَمَا خَالَ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا رَهْطُهُ عَلَى مَا زَعَمُوا، مُتَخَذِينَ الْحَقَّ

سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَيْثُ ذَكَرَ فِي ابْتِدَاءِ الْقِصَّةِ {وَالِإِلَى)، وَلَمْ
يُخْرِجِ النَّبِيَّ وَلَا الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحَدَّ الدَّارَ،
رِجَاءً أَنْ يَصِيرُوا بِالْإِيمَانِ فِرْقَةً وَاحِدَةً، أَوْ خَاطِبِهِمْ
بِالْأَصْلِ، وَهُوَ أَنَّ يَكُونُوا أَهْلَ دَارٍ وَاحِدَةٍ، قَالَ تَعَالَى:
{وَالِإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا... فَخَذَّتْهُمْ الرُّجْفَةُ فَاصْبَحُوا
فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} الْأَعْرَافُ: ٧٢-٧٨. وَقَالَ تَعَالَى: {وَالِإِلَى
مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا... فَخَذَّتْهُمْ الرُّجْفَةُ فَاصْبَحُوا فِي
دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} الْأَعْرَافُ: ٨٥-٩١. وَقَالَ تَعَالَى: {وَالِإِلَى
مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا... فَخَذَّتْهُمْ الرُّجْفَةُ فَاصْبَحُوا فِي
دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} الْعَنْكَبُوتُ: ٢٧.

وَكُلُّ مَوْضِعٍ أَخْبَرَ فِيهِ عَنْ تَفْرِيقِهِ بَيْنَهُمْ، وَإِخْرَاجِ النَّبِيِّ
وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ جَمْعَ الدَّارِ: إِبْشَارَةً إِلَى تَفَرُّقِ
شَمْلِهِمْ، وَتَشْتَتِ أَمْرِهِمْ، وَذَهَابِ الْمَعْنَى الَّتِي كَانَ يَجْمَعُهُمْ
لِلْوَاحِدِ وَدَارٍ وَاحِدَةٍ، وَأَنْ يَصِيرُوا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ فِرْقَةً
وَاحِدَةً (٧).

وَعِنْدَ الْكِرْمَانِيِّ حَيْثُ ذَكَرَ الْحَقَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى {الصَّيْحَةَ}
جَاءَ التَّعْبِيرُ بِ: {بِنَارِهِمْ} لِأَنَّ الصَّيْحَةَ كَانَتْ مِنَ السَّمَاءِ
وَحَيْثُ ذَكَرَ {الرُّجْفَةَ} عَبَّرَ بِ: {دَارِهِمْ} لِأَنَّ الرُّجْفَةَ تَخْتَصُّ
بِالزَّلْزَلَةِ وَمَجَالِهَا الْأَرْضُ، كَمَا أَنَّ فِيهَا إِبْشَارَةً إِلَى شِدَّةِ
الْعَذَابِ بِعَظَمِ الْاضْطِرَابِ، وَلِأَنَّ الصَّيْحَةَ كَانَتْ مِنَ السَّمَاءِ
فَإِنَّ بُلُوغَهَا أَكْثَرَ، وَابْلُغَ مِنَ الزَّلْزَلَةِ، وَفِيهَا ذَلِكَ إِيْمَاءٌ إِلَى
عُمُومِ الْمَوْتِ بِشِدَّةِ الصَّوْتِ (٨). وَبِهَذَا يَكُونُ الْكِرْمَانِيُّ قَدْ
أَجَابَ عَنْ سُؤَالَيْنِ: عَنْ تَوْحِيدِ الدَّارِ وَجَمْعِهَا، وَكَذَلِكَ عَنْ
التَّعْبِيرِ بِالصَّيْحَةِ وَالرُّجْفَةِ.

وَمَعَ اللَّهِ لَا كَبِيرَ اخْتِلَافٍ فِي الْمَعْنَى الْحَاصِلَةِ مِنَ الْعِبَارَتَيْنِ
عِنْدَ الْغُرْنَطَانِيِّ، إِلَّا أَنَّهُ أَجَابَ بِرَأْيِ الْكِرْمَانِيِّ فِي التَّلْفِيقِ
عَلَى سُؤَالِي: الصَّيْحَةَ وَالرُّجْفَةَ، وَالتَّعْبِيرُ بِ: {دَارِهِمْ}
{وَبِنَارِهِمْ}. وَأُورِدَ تَلْفِيقًا آخَرَ عَلَى اخْتِصَاصِ سُورَةِ هُودٍ
بِ: {الصَّيْحَةِ} دُونَ {الرُّجْفَةِ} فِي إِخْبَارِهَا عَنْ نَهَائِ قَوْمٍ
شُعَيْبٍ، حَيْثُ رَأَى أَنَّ قَبْلَ التَّعْبِيرِ بِ: {الصَّيْحَةِ} ذَكَرَ
مُرْتَكِبَاتِ قَوْمٍ شُعَيْبٍ، وَسَوَّوهُ رَدَّهُمْ عَلَى نَبِيِّهِمْ: مَنْ
اسْتَهْزَأَ، وَإِسَاءَ، وَتَشْتَنَعَ، وَذَلِكَ لَمْ يَرِدْ مَثَلُهُ فِي سُورَةِ
الْأَعْرَافِ: وَلَا الْعَنْكَبُوتِ، لِأَجْلِ ذَلِكَ نَاسِبِهِمْ عُمُومُ الْعَذَابِ،
وَهُوَ {الصَّيْحَةُ}: أَوْ أَنَّ قَوْمَ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخَذُوا
بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ: بِالصَّيْحَةِ وَالرُّجْفَةِ وَالظَّلَّةِ لِقَبِيحِ
مُرْتَكِبِهِمْ وَسَوَّوهُ رَدَّهُمْ، فَوُرِدَ ذَلِكَ عَلَى التَّدْرِيجِ وَالتَّنَاسُبِ
(٩).

هَذَا جُمْلٌ مَا قَدَّمَهُ الْأَوَّلُونَ فِي مَسْأَلَةِ تَذَكُّرِ الْفِعْلِ وَتَاتِيئِهِ
فِي الْآيَتَيْنِ، وَنَكَرَ الصَّيْحَةَ وَالرُّجْفَةَ، وَتَوْحِيدِ الدَّارِ
وَجَمْعِهَا، وَذَلِكَ مِنَ النَّاحِيَةِ النَّحْوِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ. وَمَعَ عَظِيمِ



الآيات المتشابهة حرفاً وكلمة تكون بينها علاقات بلاغية وسيجة..

ويعيدا عن معمة الترادف وما قيل فيه، فإن خلاصة ما أريد تبيينه: أنني استقرت الآيات التي وردت فيها لفظة الصيحة، والآيات التي وردت فيها لفظة الرجفة، فالفيت سياق اللفظتين متشابهاً إلى حد كبير، غير أن الآيات التي وردت فيها لفظة الصيحة كانت تدل على النهاية، أما آيات الرجفة ففيها مجال لعذاب لاحق، ولا حسم في هذا التبيان، إلا أن الرجفة - فيما يظن على ظني - هي نتيجة للصيحة. وقد فرق البقاعي من قبل بين صيحة القومين، ولكنه لم يقطع هذا الأمر، بل بنه على الظن والاحتمال، ولعل معنى كلام البقاعي على القوة والضعف مأخوذ من وصف قوم ثمود، وما اشتهر عنهم من قوة

تبارك وتعالى وراحم ظهرياً، إلى أن جاء أمر الله، فنجى شعبياً ومن آمن معه، وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين، كأن لم يقولوا فيها ألا بعداً للذين كما بعثت ثمود.

مشهدان يثيران الحزن على مصير أمتين من الأمم السالفة، ويوجبان الحمد والشكر على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، حيث لم يأخذهم الله بالتكبر والعصيان كما أخذ من سبقهم من الأمم.

ولقد مثلت العناصر القصصية في المشهدين خير تمثيل، وما يعني من ذلك في هذا المقام، هو النهاية التصويرية، التي جاءت على نحو من التشخيص الحي، ذي الحركة الظاهرة.

فصوت صفير المصاد في (الصيحة)، وفي لفظة (أصبحوا) يبعث على القوة في انتشار الفرع، وذلك بما في صفة من دلالة على علو الصوت وقوته، وهو بذلك متناسب مع ما تقدم من حديث عن الصيحة. وليس الأمر كما قال الطبري من أن الرجفة هي الصيحة (١٠)، بل كل لفظة لها دلالتها التي تميزها عن غيرها.

خَارِقَةً إِذَا مَا قِيسَتْ بِزَمَانِهَا، وَلَقَدْ عَذَّبَ الْقَوْمَ بِالرَّجْفَةِ وَالصَّيْحَةِ.

وفي حذف التاء من لفظة (أَخَذْتُ) دلالة أخرى على عظم هذه الصيحة، وكان الخطب الذي صورته سورة هود أعظم من غيره، ولذلك كانت الديار مع الصيحة التي عمت الأساكين القريبة والمتباعدة، فاهلكت أهلها، ومرتكت جماعتها، وفرقت شملها، فكانت بهذا الوصف من القوة المفرطة، والشدة البالغة بحيث تتزعج من وصفها النفوس، وتَجِبُّ لها القلوب.

وفي الفصل بين الفعل والفاعل ملحظ آخر، إذ لولا الفصل لما جاز حذف التاء من الفعل (أَخَذَ) في الآية الأولى، وفي هذا دلالة على أن المخضوعة بهذه العذاب هم الظالمون وحدهم دون غيرهم؛ لأن الصف قد انقسم قسمين: قسما آمن وقسما كفر، فكان لا بد من نتيجة عاجلة لهذه الحال. وفي قوله تعالى: (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) دلالة على نجاة من آمن، وعليه فقد خُصِّلَ هذا الجزء من الآية في ظلاله معنيين، معنى قريباً ظاهراً، ومعنى آخر هو ظلال للمعنى الظاهر، وهو نجاة من آمن مع النبيين، ولم يظهر الناجين على حين أظهر الظالمين؛ لأن إظهار الظالمين لم يكن تشريفاً لهم بل تقريباً وتوبيخاً في سياق البطش والعذاب، واكتفى بالمعنى الظاهري فيما يتعلق بجانب الناجين؛ إبعاداً لهم عن صيحة العذاب وهولها، ولعل في ذلك تشريفاً عظيماً للمؤمنين.

ومن حيث الدلالة الصرفية فإن كلمة (جائئين) تعدُّ لبنة رئيسة في بناء الشهيدين، قاسم الفاعل بدلالته على الحدث والحدوث وفاعله، يفيد الاستمرارية، ولكنه ليس ملازماً لصاحبه، فقصص الثبوت فيه طارئ، يدل على ذلك ما ذكره المفسر في تفسيره لقوله تعالى: (فَلَمَّا تَرَأَى بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ فِي صَدْرِكَ) هود: ١٢، قال: "فإن قلت: لم عدل عن ضيق إلى ضائق؟ قلت: ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أقسم الناس صدراً، ومنه قولك: زيد سيد وجواد، تريد السيادة والجدو الثابتين المستقرين، فإذا أردت الحديث قلت: سائد وجائد" (١٨).

وفي دلالة هذه الصيغة على الاستمرارية تحنير كذلك من نزول العذاب بساحة من يجترع مثل سيئات قوم صالح، أو يعصي الله ويتمادى على أوامره تكبراً واستهزاء، وأما عدم ملازمته لصاحبه فظاهر، فقد أصابهم العذاب فبكتوا زمناً غير دائم على حالهم هامين لإصقاف الأرض على ركبهم ووجوههم، موتى لا يتحركون، إلى أن بعث الله قوماً

غيرهم، أو تحولوا إلى عناصر أولية، كأن لم يعيشوا فيها. دل عليه قوله تعالى: (فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثَامٍ كَانُوا لَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُّرْجَوْنَ).

ولما كان الجامع بين القصتين في هذا المقام هو التحكم والاستهزاء والتفاخر بالشدة والقوة على صانع وشعيب عليهما السلام، كان لا بد من عذاب شديد يكون رادعاً لكل من يعتدي على أولياء الله، ويظهر ضعف القوم أمام قوة العزيز الجبار. ومن ثم ليس من المستغرب أن تكون لفظة (جائئين) في نهاية الآية تحمل شيئاً من الدلالة على أفعالهم في الحياة الدنيا، فإن فيها صورة تهكمية، واضحة معالها، وما ذلك إلا جزءاً تهكماً على أولياء الله، وكان في الجزء قسماً من جنس العمل، فإن في اللفظة صورة حركية لسقوطهم على وجوههم، وقد اسقوا بالتراب، كالطير إذا جثت.

ومن ثم فإن الجملة الأخيرة من الآيتين مزوجة برائحة الحدث، الذي قام برسم صورة تشخيصية تبعث الحزن والحسرة، فيضطر المرء إلى الحوالة أمام هذا المشهد الاعتباري، قوة وشدة، وتمرداً وصياناً، فعذاب تركهم جثاً هامدة تتقرَّرُ منها النفوس السليمة، إلى أن تسمو لفظة العذاب في دلالة واسعة لا تفسح قوماً بعينهم، مُعلنة نهاية الظالمين، وسوء مصيرهم.

ولا تقل لفظة (فَأَصْبَحُوا) هي الأخرى في دلالتها عن لفظة (جائئين)؛ فقد بدأ الشرط في الآية التي نحن بصدها بالأخذ المتسبب عن ظلمهم، فكانت الصيحة، صباح يومهم، وبمجرد ورودها كانت النتيجة، دل على ذلك تصدير لفظة الصباح بالفاء. وخُصَّ الصباح بالذكر دون غيره لأنه مظنة توقع الارتياح، فهو ادعى للألم والتبكي، فلم ينتهم العذاب في وقت السأمة والضرر، بل جاءهم مصيحين حسرة وموتا وهم يشاهدون، ولعل في لفظة (ديارهم) زيادة في الحسرة والتوبيخ، مع ما في ذلك من إظهار لقوة البطش، فلم تمنعهم حصونهم وقصورهم ولا ما نحتوا من جبال وبنوا من بيوت، لتكون النتيجة النهائية: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَوْمَ فِي ظُلْمَةٍ لَّيْلَةٍ أَوْ نَهَارٍ أَوْ أَخَذَهُ أَزْمَنٌ شَدِيدٌ) هود: ١٧-١٨.

الهوامش:

١- يُقصد بالحرفين، والثلاثة أحرف: أن الجملة تكررت دون تغيير في ترتيبها على الرغم من اختلاف السياق، مرَّتْ، أو ثلاث مرَّات، وهذا مصطلح في كتب علوم القرآن: فقد أورد الزركشي تحت عنوان التشابه اللفظي جملة من التسميات،



٨- انظر الكرمانى، البرهان، ص ٦٢، و ص ٨٥، ومثله ما جاء عند أبي حيان، البحر المحيط، ج ٥، ص ٩٧، وابن جماعة في كشف المعاني، ص ١٨٤، والبقاعي، نظم الدرر، ج ٧، ص ٤٤٩-٤٥٠، و ج ٩، ص ٢٢٦-٢٢٧، وزكريا الأنصاري في فتح الرحمن، ص ١١١.

٩- انظر القرطبي، ملك التاويل، ج ١، ص ٥٢٢-٥٢٣.

١٠- انظر الطبري، جامع البيان، ج ٨، ص ٢٧٢.

١١- الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٢٦٨.

١٢- لقد ألفت من مجموعة من كتب التفسير فيما يتعلق يأتي سورة هود، فانظر على سبيل المثال: الطبري، جامع البيان، ج ١٢، ص ٨١-٨٢، و ص ١٣، والزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٢٩٦، و ص ٤٠٩، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ١٥٤، و ج ٩، ص ٤٢-٤٣، و ص ٦٢، والبيضاوي، أنوار التنزيل، ج ٢، ص ١٤٠، و ص ١٤٧، الرازي، التفسير الكبير، مج ٦، ص ٢٧١-٢٧٢، وأبو حيان، البحر المحيط، ج ٥، ص ٩٦-٩٧، و ج ٦، ص ١٧٨، و ص ٢٠٤، والبقاعي، نظم الدرر، ج ٧، ص ٤٤٩-٤٥٠، و ج ٩، ص ٢٦٧، والألوسي، روح المعاني، ج ١٢، ص ٤٠١-٤٠٢، وفضل عباس، قصص القرآن الكريم، ص ٢٢٩-٢٤٩.

منها: ما جاء على حرفين، وما جاء على ثلاثة أحرف، وما جاء على أربعة حروف، وما جاء على خمسة حروف... إلخ.

انظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٢٤-٢٤١.

٢- انظر الإسكافي، درة التنزيل، ص ١٦١، وكذلك عند زكريا الأنصاري في فتح الرحمن، ص ١٤٦-١٤٧.

٣- انظر الكرمانى، البرهان، ص ٨٥.

٤- انظر القرطبي، ملك التاويل، ج ٢، ص ٦٦٠-٦٦١.

٥- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٩، ص ٦٢.

٦- البقاعي، نظم الدرر، ج ٩، ص ٢٦٧. ولقد أوجز الرازي والقرطبي وابن منظور في تخريج حذف حرف التاء لأن الصيغة محمولة على الصياح. وفي تأنيث الفعل روعي لفظ الصيغة. انظر الرازي، التفسير الكبير، مج ٦، ص ٢٧١-٢٧٢، و القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٩، ص ٦٢، وابن منظور، لسان العرب، مادة: (صيح) إلا أن الرازي قال: "وأیضا فضيل بين الفعل والاسم المؤنث يقاصل، فكان القفاصل كالعوض من تاء التانيث" الرازي، التفسير الكبير، مج ٦، ص ٢٧١-٢٧٢.

٧- انظر الإسكافي، درة التنزيل، ص ١١٥.



من أعلام الحرمين الشريفين

ومنهم الصحابي الجليل الجواد ابن الجواد من فخار بني هاشم. ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
أبو جعفر عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي القرشي رضي الله
تعالى عنه.



أبا جعفر صن الأمير بماله
وأنت على ما في بيديك أمير
أبا جعفر ما مثلك اليوم أرتجى
جناحان في أعلى الجنان يطير
أبا جعفر يا ابن الشهيد الذي له
فلا تتركني بالفلاة أنور



ضياء محمد عطار*
المدينة المنورة

فقال يا أعرابي: قد سار الثقل
أي الموجودات، فعليك بالراحلة
يعني هذه بما عليها، وإياك أن
تتخضع في السيف فأني أخذته
بألف دينار. وهكذا رضي الله
عنه أعطى الأعرابي الذي سألته
وبمجرد السؤال راحلة كاملة وما
عليها ومنها السيف الذي ابتاعه
رضي الله عنه بألف دينار ذهباً.
ومن حسن كرمه وحرصه على
السائل نهبه على أن لا يتخضع
في بيع السيف بقيمة لا تساوي
قيمتها الحقيقية وعلمه بقيمة
السيف. وله خبر آخر مع امرأة
عجوز ويقال خرج ثلاثة وكلهم
من آل بيت النبوة وهم: زحانثا
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسبطيه الحسن والحسين وابن
عمهم عبدالله بن جعفر الطيار
هذا، قاصدين مكة شرفها الله
لحج بيت الله الحرام. فلما كانوا
ببعض الطريق جاعوا وعطشوا
وقد سبقتهم أمتعتهم ورواحلهم
التي عليها أثقالهم، فنظروا خيمة
أو خبأ قريباً منهم فقصدها

ولد رضي الله تعالى عنه
بالحبشة حيث هاجر إليها والده
سجدنا جعفر الطيار ذو
الجناحين من أم القسري إبان
الهجرة الأولى فكان أول مولود
يولد بالحبشة للمسلمين. فبعد به
والده إلى المدينة الشريفة والنبي
صلى الله عليه وسلم في غزوة
خيبر وقد فتحت له. فلما وصلوا
إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرح بقدمه رسول الله
صلى الله عليه وسلم واستبشر
حتى قال صلى الله عليه وسلم:
أنا أسر بفتح خيبر أم يقدم
جعفر. فعند سماع هذه العبارة
المصطفوية قام والده سيدنا
جعفر يتمايل من الفرح.
وأمه السيدة أسماء بنت عميس
أخت ميمونة بنت الحارث لأمها
رضوان الله تعالى عليهم
أجمعين. ولما انتقل رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق
الأعلى كان عمره عشر سنوات
وهو نذ سيدنا عبدالله بن الزبير
رضي الله عنه في العمر. وهو
آخر من رأى رسول الله صلى
الله عليه وسلم من بني هاشم.
سكن المدينة الشريفة وعاش بها
وتوفى بها وله أخبار في الجود
والعطاء لم ير مثله في التاريخ.
وله رواية في الحديث الشريف
وخرج له الإمام مسلم في

صحيحه ولم يكن في الإسلام
أسخى منه وقد وفد على أمير
المؤمنين معاوية رضي الله عنه
وكذلك على ابنه يزيد وهو يلي
الخلافة وعلى أمير المؤمنين
عبدالله بن مروان بالشم. ومن
أخباره في السخاء والكرم
والجود والعطاء أن: أعرابياً وقف
في أحد المواسم على مروان بن
الحكم بالمدينة الشريفة فسأله أن
يعطيه عطاء فقال: مروان ما
عندنا ما نصلك به ولكن عليك
بابن جعفر ويعني سيدنا عبدالله
بن جعفر هذا رضي الله عنه،
فأتاه الأعرابي وقد سارت
بمناحه الراحلة. وراحلة أخرى
واقفة وعليها متاع وسيف ملحق
فخرج عليه عبدالله بن جعفر
رضي الله عنه فأتشأ البدوي
أمامه هذه الأبيات:

أبا جعفر من أهل بيت نبوة
صلاتهم للمسلمين ظهور



يتأملون شيئاً، فإذا فيها امرأة كبيرة في السن فقالوا لها هل من شرب؟ فقالت نعم، فأتواها عندها وليس عندها إلا شاة فقالت لهم احلبوها واشربوا لبنها. ففعلوا ذلك وأقاموا عندها حتى استراحوا من العناء وأبردوا من الهواء، فلما ارتحلوا قالوا يا هذه نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه يعنون بيت الله الحرام، فإذا رجعنا سالمين فألي بنا فإننا صامتون بك خيراً إن شاء الله تعالى. ثم ارتحلوا فاقبل زوجها فأخبرته القصة فغضب زوجها عليها وأنها وويضاها وقال: ويحك تذبحين شاتنا لقوم لا نعرفهم ثم تقولين نفر من قريش. ثم بعد ذلك بزم من طويل أصابت المرأة وزوجها الفاقة، فاضطرتهم الحاجة إلى أن يقصدوا المدينة الشريفة. فدخلها فجعلوا يلتقطان البعر من الأزقة فيها فمرت العجوز في بعض سكك المدينة المنورة ومعهما مكتلها التي تلتقط فيه البعر، والإمام الحسن رضي الله عنه جالس على باب داره فنظر إليها فعرفها فتأداهما وقال لها: يا أمة الله هل تعرفينني فقالت لا. فقال: أنا أحد ضيوفك يوم كذا وسنة كذا في المنزل القلاني، فقالت بناتي أنت وأمي لست

أعرفك قال: فإن لم تعرفينني فأنا أعرفك، فأمر غلامه فاشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة عينا وأعطاهما ألف دينار نقداً، ثم بعثها مع غلامه إلى أخيه الحسين رضي الله عنه فلما دخل بها الغلام عليه عرفها وقال بكم وصلها أخي الحسن فأخبره الغلام فأمر لها بمثل ذلك. ثم بعث بها إلى عبدالله بن جعفر هذا رضي الله عنه فلما دخلت عليه عرفها فأخبره الغلام بما فعل بها الإمامان الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال رضي الله عنه: والله لو بدأت بي لأتبعتهما - أي أتبعتهما بالطاء وبالزيادة وبالكثرة. ولكن أراد أن لا يتفوق عليهما في الجود تأدياً معهما فأمر لها رضي الله عنها بألف شاة وألف دينار ذهباً مثلهما. فرجعت المرأة وهي من أغنى الناس. مما يدل على تقواه رضي الله عنه في الجود والكرم والسخاء والعطاء. وقد توفي رضي الله عنه بالمدينة الشريفة سنة ثمانين من الهجرة المباركة. واختلف في سنة وفاته فقيل في سنة خمس وثمانين أو أربع وثمانين أو سنة تسعين. وكان قد بلغ من العمر ثمانين أو تسعين سنة وصلى عليه الأمير أبان بن عثمان رضي الله عنهما وهو

والي المدينة الشريفة. ومن المعلوم أن ولاية الأمير أبان بن عثمان الأموي عليها كانت سنة ست وسبعين للهجرة الشريفة كما أثبتها في كتابي جلاء العينين واستمرت مدة ولايته نحو من سبع سنوات. وعليه يمكن الجزم بأن وفاة صاحب الترجمة رضي الله عنه كانت دون سنة تسعين من الهجرة، وعمره أيضاً دون التسعين. لأننا قلنا بولادته في أول سنة من الهجرة، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن عشر سنوات، وأن وفاته كانت زمن الأمير أبان على الحرمين الشريفين وعليه يكون عمره لم يتجاوز الخمس والثمانين على الإطلاق. وقد صلى عليه الأمير أبان بن عثمان رضي الله عنهم بل وحضر غسله وتكفينه وحمل نعشه مع المسلمين ولم يفارقه حتى وضع بالبقيع، ودموعه تسيل على خده حزناً عليه وهو يرثيه ويقول: كنت خير الناس قبلاً، وكنت والله شريفاً، وبرا، وأصيلاً. وقد حضر الصلاة عليه وشيعه جموع كثيرة من الناس وازدحموا على دفنه رضي الله عنه.



نقد

أ. د. عبدالله باقازي

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

طالعتنا مجلة المنهل الغراء في عددها (٦٠٧) المجلد ٦٩ بمقالة للدكتور عزت عبدالجيد خطاب بعنوان "جندولية الأنصاري... والذي يهمني في المقالة إشارة د. خطاب في الإحالات بقوله: هذا ما زعمه خطأ الدكتور عبدالله وأنا لم أزعم شيئاً فيما يتصل بإشارتي إلى معارضة الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري - رحمه الله - لقصيدة "الجندول" للشاعر: علي محمود طه بل هذا واقع فني شعري معروف، وإذا كان للدكتور

خطاب رؤية نقدية أخرى فهذا لا يعني أن ينسف رؤيتي التي سبقته بـ (١٧) عاماً، وله الحق أن يطرح أي رؤية له مع أحقيتي في السبق في هذا المجال، وعدم نسف إشارتي في هذا المجال، مع ملاحظة أنه عفى على جهدي في هذا المجال وكانت جملته تحمل معنى الفوقية على جهد الآخر العلمي، مع أن العلم حق مشترك لا يعرف كبيراً ولا يغيره مع تأكيدتي في النهاية على إدراج قصيدة الأستاذ الأنصاري - رحمه الله - في النسق التعارضية أو المحاكية أو التقليدية سمها - ما شئت - والله الهادي إلى سواء السبيل.

د. محمد عمارة لـ "المنهل":

الهيمنة الغربية تصنع أمراضنا..

■ نحن نحدد مفهوم الأمة لأن الثقافات العالمية هي مدارس فكرية متعددة..

■ التشرد القطري المغالى يجرى الأمة، ويجعلها

مفتقرة إلى الحد الأدنى من التضامن..

■ عندما تقرأ التراث الإسلامي لن تجد فيه

مصطلح الأقلية..

■ الوعي بالتاريخ مرتبة أعلى من مرتبة

قراءة التاريخ..

أجرى الحوار:

مصطفى محمد مصطفى - المنهل

الأستاذ الدكتور محمد عمارة

مصطفى عمارة مفكر إسلامي

ومؤلف ومحقق، عضو مجمع

البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

ولد بريف مصر مركز قلين - كفر

الشيخ - في ٨ / ١٢ / ١٩٣١م، حفظ

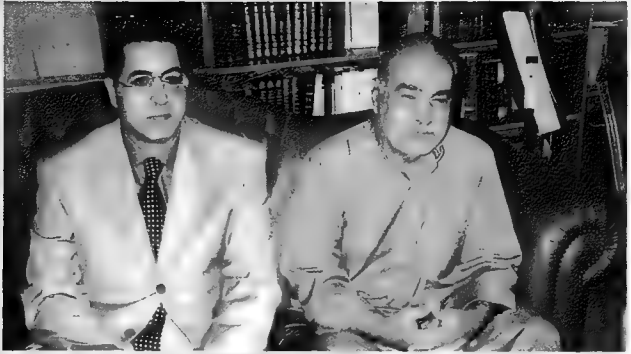
القرآن الكريم وجوّد وهو في كتاب

القرية.. بدأت تتفتح وتنمو

اهتماماته الإسلامية والعربية

والوطنية وهو صغير..





المجاور مع الدكتور محمد عمارة

ترتيب البيت العربي والإسلامي لتعظيم إمكانات وطاقات الأمة..

حقق لأبرز أعلام اليقظة الفكرية الإسلامية الحديثة ومنهم: (جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي) وألف الكتب والدراسات عن أعلام التجديد الإسلامي مثل: (الدكتور عبد الرزاق السنهوري باشا، والشيخ محمد الغزالي، ورضا، وخير الدين التونسي، وأبو الأعلى المودودي، وسيد قطب، والبنّا)، وكتب عن منجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم: (عمر بن الخطاب، وأبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين)، كما كتب عن تيارات الفكر الإسلامي القديمة والحديثة وعن أعلام التراث مثل (غيلان الدمشقي، والحسن البصري، والنفس الزكية).

محطات في حياة الأستاذ الدكتور محمد عمارة النشأة والتحصيل،

كان أول مقال نشرته له صحيفة (مصر الفتاة) بعنوان (جهاد عن فلسطين)... وقد حصل على الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ١٩٦٥م. وحصل على الماجستير في العلوم الإسلامية تخصص فلسفة إسلامية - في ذات الكلية ١٩٧٠م. وحصل على الدكتوراه في ذات التخصص في نفس الكلية ١٩٧٥م.

حصل على العديد من الجوائز والأوسمة والشهادات التقديرية والدروع، منها: جائزة الدولة التشجيعية بمصر سنة ١٩٧٦م، وسام التيار الفكري الإسلامي القائد المؤسس سنة ١٩٩٨م.

الإنتاج العلمي،

أثرى المكتبة العربية بعدد وفير من الكتب فاقت ٢٠٠ كتاب ومؤلف في فكر التجديد.



الفكر والتوجه:

ينتمي الفكر إلى (المدرسة الوسطية) ويدعو إليها، فيقول عنها إنها (الوسطية الجامعة) التي تجمع بين عناصر الحق والعدل من الأقطاب المتقابلة فتكون موقفاً جديداً للقطين المختلفين، ولكن المغايرة ليست تامة، فالعقلانية الإسلامية تجمع بين العقل والنقل، والإيمان الإسلامي يجمع بين الإيمان بعالم الغيب والإيمان بعالم الشهادة، والوسطية الإسلامية تعني ضرورة وضوح الرؤية باعتبار ذلك خصيصة مهمة من خصائص الأمة الإسلامية والفكر الإسلامي، بل هي منظار للرؤية وبدونها لا يمكن أن ينصر حقيقة الإسلام، وكأنها العسة اللامعة للنظام الإسلامي والفكر الإسلامي، والفقه الإسلامي، وتطبيقاته، فقه وسطي يجمع بين الشرعية الثابتة والواقع المتغير أو تجمع بين فقه الأحكام وبين فقه الواقع، ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى جعل وسطيتنا جعلاً للهِيا (جعلناكم أمة وسطا) سورة البقرة الآية/ ١٤٢ .

ولزيد من الفهم والإدراك لفكر الكاتب الإسلامي د. محمد عمارة، جاء هذا الحوار معه لتفهم من خلاله طريقة تعامله مع القضايا الفكرية المختلفة.

المنهل: شعرة فارقة بين الجهاد وبين العنف!! وبين مقاومة العدو وبين فوضى عنف التدمير!! ما الأسباب الدافعة لفوضى العنف وما علاجها وما هو المخرج وما هي مقومات الجهاد والمجاهدة؟

■ هذه قضية مركبة.. والحديث عن المأزق الذي تعيش فيه الأمة الإسلامية، وعن حركات العنف التي تضطرب بها كثير من المجتمعات الإسلامية، وعن أسباب ذلك، وعن المخرج من هذه الحالة: أتصور أن هذه قضية شديدة التركيب والتعقيد

الوسطية الإسلامية.. تعني وضوح الرؤية

لكن إذا أردنا إشارات موجزة لهذه الحالة وهذه القضية: أتصور أننا أمة تعيش في مخاض، بمعنى: هناك جوانب سلبية كثيرة وإيجابية كثيرة في حالة الأمة في الوقت الذي نعيش فيه على مستوى الأمة الإسلامية.. في النظم والحكومات كثير من السلبيات ومنها سلبية كبرى هي خضوع وتبعية كثير من الحكومات للهيمنة الغربية.. وهذا الموقف يُحدث كثيراً من ردود الفعل لدى قطاعات من الأمة.. هذا يشبه رب الأسرة الذي عجز عن حماية بيته، فبعض أبنائه يبلغ بهم الغضب إلى درجة العنف.. الأمة إذا نظرت إلى كثير من مواطنيها خصوصاً المواطن الساخنة مثل فلسطين والعراق وأفغانستان- الشيشان إلى آخره، تجد حرمانها قد انتهكت وعجزت نظمها وحكوماتها عن حماية هذه الحرمان.. ومن هنا تطرح حلول في الساحة مختلفة، منها: حلول عاقلة تدعو إلى فكر جهادي ضد العدو، ومنها حلول غير عاقلة وغير محسوبة تستخدم العنف ضد جسد الأمة ومجتمعات الأمة فتتهز الاستقرار، وتخدم العدو بدلاً من أن تخدم قضية الأمة..

أنا دائماً أقول إن الهيمنة الغربية تصنع أمراضنا أو تحرس أمراضنا.. إذاً يجب أن يكون لدينا وعي يوجّه القتال والجهاد إلى العدو.. مثلاً على أرض فلسطين الاقتتال الفلسطيني الفلسطيني خطأ وجريمة أما توحيد الصف لقتال المحتل الصهيوني هذا هو الموقف السليم.. ونفس الشيء نقوله على نطاق العالم الإسلامي، مهما كانت لدينا من

نحن أمة ليس لديها عنصرية (كلكم لآدم وآدم من تراب) ..

ملاحظات ومطالب للإصلاح ودعوة لإزالة الفساد وكل هذا مطلوب ينبغي أن يتم بالأسلوب السلمي والتغيير الصبور وبالتضحيات.. هذا هو الطريق للإصلاح وللتغيير.. وحال الأمة رغم ما يبدو عليه من العوامل التي تبعث على اليأس والقنوط فإن هناك جوانب إيجابية كثيرة.. الأمة الآن تعود إلى دينها

وهذه ظاهرة صحية يندر أن توجد في أي أمة من الأمم الأخرى غير الأمة الإسلامية، حتى حركة الفكر الجهادي والاستشهادي هذه ظاهرة، بمعنى أن ما يصنعه الشعب الفلسطيني من صمود وفداء لا نظير له في التاريخ وهو شعب مستضعف ومعزول - ومن حوله لا يغيثونه وهو يواجه أعتى قوة في العالم - هذه ظاهرة صحية.. ونفس قوة الدفاع والمقاومة، ومغالبة العدو نجدها في الحالة العراقية والافغانية.. برغم قوة العدو وشراسته.

ولا يقتصر أمر التخفير الإيجابي على حركة المقاومة في ميدان القتال، بل تعداه إلى ميدان الفكر والثقافة.. فقد رفض المجتمع كل الضغوط التي تحاول التدخل في هوية الأمة وفي ثقافة الأمة وفي التعليم الديني.. عليه نحن أمام حركة ممانعة ومقاومة تدل على أن مناعة الأمة لم تصل إلى درجة الصفر كما يحسب البعض بل إنها في قدر من النمو لا بأس به برغم الضغوط الكثيرة. وأمام هذه الرؤية علينا تحديد الاتجاه وترتيب

البيت العربي الإسلامي .. هذه الأمة لديها طاقات غير منظورة سواء على المستوى الاقتصادي والثقافي والحضاري والديني والبشري والجغرافي لكن التشردم القطري المغالي يجزئ الأمة ويجعلها مفتقدة إلى الحد الأدنى من التضامن.

- التشردم الحادث الآن كارثة،

تجعلنا مثل السفهاء الذين

ورثوا كنوزاً لا يعرفون

قيمتها- ويرغم هذا الحادث

الآن أننا لست متشائماً..

والظواهر المتمثلة في حركات

العنف لا تعتبر جديدة، ننصح

هؤلاء الشباب ونقول لهم أنتم تأتون

بفكر قديم سواء كان فكر الخوارج حول

قضية الحاكمية أو بعض فتاوى ابن تيمية في

قضية التتار.. هذا الكلام نشرته في سنة ١٩٨٢م

في مناقشة كتاب الفريضة الغائبة.. وبعد هذا

الذي صنعه عادوا فاعترفوا بالأخطاء وقالوا لقد

أخطانا.

- والتجربة في مصر تؤكد أن الشباب عندما

دخلوا السجون وأتيحت لهم فرصة القراءة والحوار

راجعوا أنفسهم وكانوا يرسلون لنا من داخل

السجون ويطلبون الكتب وبعضهم عمل دراسات

عليها - ماجستير ودكتوراه - وأتيحت لهم فرصة

للنضج الفكري والحوار الفكري.

ما كنا نقوله لهم قبل خمسة وعشرين عاماً ولا

يسمعونه بدأوا يفكرون فيه وبدأوا يرجعون

أنفسهم مراجعات دقيقة، إذاً الحوار الفكري يكون

مفيداً إذا جاء من علماء ليست عليهم شبهات، ولا

يكونون صوت سيدهم، لأن هؤلاء دونهم القلوب

مغلقة وكلامهم ليس فيه التوازن الذي يُقنع، إذاً



القضية شديدة التعقيد ولكن الخارج منها سوف يكون مرتاحاً إن شاء الله.

المنهل: هل توجد نقاط واضحة وتصور مدروس نستطيع بها حل مشاكلنا مثلاً (١، ٢، ٣) أم أننا أصبحنا مرهوتين للخارج في حل مشاكلنا؟

■ نحن أمامنا مشاريع كثيرة مدروسة، فالعالم العربي عنده مشاريع للتكامل الاقتصادي والوحدة الاقتصادية منذ الخمسينيات في القرن العشرين- قبل الوحدة الأوروبية.. نحن لسنا في حاجة إلى عبقرية تقول لنا أننا نستطيع أن نزرع أكلنا في السودان وأن نستثمر أموالنا في داخل بلادنا، وأن نُفعل منظمة قائمة وهي الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي وأن تكون السياحة داخل العالم العربي وداخل العالم الإسلامي، وأن نهتم باستهلاك السلع المصنعة في العالم الإسلامي قبل السلع المصنعة خارجه.. إننا مثلاً عندما نشترى سلعة تركية أو مصرية أو ماليزية أو أندونيسية هذه لاحتياج إلى معجزات وعبقرية.. وكنت قد اقترحت في إحدى الفضائيات ألا تدخل مكة المكرمة والمدينة المنورة إلا السلع المصنعة داخل الدول الإسلامية فيشتري الحاج البضائع المصنعة في بلاد مسلمة.. هذه بداية للتحرر الاقتصادي..

بدلاً من أن نأتي بسجادة الصلاة من الصين أو اليابان نأتي بها من سوريا مثلاً وتركيا.. وهناك حلول موجودة وقائمة لكن تحتاج إلى كلمتين إرادة وإدارة - إرادة الخروج من هذا المأزق بقرار سياسي وإدارة منظمة فاعلة.. عندها منظمة للوحدة الاقتصادية وعندها الكثير من المخلصين الذين يستطيعون أن ينفذوا ذلك.. نحن ندرك أن لغتنا العربية وديننا الإسلامي وتاريخنا، هذه عناصر

**وقود الغرب طلبوا منا الاعتراف بـ
(حرية الشذوذ - البهائية - القاديانية
- وش - ياهوه)**

تمثل هويتنا وشخصيتنا الحضارية وهي بصمة الأمة وعلينا الحفاظ عليها في مناهج التعليم والثقافة والمجلات والإذاعات والفضائيات، والحفاظ على هذه العناصر يبعث العزة في الأمة، يجعل المحكوم يقف مع الحاكم للحفاظ على هذه المقومات وهذا فيه قوة للحاكم وعزة للمحكوم وجمع لشمل الأمة، وأنا أنصوّر أن الطول ليست مجهولة وهي موجودة في درج المكتب، لكنها تحتاج إلى إرادة تُخرجها إلى قرار سياسي قابل للتنفيذ.

المنهل: يتحدث البعض عن موت الأمة الإسلامية، ترى، ما مفهوم الأمة.. وما مقومات وجودها؟

■ هناك مدخل منهجي في غاية من الأهمية ونحن نحدد مفهوم الأمة لأن الثقافة أو الثقافات العالمية فيها مدارس فكرية فيما يتعلق بمفهوم الأمة، هناك المدرسة الألمانية تركز على اللغة والتاريخ، والمدرسة الفرنسية تركز على الإرادة والمشيئة، والمدرسة المادية والماركسية وهي تحدد أن الأمة شروطها ومكوناتها الأرض المشتركة واللغة المشتركة والحياة الاقتصادية المشتركة والتكوين النفسي المشترك.

أما المنهج الذي نُركّبه وهو منهج علمائنا وسلفنا إننا ونحن نطرح مفهوم مصطلح من المصطلحات وهو مصطلح الأمة في حالتنا الراهنة لا بد أن نعود إلى القرآن الكريم، لا بد أن نعود إلى اللغة العربية. في لغة القرآن الكريم: المسلمون أمة بمعنى جماعة، القرآن الكريم يحدد أن المسلمين أمة (وإنَّ



٥٨

نحن أمة تعيش مع كل الحضارات والثقافات والديانات

معينة تستحوذ على فكركم وجهدكم

هذه الأيام؟

■ الهيمنة الغربية والأمريكية

تحديداً منذ تغيير النظام
الدولي من الثنائية القطبية
إلى أحادية الهيمنة الأمريكية
أصبحت قضية الهيمنة
الغربية والعُدوان على العالم

الإسلامي والحرب المعلنة على

الإسلام في وسائل الإعلام الغربية هذه أمور

ليست جديدة، لكن حدث لها صعود وحدث لها مد
وأصبحت حادة وشديدة الاستفزاز وهذا بعث قدراً
من اليأس والقنوط لدى شرائح في العالم
الإسلامي، تلك هي القضايا التي تشغلني..

عادة الفكر لابد أن يستجيب للتحديات، وفكرة
التحدي فكرة أساسية عند الإنسان.. عادةً الكاتب
لا يكتب كتاباً إلا إذا كان هناك تحدٍ يستفزه
للاستجابة وقد يكون لدى الإنسان أفكار كثيرة
ومشاريع فكرية كثيرة لكن التحديات هي التي
ترتب الأولويات وتجعلك تختار هذا الموضوع
قبل هذا.

التحدي الغربي هو الذي يحدد أولويات الفكر في
هذه المرحلة التي تعيش فيها، ومن هنا ستجد أن
الكثير من الكتابات التي يقدمها الإنسان متعلقة
بهذه القضية.. الهجوم على الإسلام.. يدفع للكتابة
عن سماحة الإسلام وللمقارنة نكتب عن العنصرية
عند الآخرين.. قضية الغلو في الداخل.. دفعني

هذه أمتكم أمة واحدة)، [كنتم خير أمة أخرجت
للناس] نأتي إلى مكونات الأمة، مظاهر الأمة،
عناصر الأمة: أقول هناك الجماعة أي الأمة تربطها
وتجمع بينها وتوحدتها عقيدة واحدة، شريعة
واحدة، حضارة واحدة والحضارة تشمل الثقافة
والمدينة، الثقافة هي عمران النفس

الإنسانية والمدينة هي عمران الواقع

المادي، وهناك عنصر آخر هو
دار الإسلام أو الوطن، هذه
ثلاثة جوامع على أساسها
تكونت أمة إسلامية وأمة منذ أن
كونها الإسلام إلى الآن موجودة
بكل مكوناتها ومظاهرها.

وفي واقعنا الحالي ترى مظاهر الأمة

ماثلة في الشارع.. ترى الثقافة الإسلامية،

والانتفاضة للمقاومة على أرض فلسطين، على
أرض العراق، في السودان، في الصومال، في
الشيخان، في كشمير، في أفغانستان ترى هذه
الوحدة.. الناس تجاهد، الناس تسعى إلى هذه
المبادئ.. ميادين النوتر والجهاد ومن لا يستطيع :
يدعو، يبكي، يتضرع.. إذا وحدة الأمة حقيقة في
كيان الأمة - دك من النظم والحكومات هذه قصة
أخرى - إنما الأمة التي واجهت التار، الأمة التي
واجهت الصليبيين، الأمة التي واجهت الغزوات
الاستعمارية الحديثة، هي هذه الأمة المتوحدة في
مشاعرها ووجدانها.. الدور الذي أدته أقطار الأمة
مثل مصر على سبيل المثال في تصفية الاستعمار
الفرنسي، وفي تصفية الاستعمار الإنجليزي، وفي
مساعدة حركات التحرر الوطني، كل هذه مظاهر
لحيوية الأمة، للروابط التي تجمع هذه الأمة.

المنهل: في وسط هذه الأجواء هل توجد قضية



الإيمان الإسلامي.. يجمع بين الإيمان بعالم الغيب والإيمان بعالم الشهادة

وهناك كتابات تجعلنا على وعي بالتاريخ.. والوعي بالتاريخ، مرتبة أعلى من مرتبة قراءة التاريخ فهذا أيضاً يجعل التاريخ سلاحاً في أيدينا وليس منطقة هزيمة في تاريخنا.. وهو يعدُّ بعثاً للعزة والكرامة وما اسميه بالكبرياء.. المشروع لدى الأمة هو عنصر أساسي في الحفاظ على هوية الأمة وعلى عزم الأمة وصمود الأمة والدراسات المقارنة تكون عوناً كبيراً لنا.

- عندما ظهر الإسلام كان الشرق قلب العالم المسيحي ثم تحول إلى قلب العالم الإسلامي وأصبحت أوروبا هي قلب العالم المسيحي والعلمانية قتلت المسيحية في أوروبا لم تعد أوروبا مسيحية.. الذين يؤمنون بالإله في أوروبا ١٤٪ والذين يذهبون إلى الكنيسة ١٠٪ ويذهبون إليها كما يذهب أحدهم إلى مباراة كرة القدم.. أي لا علاقة له بالتدين فأصبحت أوروبا تعيش فراغاً دينياً.. عقلاء أوروبا من رجال الدين وغيرهم يقولون هذا الكلام.. والإسلام يتمدد في أوروبا.. عندما ترى الأمة الإسلامية تعود إلى دينها.. ترى الأمم الأخرى تتحلل من دينها. هذه حقائق تثبت أقدامنا.. علينا ألا نياس لأن اليأس أخطر تحدٍّ يواجه أي أمة من الأمم، لأن اليأس لو امتلك الإنسان فإن كل طاقات الدنيا تصبح عنده صفرأ لا قيمة لها لأنه لا توجد عنده إرادة لاستخدام هذه الطاقات.

- ولذلك دائماً أتحدث وأنبه على المبشرات، نحن أمة ليس لديها عنصرية فنحن نعيش مع كل

لكتابة مقالات عن الغلو الديني واللا ديني - كتبت كتاب (الغرب والإسلام) أين الخطأ وأين الصواب كتبت كتاب (الإسلام والآخر) من يعترف بمن ومن ينكر من؟.. وهذه العناوين ليست دقاعاً، وإنما دفاع وهجوم في نفس الوقت لأن التحدي الحضاري والسياسي والعسكري يفرض علينا أن نواجه هذا وإلا سوف نكون ممن يغرد خارج السرب ولا يعيش عصره والمشكلات التي تواجهنا.

المنهل: كيف نحافظ على الهوية الثقافية والحضارية العربية في ظل العولمة والهيمنة التي تبسط نفوذها على عالمنا العربي؟

■ هذا يتم بأمرين بكشف مخططات العدوان على الهوية بمعنى أنه عندما تكون اللغة العربية تتعرض لهجمة وعندما تكون هناك محاولات لسيادة العاميات واللهجات العامية بدلاً من العربية علينا أن نكشف جذور التحديات والمخاطر ونفصح مقاصدها التي تريد تفتيت الأمة وعزل اللغة عن القرآن الكريم والتراث.. وعندما يكون هناك هجوم على المناهج الإسلامية والعقائد الإسلامية والخطاب الإسلامي نفصح جذور هذا العدوان لأن هذا ليس جديداً لكنه وكما قلت هذه أمور تتصاعد في وقتها.

- وأنا لست قلقاً من هذه الحملة الشرسة على الإسلام والدول الإسلامية لأن هذه ليست جديدة فقد مورست عندما كان الغرب له قدر من السمعة الطيبة أكثر وكان الخبز مغطى إنما الآن الغرب أصبح مفضوحاً والحرب على المكشوف وكما يقولون الهجوم على الإسلام أصبح ظاهراً والفروض أن نقلق من ردود الفعل العنيفة ضد هذا التوجه.



٦٠

حقوق الإنسان مرعية في الإسلام من غير تجاوز أو تعبد..

عندنا هو الأفضل دائماً أقول إنه علينا كي نصمد أن ندرك ما لدينا من طاقات وإمكانات ومن إيجابيات بخاصة عندما نقارن أنفسنا بالآخرين.

المذهل، لو تحدثنا عن مسألة وحدة الأمة ومسألة الأقليات والتعددية، نجدها تطفو بين الحين والآخر.

أين تقع مسألة الأقليات عندما نتحدث عن وحدة الأمة؟

■ عندما نقرأ التراث الإسلامي لن تجد فيه مصطلح الأقلية، الإسلام يقول أمة فيها تنوع، تنوع ديني.. شرائع ومِلل، تنوع قومي.. ألسنة ولغات وقوميات، تنوع ثقافي.. مناهج.. إذاً التنوع سنة من سنن الله في إطار الأمة الواحدة، أما قضية الأقليات والطائفية فهي من لون الاختراق الغربي.

وهذه مجموعة من رهاناتهم على تفتت مجتمعاتنا.. منها على سبيل المثال نابليون عندما جاء إلينا في ١٧٩٨م راهن على أقلية من الأقباط وعمل على ايجاد مشروعات طائفي وفشلا، الإجتياز راهنوا على الأقليات، الفرنسيون في الشام راهنوا على الإقلييات، وراهنوا على بعض الأمازيغ في شمال إفريقيا، الصهاينة والأميركان راهنوا على القطاع العظماني من الأكراد وراهنوا على قطاع من الشيعة وليس كل الشيعة في قضية العراق، وفشلت كل هذه الرهانات وذلك بسبب وعي الأمة..

الحضارات والثقافات والديانات وتعيش في بلادنا الأقليات بأمان، كما كان يقول الشيخ الغزالي عن الأقلية القبطية في مصر هي أسعد أقلية في العالم.. نحن أهل سماعة والأقباط في مصر أقل من ٦٪ من عدد السكان ويملكون ٤٠٪ من ثروة مصر ونضع هذه الحقائق أمام الناس وكتبنا كتاباً عن (المسألة القبطية حقائق وأوهام)

حتى يعرفوا سماعة الإسلام والمسلمين.. كانت عندنا لجنة الحريات الدينية الأمريكية جاؤا ليطالبوا منا حرية الشذوذ وحرية البهائية والقديانية وشهود ياهوه هذه هي المطالب لماذا؟ لتفكيك وحدة الأمة.

البهائية لأن عاصمتها وقبالتها وقاعدتها

إسرائيل وحركة من هذا القبيل القصد منها هو تفكيك الأمة.. وشهود ياهوه مذهب مسيحي، الكنيسة المصرية ترفضه لأنه أقرب إلى اليهودية منه إلى المسيحية - الاتحاد الأوروبي يريد فرض هذه البلاد.. اثنا عشر سفيراً أوروبياً يجتمعون بالدكتور كمال أبو المجد وكيل مجلس حقوق الإنسان ليطالبوا منه هذه المطالب (حرية الشذوذ - البهائية- القديانية- شهود ياهوه) لأن مفاهيم الحرية عندهم ليس لها سقف.. نحن أمة، حقوق الإنسان فيها مرتبطة بحقوق الله سبحانه وتعالى والإنسان خليفة وليس سيد الكون.. إذاً نريد أن نعي هذه الحقائق لنذكر أننا عندما خير كثير.. عندما ننظر إلى تحلل الأسرة في المجتمعات الغربية والحركات الإثنية التي تتحدث عن الزواج باعتباره عبودية، والأسرة عبودية، وأن حرية المرأة تعني حرية جسدها، أن تنصرف فيه كما يحلو لها وكما تشاء.. إذا نظرنا إلى أولئك نجد حال الأسرة





الثقافة.. هي عنوان النفس الإنسانية.. والمدينة.. عنوان الواقع المادي

التقنيات وفي العلوم المدنية وفي تطوير الواقع الذي نعيش فيه.. وهناك هيمنة غربية تحرس أمراضنا وتحرس تخلفنا، إذا نحن عندنا أمراض ذات جناحين: تخلف ذاتي موروث وهيمنة حضارية من الغرب.

أذكر القراء بحال الدولة العثمانية، كانت دولة مريضة لكن من الذي كان يحرس أمراضها إلى أن تحين لحظة اقتسام الأسلاب والتركات؟! هذا الحارس لأمراضنا، الحريص على استدامتها هو الغرب.. لأن مصلحته في ضعفنا.. ولذلك الجهاد ضد الهيمنة الغربية هو الذي يتيح لنا أن ننهض من التخلف الموروث.

خذ على سبيل المثال، في الوقت الراهن نتحدث أوروبا وأمريكا عن ضرورة الإصلاح ونحن نعلم أن الغرب هو أعدى أعداء الإصلاح، وأميركا هي أعدى أعداء الديمقراطية.. لماذا؟ هي تحرس الاستبداد لأن الاستبداد مرض من أمراضنا.. أمراض التخلف الذاتي، فالغرب والهيمنة الغربية تحرس أمراض الأمة.. حتى لا تكون هناك نهضة ولذلك فالتحرر الوطني في اللحظة الراهنة هو القضية الأساسية، والحديث عن الديمقراطية والإصلاح والتقدم في ظل الاحتلال والقواعد العسكرية والهيمنة الغربية وهم على العقل العربي والمسلم أن يبرأ منه.

المنهل: هل هناك تصور ما لإدارة خلافتنا الداخلية أثناء الأزمات؟
الحوار بين تيارات الفكر في الأمة ليس مجرد

من الممكن أن تكون هناك مظالم كثيرة، ليس فقط عند بعض الأقليات وإنما عند الأغليات، علينا أن نناقش كل هذه المظالم ونحل هذه المشاكل في إطار الأمة.. في إطار مؤسسات الأمة السياسية والاجتماعية، وعلى سبيل المثال كان مكرم عبيد يقول أنا مسيحي ديناً ومسلم وطنياً، لقد ظل الأقباط والكنائس الشرقية عبر التاريخ جزء من تراث الأمة ونحن وهم في خندق واحد، أما التغريب والانحياز للغرب فهذا هو الذي يولد الطائفية.

المنهل: نرى في كتابات البعض أن مفهوم الأمة الإسلامية الآن ربما أصبح وهماً، لماذا يُهاجم مفهوم الأمة الإسلامية الآن؟

■ إما أن يكون هذا انطلاقاً من القطرية والتجزئية والتشظي، فقد أصبح لدينا مثقفون ارتبطوا بهذه التجزئة وبهذا التمزق الذي أصاب العالم الإسلامي.. وإما بسبب بعض المثقفين الذين لا علاقة لهم بالإسلام ولا يريدون أن يكون هناك رابط إسلامي.. نحن منذ عقود مضت نصيح ليل نهار أن هناك حرباً على الإسلام، وهم يقولون إن هذا وهم.. لماذا؟ لأنهم في مواقع الذين يحاربون الإسلام.

المنهل: الأمة موجودة ولكن مشكلتها أنها مريضة؟

■ أمراضنا ذات جناحين: تخلف موروث من عصور التراجع الحضاري، وهيمنة من الغرب.. أمتنا مرت بمرحلة تراجع حضاري في العصر المملوكي وفي العصر العثماني، هذه حقيقة ممثلة في ضيق الأفق.. وهناك الجمود وهناك التخلف.. تخلف في



لكي نصمد لابد أن ندرك مالدينا من طاقات وامكانيات

نسائية في أمريكا ٦٠٪ من عضواتها سحاقيات..
وأن لجنة المرأة في الأمم المتحدة تسيطر عليها
سحاقيات.. وأن أكثر من ٨٠٪ من الفتيات في
أمريكا لا يعرفن معنى البكارة.. وأن ٥٢٪ من
النساء في فرنسا يكون المولود الأول لهن قبل
الزواج.. وأحد أصدقائي يقول إنه شهد زفافاً
لسيدة أطفالها التي انجبتهم قبل الزواج يرفعون
لها ثوب الزفاف.. وأن ٤٠٪ من الطفولة غير
شرعية.. وهذه المجتمعات تنظم مهرجانات سنوية
للشذوذ والشوان ويمارس فيها الجنس على قارة
الطريق وفي الحدائق العامة.. عقلاء أوروبا
منزعجون.. وعقلاء العالم منزعجون من هذا البلاء

حوار وإنما هو فريضة، نحن نتحدث كثيراً عن
حوار عربي أوروبي.. حوار شمال وجنوب.. حوار
ديني.. حوار حضاري.. وكل هذه الشعارات لم
تحقق شيئاً وبرغم كل هذا لا نتحدث عن حوار
إسلامي إسلامي.. لماذا لا تجتمع هيئات ومدارس
ومؤسسات العالم الإسلامي فتطرح قضايا الأمة
وتتجاوز حول هذه القضايا ونحدد حداً أدنى
للاتفاق؟ نحن لا نطمح أن نتفق على كل شيء لأن
الاختلاف سنة من سنن الله سبحانه وتعالى ولذلك
أقول علينا أن نتجاوز بين تيارات الفكر المختلفة
والمذاهب المختلفة سنة وشيعة وغير سنة وغير
شيعة وبذلك نصل إلى قواسم مشتركة في مواجهة
هذا الاجتياح الصليبي الصهيوني الذي
نواجهه الآن.

**المنهل: المرأة في المنظور الإسلامي إنسان له
مكانته وله كيانه وله حقه هل عولة الأسرة تصامم
القطرة وتخالف الإسلام؟**

■ المواثيق التي تصاغ من لجنة المرأة في الأمم
المتحدة يريدونها أن تكون ديناً جديداً ومرجعياً
بديلة للدين.. هذه مواثيق مخالفة للقطرة عندما
يتحدثون عن أن النشاط الجنسي حق من حقوق
الجسد حتى للمراهقين والمراهقات وأن من حقهم
تنظيم النسل والإجهاض الآمن، وعندما يتحدثون
عن الجنس المسؤول وليس الجنس المشروع وعندما
يتحدثون عن ضرورة تغيير هياكل الأسرة بدلاً من
أن تكون الأسرة عقداً شرعياً بين ذكر وأنثى
يريدون أن يكون التقاء بين اثنين رجلين أو امرأتين.
نحن أمام مدّ شيطاني يُفرض على العالم والناس..
يجب أن ندرك أن هذا أحدث في الغرب بلاءً لا
حدود له.. عندما تقول الإحصاءات أن أكبر منظمة



٦٤

الذي دخلت فيه الحضارة الأوروبية.. هم يريدون أن يفرضوا علينا هذا البلاء.

- وهذه هي الحادثة عندهم وما بعد الحادثة، وهذا هو التقدم عندهم.. عندما قرأت اتفاقية إلغاء كل أشكال التمييز ضد المرأة الصادرة عام ١٩٨٠م، عندما قرأتها قراءة الدارس والباحث وجدت أربع كلمات لم ترد في هذه الاتفاقية (الدين- الله- القيم- الأخلاق) وهي أساس الحياة، لا وجود لها في هذه الاتفاقية ولا في وثيقة مؤتمر السكان، مؤتمر بكين وما بعد بكين إلى آخر كل هذا البلاء.. نحن نخوض حرباً عقدية وثقافية وفكرية ضد هذه المنظومة الشيطانية.. وإن كنت أؤمن بأن هناك مؤامرات لكن لا أبالغ في تعميم نظرية المؤامرة، لكن أقول إن الصهيونية واليهودية العالمية تلعبان دوراً تاريخياً في تفكيك منظومات القيم بالنسبة للأمم وللشعوب.. نحن نريد تحرير المرأة بالإسلام وليس تحرير المرأة من الإسلام.

- والتحرير الإسلامي للمرأة وهذا عنوان أحد كتبي يجعل المرأة حتى في الغرب عندما تدخل المرأة الغربية في الإسلام تجد حريتها، تجد ذاتها، تجد كرامتها، المرأة هناك تحولت إلى سلعة.. الناس لا يدركون أن أول تجارة في العالم هي تجارة السلاح وثاني تجارة هي تجارة المخدرات وثالث تجارة هي تجارة الدعارة (٥٧)٠٠ مليار دولار هي حجم تجارة الجنس في الغرب.. نحن أمام بلاء طاحن!!

**تحرير المرأة بالإسلام وليس
تحريرها من الإسلام**

حالتنا الإسلامية رغم ما فيها من سلبيات ونواقص لكن فيها خيراً كثيراً.. وهذا الخير أساسه الإسلام والتمسك بالإسلام.. إن تحديات الغرب ومحاولاته الشرسة أن تصل إلى مقاصدها طالما أن الأمة تعي خيرها وما لديها وتعني أيضاً البلاء الموجود على الضفة الأخرى عند الغربيين.

المنهل، تطرقت إلى الغرب ونحن نوهم أنفسنا كثيراً جداً بموضوع المؤامرة هل الغرب له علاقة مباشرة أو غير مباشرة بتدني مستوى البحث العلمي لدى شعوبنا العربية والإسلامية هل هو يسعى لهذا فعلاً؟

■ القرآن الكريم يعلمنا منهج التخاطب مع الآخر، عندما يتكلم عن اليهود يقول إنهم: ليسوا سواءاً، وعند الكلام عن أهل الكتاب لا يعمم الكلام عن أهل الكتاب يقول طائفة من أهل الكتاب، كثير من أهل الكتاب.. الغرب فيه الإنسان الغربي وهذا لا مشكلة لنا معه وعندما نعرض عليه قضايانا يتعاطف معنا.. العلم الغربي نتلمذ عليه وخاصة في العلوم الطبيعية والدقيقة والمحايدة.. هذا مشترك إنساني عام، ولكن الاختلاف مع مشروع الهيمنة الغربية المشروع السياسي وهو ما نواجهه منذ ظهور الإسلام.. الإسلام حرر الشرق من الهيمنة الغربية والرومانية والبيزنطية وجاءت الحروب الصليبية واستمرت قرنين من الزمان لإعادة اختطاف الشرق من الإسلام.. حررنا البلاد الإسلامية من الغزو الصليبي ثم جاءت الغزوة الاستعمارية منذ سقوط غرناطة ١٤٩٢م للالتفاف حول العالم الإسلامي تمهيداً لضرب قلب العالم الإسلامي.

تفريب العالم الإسلامي هذا مشروع مدبر.. وبالطبع هو يحرمننا من الغذاء الذي يدعم



الثقة الإسلامي وسطي يجمع بين الشرعية الثابتة والواقع المتغير

التوصيل الخاصة بالأطفال انطلاقاً من هوية الطفل.. فكل شخصية حضارية لها هوية لها بصمة لها سمات فكما أننا نحتاج أن تعكس ثقافة الكبار هوية الأمة.. أيضاً نحتاج أن تعكس ثقافة الأطفال هوية الأمة.. ولذلك مثلاً عندما يكون لدينا قصص عن المعارك في التاريخ الإسلامي تحمل قيم وأخلاقيات الأمة ينبغي أن تعرض هذه على الأطفال وينبغي أن تراعي مختلف مراحل الطفل العمرية لأن ثقافة الأطفال ثقافة أساسية في تكوين مستقبل الأمة وهذا القطاع أيضاً ينطبق عليه ما ينطبق على القطاعات الأخرى من المراحل والشرائح في الثقافة.

استقلالنا.. يحرمانا من العلوم النافعة ويفرض علينا المواد الإعلامية التي تشوه ثقافتنا.. مشكلتنا المشروع الأمريكي، مشروع الهيمنة على العالم.. مشروع الامبراطورية الأمريكية والامبريالية الأمريكية.. ليست مشكلتنا مع العلم ولا مع الإنسان.. ولكن الحديث عن المؤامرة أو التآمر.. هذه هي حقيقة الذين ينكرون المؤامرة والقرآن الكريم يقول (وإذ يكره الذين كفروا)..

والمر التدبير الخفي.. الآن تجاوزنا مرحلة المؤامرة.. أصبحت المعركة معلنة وأصبح العداء للإسلام ليس مؤامرة خفية وإنما أصبح أمراً معلناً.. لذلك أتصور أن الغرب ليس شيئاً واحداً ولذلك يجب ألا يوضع في سلة واحدة.

المنهل، المثقفون والعلماء بين الموالاة للوطن..
والعمالة للأخر مارؤية الدكتور عمارة؟

■ العلماء والمثقفون ليسوا شيئاً واحداً.. هناك مثقفون متغربون وبالتالي يظل مجال عملهم الدفاع عن مشروع الهيمنة الغربية.. وهناك مثقفون يدافعون عن هوية أمتهم وعندما يكون المستشارون والمشيرين والقريبين من صانع القرار من هذه الفئة أو من تلك تكون هناك فروق في القرارات التي تتخذ.

المنهل، أطفالنا يواجهون الفضائيات والكمبيوتر والشبكة العالمية للمعلومات كيف سنواجه هذه التحديات بالنسبة لأطفالنا الذين هم رجال المستقبل؟

■ نحن نحتاج إلى من يهتم بالكتابة للأطفال وعمل أفلام ومسلسلات خاصة بالأطفال وكل وسائل

مقارنة وموازنة بين رسالتي " الغفران " و " التوابع والزوابع "

د. خليل أبو ذياب - الرياض

تتناول هذه الدراسة أهم رسالتين أدبيتين خياليتين في الأدب العربي.. أنشأ أحدهما وهي "رسالة التوابع والزوابع" أديب مقريي أندلسي هو أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد (٣٨٢-٤٢٦هـ) حول سنة ٤٢٠، مصوراً فيها رحلة خيالية قام بها إلى وادي الجن / عيقر، ليلتقي توابع نضر من مشاهير الشعراء العرب الجاهليين والعباسيين، ونضر من الكتاب الذين عارضهم في بعض إبداعاتهم ليمرض عليهم تلك المعارضات مستدراً شهاداتهم له بتفوقه وإجازته شاعراً وخطيباً للغاية في نفسه! وفي الجزء الأول الذي نشر في عدد المنهل (٦٠٧) تحدث الكاتب عن رسالة الغفران في الدرس المقارن .. ويواصل الكاتب حديثه عن الخيال العبقري في رسالة الغفران ..



الخيال في (رسالة الغفران) جاء ثرياً ورائعاً ومبدعاً..

إني أمتنى ببقائك قبل أن يخلق الله الدنيا بأربعة آلاف سنة؛ فعند ذلك يسجد إعظاماً لله القديرون ويقول: هذا كما جاء في الحديث: أعذبت لعبادي المؤمنين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، بل ما أطلعتهم عليه.. ويخطر في نفسه وهو ساجد أن تلك الجارية على حسنتها ضاوية؛ فيرفع رأسه من السجود وقد صار من ورائها ردف يضاهي كثران عالج وأنقاء الدهناء وأرمله يبرزين وبني سعد؛ فيخال من قدرة الله اللطيف الخبير ويقول: يا رازق المشرقة سناها، ومبلغ السائلة مناه، والذي فعل ما أعجز وهال، ودعا إلى الحلم الجهال، أسألك أن تقصر بوض هذه الحورية على ميل في ميل، فقد جاز بها قدرك حد التأمل؛ فيقال له: أنت مخير في تكوين هذه الجارية كما تشاء، فيقتصر من ذلك على الإرادة (٤٨)!

ويلمح قارئ "الغفران" عبقرية الخيال عند أبي العلاء في كل حوار يديره بين ابن القارح وغيره من ندامي الفردوس ونزلاء الجحيم وما أنطلقهم به أبو العلاء من آرائه، وأوحى إليهم من أفكاره، بل إننا نجد ذلك في سكوتهم وعدم إبداء بعض الآراء؛ وكذلك في وصف طرف من أهوال القيامة التي لقيها ابن القارح في المحشر والتي تعد من أروع صور الخيال العلائي العبقري في الرسالة وما يتصل بها من حوارياته مع رضوان وزفر وحزمة وعلي بن أبي طالب، وضياح صك توبته عند محاولته فض النزاع الذي نشب بين أستاذه أبي علي القارسي ونفر من الشعراء الذين تمرسوا به لتأوله بعض أقوالهم في الدار العاجلة، ثم وروده الضوض ومحاوله الكفار وروده وضرب الزبانية إياهم بعصي من نار تحرق وجوههم وأيديهم؛ وكذلك حواراه مع بعض وحش الجنة آسد القاصرة وذئب الأسلمي، وحية ذات الصفا، والحية القارئة، وثور وحمار من

وقد امتازت "الغفران" بالخيال العبقري الحبيب الذي كاد يتجلى في كل مشهد من مشاهدنا، سواء في ذلك المحشر والجنة والجحيم؛ وقد برع أبو العلاء في تصوير كثير من تلك المشاهد التي تدخل خياله الحبيب بقوة وعمق في رسمها وإبراز معالمها، وحقق لها شيئاً كثيراً من الروعة والإبداع؛ ويجب ألا يغيب عن أذهاننا أن أبا العلاء وهو يرسم الجنة والجحيم والمحشر لا يقصد مضاهاة التصور الإسلامي لعالم الآخرة، فضلاً عن أن يقر أن هذا التصور هو الذي سيكون عليه ذلك العالم أو آنذاك، وإنما يرسمها من خلال أوهام وخطرات شاعر وأحلام ناثق لا يمكن أن ترقى بحال إلى درجة من درجات اليقين والحقيقة، وهذا ما جعله يعقد كل مشاهداته وشطحاته وخیالاته بمشيئة الله سبحانه وتعالى، وإن لم يبعد عن التصور الإسلامي لتلك المظاهر بطبيعة الحال؛ ومن ذلك مثلاً تصوير النعيم الذي أعده الله للمتقين من عبياده في الجنة، وتصوير المذاب التي كان ابن القارح يقيمها لندامي الفردوس، وكذلك وصف القيان والصور، ومن ذلك قوله على لسان ابن القارح: "ويعمر ملك من الملائكة فيقول: يا عبدالله، أخبرني عن الحور العين أليس في الكتاب الكريم: [إنا أنشأناهن إنشأماً* فجعلناهن أبكاراً* عرباً أتراباً* لأصحاب اليمين] (٤٧)؟ فيقول الملك: هن على ضربين: ضرب خلقه الله سبحانه في الجنة لم يعرف غيرها، وضرب نقله الله من الدار العاجلة لما عمل من الأعمال الصالحة؛ فيقول وقد هكر مما سمع، أي عجب، فإني ألتواتي لم يكن في الدار الفانية؛ وكيف يتميز عن غيرهن؟ فيقول الملك: اقف أترى لترى البيدي من قدرة الله؛ فيتبعه فيجيبه به إلى حدائق لا يعرف كنهها إلا الله، فيقول الملك: خذ ثمرة من هذا الثمر فاكسرها، فإن هذا الشجر يعرف بشجر الحور، فيأخذ سفرجلة أو مانة أو تقاحة أو ما شاء الله من الثمار فيكسرها، فتخرج منها جارية حوراء عيناء تترق لحسنتها حوريات الجنان، فتقول: من أنت يا عبدالله؟ فيقول: أنا فلان بن فلان، فتقول:



حمر الوحش عندما هم أن يصرعهما!! وكذلك ما نجده في حديثه مع أبي هدرش الخيتعور أحد بني الشيصبان الذي أنثر الجن بمبعث الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وكذلك وصف جنتهم وصفاً يمتاز بالخيال كما رأينا؛ ومن تلك الصور الخيالية الطريفة التي تلقانا في "الفقران" أيضاً صورته التي رسمها للحطينة ونصيبه من نعيم الجنة التي مرت بنا أنفاً؛ وربما كان ما يلت في هذه الصورة رد الحطينة على ابن القارح وهو يقول له: لقد رضيت بحقير شقن: فيقول له: والله ما وصلت إليه إلا بعد هياط ومياط، وشفاعه من قریش وددت أنها لم تكن (٤٩)؛ وهي كما نلاحظ صورة طريفة من صور الخيال العبقرى حاول أبو العلاء فيها أن يحدد طرفاً من أبعاد وملامح صورة الحطينة الذي اشتهر بالبداءة والقبح والشر، ولم يسلم من لسانه أحد، فرأى أنه لا يستحق من نعيم الجنة أكثر من هذا الكفل: بل إنه جعله لا يصل إلى هذا النصيب ولا يبلغه إلا بعد عناء شديد وجهد جهيد وعبر صدقه في هجاء نفسه في بيته المشهور: (٥٠)

أرى لي وجهها شوه الله خلقه

لقبح من وجه وقبح حامله

وغني عن البيان أن هذا الوصف الذي انتهى إليه أبو العلاء في صورة الحطينة وحظه من نعيم الجنة. مخالف لما هو معروف ومقرر في أخبار الجنة وأحاديثها وما فيها من نعيم مقيم لا يخطر في أوهام أحد، ومنها قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها (٥١)؛ كما أن الجنة ليس فيها ما يشبه حفش الأمة الراعية، وليس فيها شجر قميء ثمره ليس بذاك؛ بل إن كل ما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر!!

كما أن الموعود بالجنة ما أن يلج أي باب من أبوابها حتى يفرق في النعيم الذي أعده الله له؛ وصدق الله العظيم إذ يقول: {فمن رزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز} (٥٢)؛

ومن مظاهر الخيال العبقرى في "الفقران" ما نجده في وصفه لجنة الرجز التي حشر فيها الرجز، وقد جاء وصفاً طريفاً أستوحاه أو كوَّنه أبو العلاء من تلايف رأيه في الرجز بأنه أخط درجة من الشعر، وأبياته أضعف من أبيات القصيد، وأنه من سفاسف القريض، ولذلك فأبيات الرجز في جنة ينبغي أن تكون أقل شأنًا من بيوت أو قصور الشعراء، وألا يكون لها سموقها وجلالها وبهاؤها؛ والله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها؛ ومن أجل ذلك استحق الرجز هذه المرتبة المتأخرة عن مرتبة الشعراء، واستحقوا أن يقول لهم شامتا ومقرعاً: قصرتم أيها النفر فقصر بكم (٥٣)؛

وراء هذه المشاهد الطريفة الماتعة مشاهد أخرى كثيرة نسج خيوطها بروعة فائقة خيال أبي العلاء العبقرى المطلق تنتشر في أرجاء "الفقران" لتضفي عليها مسحة ظاهرة من الجمال والفن والروعة والإبداع، وهي أوسع وأكثر من أن يُشار إليها في هذا الموضوع؛

والذي نود أن نقرر هنا هو التفاوت الهائل والاختلاف البالغ ما بين خيال "الفقران" والتوابع والزوابع؛ فقد جاء خيال "الفقران" عجيباً ورائعاً وثرياً وواسعاً وعميقاً، في حين جاء خيال "التوابع والزوابع" بسيطاً ساذجاً ضحلاً ومحدوداً جداً؛ ولعل أطرف جوانب الخيال في رسالة ابن شهيد ما يتصل بالحيوان حيث صور مجموعة حشد فيها طائفة من حيوان الجن: حمرهم وبغالهم وقد ثارت زويدة هائلة وخصومة حادة بينهم حول شعر نظمه حمار وبغل عاشقان، وقد انتدب ابن شهيد للفصل بينهما والحكومة في شعرهما، وكذلك لقاءه ببغلة أبي عيسى وحديثه معها، ولقاء الإوزة الأليبة التي اتخذها رمزاً لأبي القاسم الإفريقي وحواره معها!!

وعلى الرغم من أن هذا المشهد هو من أطرف، أو قل أطرف مشاهد الخيال في "التوابع والزوابع" التي حظيت بشيء من عناية ابن شهيد وإبداعه، إلا أنها لا ترقى إلى مستوى الخيال العائلي العبقرى المطلق الذي يلقانا في "الفقران"، أو في "الصاهل

الخيال في (الزوابع والتوابع) كان بسيطاً وساذجاً..

وقد درب أبو العلاء على هذا النمط الخيالي الحواري البديع من قبل "الفقران" و"رسالة الملائكة" في رسالة "الصاهل والشاحج" خاصة التي أنشأها حول سنة ٤١١ هـ (الرسالة ٢٧)

وثمة جانب آخر نود أن نقف عنده تجسد فيه الخيال بقوة ووضوح وعمق في "الفقران" و"التوابع" والزوابع" لنتبين بعد ما بينهما، وتفوق أحدهما على الأخرى فيه، ونعني به "التمثيل الخيالي للشخص" فيهما:

ومن التأمل الدقيق لهاتين الرسالتين تبين لنا أن أبا العلاء قد أبدع إبداعاً بعيداً في رسم شخصه الذين التقاهم ابن القارح في رحلته الأخرى من خلال ما وعى من أخبارهم وأقوالهم، وكأنه كان معنياً بتجسيد وتمثيل تلك الشخصيات والأقوال والأخبار تجسداً لا يخلو من طرافة وروعة وإبداع؛ نجد ذلك واضحاً في صورة الصبيئة وحظه من نعيم الجنة الذي جعله متمثلاً مع نصيبه من الإيمان؛ بل إنه جعله يحصل عليه بوصفه الصادق لنفسه ووجهه وليس ببعض أقواله الحكمة الصادقة كما في قوله: لا يذهب العرف بين الله والناس.

كما نجده واضحاً في صورة جنة الرجاى وبيوتهم القمينة التي تتناسب ومكانتهم الإبداعية في الأدب، ولأنهم قصرُوا في الإبداع قصر بهم في التواب!

وكما نجد ذلك في الصورة الخلقية التي رسمها للصبيئة الجعدي والأعشى: كما نجده بوضوح في الصورة التي تمثلها أبي نؤيب الهذلي وهو يحتلب إحدى نوى الجنة العود المطافيل مازجا حليبها بالعسل المصقى يرغم ما ينتشر من حوله من أنهار العسل واللبن والخمر والماء استحضاراً لما كان يمارسه في الدار الخادعة حيث يقول: (٥٦)

والشاحج التي بناها على شخص حيوانية متعددة "الحصان والبغل والضبع والظب والجل والفاخته وغيرها" (٥٤)؛ وإذا كان ابن شهيد قد رسم للإوزة الأدبية صورة ساخرة تجسد حمقها وغفلتها، فقد جاءت صورة محدودة مسطحة، ولا تكاد تنتزع منا الضحك كما تنتزعها مثلاً صورة "الضبع" في رسالة "الصاهل والشاحج" (٥٥)؛ وقد امتاز هذا المشهد الذي صور فيه الضبع بكل عناصر الخيال والسخرية اللاذعة والحوار الطريف الذي امتازت به الرسالة كلها، كما امتازت به "الفقران" ورسالة "الملائكة"، حتى غدت من الخصائص الفنية للأدب العلاتي أجمع؛ وإن تجد مثل هذا المشهد ولا حتى مثل غيره من المشاهد التي وقر لها أبو العلاء الخيال والسخرية والحوار في رسالة "التوابع" والزوابع" مهما نقبت ونقرت، وذلك لما يتصف به خيال ابن شهيد من بساطة وسذاجة وسطحية وضحالة، وكذلك سخريته وحوارياته مع حيوان الجن وما تمخض عنه من نظم مقطوعتين من الشعر على لسان الحمار والبغل العاشقين، لا تبلغ ولا ترقى إلى مستوى ما نجده في "الفقران" مثلاً في حوار ابن القارح لأبي مدرش وما تمخض عنه من إنشاء قصيدته الرائية والسينية ذات الصبغة اللغوية المتميزة التي رأيناها آنفاً، والتي توهي بانتماها إلى عالم الجن الغريب ولغتهم!

كما تتجلى هذه السخرية في موقف أبي العلاء من ابن القارح وشكه في صحة توبته وعدم قناعته بها لما عرف عنه من انغماس في الشهوات، وإمراج نفسه في المذات؛ مما جعله يتهم حياته اللاهية وسلوكه الماجن العايب، وعزمه الفائز، المشكوك فيه، على التوبة، فجعله يفقد صك توبته في المحشر وما ترتب عليه من عت وغناء وشقاء وبلاء قبل أن يلج أبواب الجنة!

كل هذا وكثير غيره يجسد بوضوح عبقرية أبي العلاء في إبراز الجوانب الساخرة والطريفة من حيوات الناس إبرازاً يتفوق فيه لا على ابن شهيد وحده، بل على كثير من أدباء العرب؛



وإن حديثاً منك لو تعلمينه
جنى النحل في ألبان عودٍ مطافل
مطافيل أبكارٍ حيث تتاجها
تُشَابُ بماءٍ مثل ماء المفاصل

وكما نجد ذلك في حرص عدي بن زيد العبادي على الصيد والطرد تأكيداً لما كان عليه في الحياة الدنيا، حيث كان صاحب قنص وصيد؛ ورواء هاتيك النماذج تلقانا شواهد كثيرة وفيرة في "الغفران" تجسد هذا الجانب التمثيلي لشخصه تجسداً واضحاً يكشف عن مهارة أبي العلاء وإبداعه في هذا الجانب!!

وهذه الظاهرة نفسها نجدها بوضوح في "التوابع والزوابع"، وكأنها توحى بتأثر ما بين الرسالتين نجد ذلك في صورة امرئ القيس وفي صورة طرفة وصورة قيس بن الخثيم وصورة أبي تمام وصورة البحري وصورة الجاحظ وصورة أبي القاسم الإفريقي وغيرهم.. ولعل أبرع وأطرف تلك الصور قاطبة التي تجسد هذه الظاهرة عند ابن شهيد، صورة أبي نواس وصورة المتنبي، وربما كان ذلك بسبب الالتحام الروحي والنفسي والاجتماعي والخلقي الذي كان ابن شهيد يحسه بعمق وقوة مع هاتين الشخصيتين: أما أبو نواس فقد كان ابن شهيد صورة متأخرة منه في سلوكه وإغراقه في الشهوات وتهالكه على شرب الخمر مما ورثه عن أبيه، وإن حاول في أخريات أيامه أن يصرفه عن هذا السلوك ويوجهه وجهة زاهدة تركت أثراً حاداً في نفسه وحياته وشعره، وأما المتنبي، فيبدو أن أسلوبه ومنهجه المتميز في الفخر كان وراء إعجابه البالغ به وتقديره وتفضيله على سائر الشعراء، وربما كانت فخرياته أثراً من آثار نفسية المتنبي وشاعريته!!

على أية حال فقد أبدع ابن شهيد في رسم معالم هاتين الشخصيتين أو تشخيصهما إبداعاً رائعاً وإن لم يبلغ ما انتهى إليه أبو العلاء في كثير من جوانب "الغفران" فيما يتصل بتشخيص الشخصوس وتمثيلهم!!

ومن الخصائص الفنية والفكرية في الرسالتين ظاهرة الاستشهاد المتنوع من مختلف الثقافات والمعارف التي وعها الأديبان؛ وهي ظاهرة تميز الأدب العلائي تمييزاً خاصاً في جميع مصنفاته ومن بينها "الغفران"، حيث نجده يفرط ويتوسع في الاستشهاد بكثير من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، كما استشهد بكثير جداً من أبيات الشعر والأمثال.. حتى غدت تلك المصنفات أشبه بالموسوعات العلمية أو دوائر المعارف؛ وقلَّ أن تجد صحيفة من تلك الكتب تخلو من نوع أو أكثر من تلك الأنماط الأدبية والفكرية التي يستشهد بها؛

ومما يتصل بهذا الجانب الثقافي الموسوعي "الروايات الشعرية" وما يشوبها في بعض الأحيان من نحل ووضع مما يفرض المناقشة الحسيفة والنقد الدقيق لتحديد الوجوه المناسبة لتلك الروايات وفي هذا الجانب نجد أبا العلاء يناقش العلماء والرواة مشسراً إلى ما في بعض الروايات من انتحال أو شك أو اختلاف مبدئياً رأيه كلما وجد إلى ذلك سبيلاً؛

ومما يتصل بهذا الجانب ظاهرة "الاستطراد" الذي يعد أثراً من آثار التنوع الثقافي والتعدد المعلوماتي، ونتيجة مباشرة للاستشهاد الذي يمتاز به الأدب العلائي أجمع؛ وهذه ميزة لا نكاد نجد لها أثراً يذكر في "التوابع والزوابع"، ولا تظن أن هذه الفكرة تتطلب منا دليلاً لإثباتها، إذ إن مجرد النظرة العجلى في كلتا الرسالتين تؤكد عمق الثقافات وتنوعها وتعدد أنماطها وغزارتها في "الغفران"، في حين لا تقع على شيء من ذلك في الرسالة الأخرى؛ وبحسبنا أن نذكر أن ابن شهيد التقى في سياحته ثلاثة شعراء جاهليين وأربعة عباسيين، والتقى من الكتاب بالجاحظ وعبد الحميد وبيدع الزمان وواحد من معاصريه هو "الإفريقي"؛ وعلى الرغم من أن موضوع الرسالة ومنهجها وغايتها كان وراء تحديد هذه الشخصوس وعدم تجاوزهم، إلا أن ذلك كان وراء تأكيد حظ ابن

التمثيل الخيالي للشخص أكثر وضوحاً في (الفقران) ..

قصائد صاحبتنا الأندلسي، وحتى لو كانت مقطوعاته الحيوانيتان على لسان خمار وبغل من عشاق حيوان الجن من إبداعه الخاص بالتوابع والزوابع، على روعتهما ورشاقتهما وجمالهما، فإنهما محدوتان جداً ولا يمكن أن تبلغاً مبلغ تبتك القصيدتين الجنيتين إبداعاً وخيالاً ولغة وفكراً!!!

وهكذا أينما يمت وجهك، وقلبت نظرك في عالم "الفقران"، وجدت جديداً ورأيت طريفاً ابتكره خيال أبي العلاء الجامع، وأبدعته عبقريته الفذة، وأثرته ذاكرته العجيبة، وأغنته حافظته النادرة، ووجدت ذلك في ابتكار مشاهد التعيم والعذاب، كما تجده في وصف بعض جنبات الجنة وعروضات الجحيم، كما تجده في محاورات الأدباء ومجالس العلماء، كما تجده في المشاهد الساخرة الفكهة وما كان يسيطر عليها من طرافة وملاحه ورشاقة!! كل هذا وغيره كثير يموج به عالم "الفقران"، في حين لا تكاد تجد شيئاً ذا ببال أو غنى من ذلك في "التوابع والزوابع".

وفي "الفقران" تتعدد المشاهد وتتوغل المناظر، ولا تكاد تقع عينك على مشهد من مشاهد أو منظر من مناظرها دون أن يكون للخيال أو للسخرية أو للطرافة والجدّة أو للفنّي الثقافي والفكري أثر بالغ ودور ظاهر في إبداعه وتكوينه وتنسيقه. أما في "التوابع والزوابع" فلا تكاد نجد غير ذات المنظر مع قليل جداً من التفسير في حواشيه وأطرافه وشخصه، أو قل لمحات فنية ساذجة داخل المنظر العام الدائم فيها!

هذا إلى جانب التفاعل العميق مع عناصر الثقافة في "الفقران" خاصة، وفي سائر المصنفات التي وضعها شيخ المعرفة عامة، وتتوغل تلك العناصر وأزدهامها وغزارتها فيها، وقلنتها ونضوبها وسذاجتها في "التوابع والزوابع"، حتى ليتمكن

شهير من الثقافات والقراءات في كتب الأدب والعلوم والمعارف المتنوعة كما قرر ذلك معاصروه، وحصره نفسه في إطار ضيق محدود هو الذي جعله يغفل كثيراً من الشعراء والأدباء ولم يعرض لهم في رسالته من أمثال شعراء صدر الإسلام وبني أمية على شهرتهم لا شيء، إلا لأنه لم يعارضهم في شيء من إبداعاتهم وهو المنهج الذي فرضه على رسالته حيث اقتصر على من عارضهم من الشعراء والكتاب سواء أعجب بهم أو لم يعجب! وهكذا لم يكن ابن شهيد صاحب ثقافات متنوعة خلافاً لأبي العلاء الذي كان موسوعي الثقافات كما تجسد ذلك مصنفاته العديدة؛ ومن هنا، فإن ما نجده من هذه الثقافات في "التوابع والزوابع" لا يعدو أن يكون قطرة تائهة في محيط "الفقران" الزاخر الهائل!

ومن كل ما أسلفنا يمكننا أن نقول إن كل ما في "الفقران" مبتكر ومنشأ وإنشاء جديداً خاصاً بالمناسبة التي دفعت إليها، وإن كل ما في "التوابع والزوابع" وخصوصاً الشعر كان قديم النشأة نظمه ابن شهيد في فترات متباعدة قبل ميلاده أو تلفيقها، لأنها كانت قصائد أو مقطوعات من قصائد عارض بها نفرًا من مشاهير الشعراء، وراقت له وأعجب بها واستخرجها من حرزها الحريز ليفاخر بها منافسيه ونافديه، متجشماً بالغ العناء والمشاق في رحلته إلى وادي الجن مستجداً بتوابع الأدباء وشياطين الشعراء، مسترداً أيديهم له ومناصرته عبر شهادات التفوق وإجازات الإبداع التي منحوه إياها، وعاد لينشرها من كتابته في وجوه المناقسين!

وفي الحق إن ابن شهيد لو كان موفقاً في إبداعه هذه الرحلة الخيالية بصورة أكبر لأحتفنا بمجموعة أكثر من روائع قصائده التي كان عليه أن يبديها وينشئها خصيصاً لهذه الرحلة لا أن يجتر أمجاده القديمة من روائع شعره ونثره على نحو ما صنع أبو العلاء في قصيدتيه الجنيتين "الرائية والسينية" اللذين فرضتهما المناسبة ولم تستدعها استدعاء



أن يقال إن الفارق الأكبر بين أبي العلاء وابن شهيد يتمثل في وفرة الثقافات وتنوعها ومبلغ التفاعل معها:

على أن هذا كله لا ينبغي مطلقاً أن يعني التقليل من شأن رسالة ابن شهيد والتهوين من أمرها وذلك لأن لها بلا شك شأنًا عظيمًا ومكانة رفيعة، ولها كذلك قيمتها الفنية والفكرية المؤكدة، ولابن شهيد كذلك دوره البارز غير المنكور في إبداعها، ولكن ليس بالقياس إلى "الغفران"، إذ إن ثمة فرقاً كبيراً، ووبناً شاسعاً بين الرسالتين، هو باختصار الفرق بين الأدبيين من حيث عمق الفكر وغزارة الثقافة وتنوع المعارف وعمق التفاعل معها: وأبو العلاء لا يتفوق في كل ذلك على ابن شهيد وحده بل على سائر أدباء العربية قاطبة، ولا يدانيه منهم أحد، فهو نسيج وحده، وهو أمة وحده في هذا المضمار!! ومن الجوانب المشتركة بين الرسالتين "فكرة التعويض" عن عقدة النقص التي كان يعاني منها ويحسها كل منهما؛ وقد سبق أن أشرنا إلى أن ابن شهيد كان يعاني من عقدة نقص كان لها تأثير بالغ على حياته نجمت عن ثقل في سمعه كما يقول، أو صممه كما يزعم مؤرخوه: كما كان أبو العلاء يعاني من عاهة العمى! وطبيعي أن يكون لكل من هاتين العاهتين أثرها البالغ في تشكيل حياة كل منهما وتكوين أخلاقه وتلوين علاقاته بالناس، كما حددت تلكا العاهتان اتجاههما الأدبي والثقافي والفكري وفقاً للبيئة التي عاش فيها كل منهما، وهي بيئة مثقفة دفعتهما إلى الانكباب على العلم والأدب والدرس والنهل من موارد الثقافة ومشارعها الثرة على اختلاف ظاهر بينهما في هذا الجانب كما مر بنا، وإذا كانت عاهة أبي العلاء في مرحلة من مراحل حياته قد وقفت في وجهه وحالات دون اختلاطه وفرضت عزلة عن الناس وكونت له فلسفة خاصة وموقفاً فكرياً متميزاً تمثل في مذهبه الزهدي وما يتصل به من عزوف عن الزواج بله النسل وتزهيد الناس في ذلك وتفجيرهم من المرأة ودعوتهم إلى الزهد في حطام الدنيا على نحو ما

جسدت ذلك لزومياته بعمق، فإن عاهة ابن شهيد لم تستطع أن تحول بينه وبين الناس، كما لم تكن ذات بُعد فكري أو فلسفي خاص، ولكنها كانت ذات تأثير أدبي ظاهر وهو ما سنقف عنده فيما يأتي باعتباراه موضوع أو مجال المقارنة/ الموازنة بين هاتين الرسالتين:

وأول ما يمكن أن نقرره هنا أن الرسالتين اختلفتا اختلافاً شديداً في أثر العاهة التي كانت وراء إنشاء كل منهما، وقد دفعتهما تلك الأفتان إلى طلب الشهرة وتأكيد التفوق والامتيان، ولكنهما اختلفتا في طريقة تحقيق ذلك: فبينما كانت عند أبي العلاء مستسرة تصطنع الهدوء، وتتجنب الصخب متمثلة في نغمة التواضع المكرورة التي نشرها في جوانب كثيرة من مختلف مصنفاته والتي كانت تنتزع الإعجاب وتفرض الاحترام والتقدير وتحقق التفرد والتميز، كانت عند ابن شهيد متبرجة سافرة لا تكف عن الصياح والصراخ، وتعلن بقوة وعنف الطعن على معاصريه والخط من أقدارهم ومكانتهم، والحرص البالغ على انتزاع الاعتراف بتفوقه وامتياز، لا من معاصريه، وإنما من توابع الكتاب وشياطين الشعراء المشاهير عبر إجازاتهم وشهاداتهم له شاعرا وخطيباً؛ ومن خلال هذا الموقف أو الفكرة يمكننا أن نقول إن ابن شهيد كان يعالج قضية الإبداع من خلال إثبات التفوق والامتيان على الأدباء في إخراج المعاني المشتركة بينه وبينهم، أو طريقة النظم والمعارضة، وهذا ما جعله يقصر الحديث واللقاء مع نفر من الشعراء والكتاب معرضاً عن كثيرين غيرهم ممن لم يأخذ منهم شيئاً من معانيهم، أو يعارض شيئاً من شعرهم؛ وربما كان هذا الموقف يجسد عقدة الإحساس بالتفوق أو بالتخلف التي كان يعاني منها ابن شهيد إزاء أدباء عصره: أما أبو العلاء فقد كان يعالج قضية نقد وتقويم الإبداع من خلال طائفة من آراء العلماء في بعض أقوال الشعراء، مما جعله يعرض كما هائلاً من المسائل والقضايا والآراء العلمية في أثناء هذه اللقاءات المتنوعة التي

أبو العلاء: تميز بموسوعية الثقافة، والتنوع المعرفي والأدبي.

رضابهما ويتمتع بجمالهما العجيب، حتى إنه ليرى أن دقيقة واحدة معهما من دقائق ساعات الدنيا خير من تلك الدنيا لما يجد من جمالهما الذي يقصر عنه الوصف؛ فتقول له إحداهما: "أتدري من أنا يا علي بن منصور؟ فيقول: أنت من حور الجنان اللواتي خلقهن الله جزءاً للمتقين، وقال فيكن (كنتهن) الياقوت والمرجان). فتقول: أنا كذلك بأنعام الله العظيم، علي أنني كنت في الدار العاجلة أعرف بحمدونة، وأسكن في باب العراق بطلب، وأبي صاحب رحي، وتزوجني رجل يبيع السقط، فطلقني لرائحة كرهها من في؛ وكنت من أقبخ نساء حلب، فلما عرفت ذلك زهدت في الدنيا الفرارة، وتوفرت على العبادة، وأكلت من مغزلي ومرثني؛ فصيبرني ذلك إلى ما ترى؛ وتقول الأخرى: أتدري من أنا يا علي بن منصور؟ أنا توفيق السوداء التي كانت تخدم في دار العلم ببغداد على زمان أبي منصور محمد بن علي الخازن؛ وكنت أخرج الكتب للنسخ؛ فيقول: لا إله إلا الله، لقد كنت سوداء فصرت أنصع من الكافور - وإن شئت القافور؛ فتقول: أتعجب من هذا والشاعر يقول لبعض المخلوقين:

لو أن من نوره مثقال خردلة

في السود كلهم لايضت السود (٥٨)

وهكذا حرص أبو العلاء على تبديل كل العاهات والعيوب الجسمانية والخلقية في "الغفران" بدافع "التعويض"؛ وإن كان هذا الأمر في الحقيقة تصوراً واقعياً حقيقياً لطبيعة الجنة وحالها وحال المؤمنين بها من عباد الله المتقين؛ وما تمتاز به من كمال وجلال وجمال يتناسب مع الكمال والجلال والجمال الإلهي الذي صدرت عنه الجنة وما فيها من نعيم مقيم!!

ومن غير شك، فقد كان أبو العلاء يرصد هذا

شهدها مسرح "الغفران"؛ وبينما كان ابن شهيد يحاصر نفسه ويحاصرها في حيز المعارضة الإبداعية، كان أبو العلاء يرسلها على سجيبتها لتنتشر هذا السيل الهائل من الثقافات والعلوم والمعارف التي كانت تقد إليها أرسلاً، وتنثال عليها أنثيالاً؛

وبينما توحّد إطار اللقاء في "التواضع والزواجب"، تنوع تنوعاً واسعاً وثرى في "الغفران"؛ حتى إذا تحول عن هذه القضايا والآراء العلمية جاءت حواراته مع شخوصه متنوعة ترصد أطرافاً من حيواتهم وما شاع من أخبارهم وبعض إبداعاتهم الشعرية، مما أثرى هذه الجوانب فيها!!

كما برزت فكرة التعويض في "الغفران" بوضوح في وصف نعيم الجنة، حيث وجدناه يرخي لنفسه العنان في تصوير ذلك المتاع والنعيم الذي أعده الله للمتقين من عباده، وفي تصور الحور العين المقصورات في الخيام اللاتي لم يطمئنهن إنس ولا جان بعد أن أفرط في تهذيب الناس في النساء في الحياة الدنيا من خلال لزومياته وكذلك تصوير مجالس الضمر التي كانت محرمة عليهم في الدار الخادعة؛ وكل ذلك، وإن كان صدى عميقاً لما جاء في القرآن والحديث من أوصاف الجنة ونعيمها، إلا أنه ربما كان ينظر إليه من زاوية الحرمان الذي فرضه على نفسه في حياته عندما حرّمها من كل شيء، وكأنه يؤذّن لها أن تنال كل ما حرّمها منه وأن تتمتع به.

كما تظهر فكرة "التعويض" بوضوح في جانب مهم من جوانب "الغفران" يتمثل في إبدال كل مظاهر النقص التي كانت لاحقة بالبشر في الدار العاجلة وتعويضها بمظاهر كمال وجمال وجلال وبهاء، على نحو ما نجد في إبدال "عشى" الأعشى و"عور" عوران قيس الخمسة، عيوناً جميلة مميزة، يقول على لسان ابن القارح مخاطباً إياهم: "ما رأيت أحسن من عيونكم في أهل الجنان (٥٧)"، وكذلك الأمر بالنسبة لحمدونة الطيبة وتوفيق السوداء اللتين يصورهما وقد غدتا من حور الجنة وأعدتا لابن القارح لينعم بهما ويرتشف من



الجانب من الجنة من خلال عامة العمى التي عيف بها في سنيهِ الأولى وحرمته من رؤية كل شيء مدفوعاً بأشواقه إلي تعويضه بعينين مثل عيون الأعشى وعوران قيس الخمسة ليرى ما حرم منه في الدنيا!

ولعلنا ننكر في هذا المقام حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم): "لا تدخل الجنة عجوز" والخبر الذي ارتبط به؛ أما ابن شهيد، فقد كان تعويضه في "التوابع والزوابع" مختلفاً ومتخلفاً عن تعويض صنوه، إذ أنه انطوى على عقده النفسية التي ترسبت في أغوار نفسه بسبب صممه وما نجم عنه من إقصائه عن الكتابة وحرمانه من الوزارة، في حين حظي بها من أدباء عصره من هو دونه إبداعاً وأقل شأناً منه، وما تركت من آثار على حياته وما أشاعت فيها من أحقاد وشحناء على منافسيه الذين طعنوا في أدبه واتهموا بعقريته وخطووا من قدر إبداعه الذي كان يقده تقدسياً كبيراً؛ هذا ما جعل تعويضه يقتصر على تأكيد قدرته الإبداعية من خلال فكرة إثبات التفوق والامتياز لا على أولئك الخصوم المنافسين فحسب، بل على فحول الشعراء وأئمة الكتاب الذين طبقت شهرتهم الأفاق عبر معارضاته لمانحهم الأدبية الرفيعة، وإجازات توابعهم وشيخاطينهم له شاعرا وخطيباً التي تلقانا في ختام لقاءاته بهم وما يسودها من إطرأ وإعجاب!!

وواضح أن هذا كله من أثر العقدة النفسية التي كان ابن شهيد يعاني منها؛ ولكتنا لا نجد وراء هذا الجانب شيئاً من مظاهر التعويض في "التوابع والزوابع"؛

وإذا ما قارنا بين مظاهر التعويض عند هذين الأدبيين، فإننا نجد فرقاً هائلاً بين تعويض أبي العلاء وتعويض ابن شهيد، وإن كان تعويضه الصق بنفسيته من تعويض أبي العلاء الذي كان مرهوناً بما أعده الله للمتقين من عبادته في الجنة من نعيم مقيم!!

وعلى هذه الشاكلة تبينت لنا أبعاد الاختلاف

الواسع بين هاتين الرسالتين الرائعتين "الفقران" و"التوابع والزوابع"، وهو اختلاف يبيح لنا رفض مزاعم الباحثين الذين ذهبوا إلى إثبات التشابه بينهما كما في موقف الدكتور زكي مبارك الذي قرر التشابه التام بين الرسالتين في كثير من الجوانب حيث يقول: "والواقع أن التشابه تام بين الرسالتين، فالموضوع واحد وهو عرض المشاكل الأدبية والعقلية بطريقة قصصية، والخلاف في جوهر الموضوع يرجع إلى روح الكاتبين: فأبو العلاء يحرص على عرض العضلات الدينية والفلسفية، وابن شهيد يحرص على عرض المشكلات الأدبية والبيانية، ويتفق كلا الرجلين على التعريض بمعاصريه وشرح ما أخذ على المتقدمين من أساطين العقل والبيان، والمسرح واحد تقريباً: فهو عند ابن شهيد وادي الجن في الدنيا، وهو عند أبي العلاء وادي الإنس في الآخرة (١٩)؛ أي الفردوس والجحيم، فالممثلون عند ابن شهيد جن يسخرون، وعند أبي العلاء إنس تسخرهم الملائكة والشياطين، وكان لكل إنسان في عرفهم ملك وشيطان!!" (٥٩).

والحقيقة أن الرسالتين تختلفان في كل شيء: في الموضوع والمنهج والأسلوب والهدف ومسرح الأحداث ومختلف الخصائص الفنية على نحو ما تبين لنا في هذه الدراسة؛ وهذا يدل على أن الأستاذ الباحث الفاضل لم يطالع على الرسالتين ولم يقرأهما قراءة فاحصة متأنية وخاصة "الفقران" قراءة أو اطلاعا يسوغ مثل هذا الرأي ويؤكد هذا الزعم؛ والطريف في الأمر أنه نفسه يعترف بأنه لم يطالع على "الفقران" عند محاولته تحديد الزمن الذي كتبت فيه (٦٠)، برغم وجود نص صريح يحدد تاريخ كتابتها (٦١)، وإن استطاع أن يصل إلى تحديدها بحسبة خاصة.

ومن كل هذا يتبين لنا أن الباحثين الذين عرضوا لرسالتي "الفقران" و"التوابع والزوابع" كانوا أحد رجلين: متعصباً لأبي العلاء ينسب إليه كل فضيلة، أو متعصباً عليه لغيره؛ ومثل هذا التعصب قمين

الثروة اللغوية الضخمة من أبرز وأظهر خصائص رسالته..

من عبادته، وإن اجتلب كثيراً من أوصافها فيها؛
ذلك أن أبا العلاء يعلم كما يعلم غيره من المسلمين
أن الجنة الحقيقية/ جنة القرآن، لن يكون فيها
بإذن الله مثل شجر الرجاز والحطية ولا مثل شجر
الجن وبيوتهم التي صورها أبو العلاء على نحو ما
رأينا؛ كما يعلم هو ويعلم غيره أنه لن يكون في تلك
الجنة الأخروية شيء من المهارات أو المنازعات
والخصومات التي تصورها من خلال تمثيله المبدع
لبعض شخوص الغفران كالنابغة الجعدي والأعشى
مثلاً، لأن الله تعالى يقول:

{ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سُرُرٍ
متقابلين} الحجر/ ٤٧. وإذن فالأمر لا يعدو أن
يكون اندماج أبي العلاء في أفكاره وحرصه على
نقلها إلى "غفرانه" بعبءٍ عن واقع الجنة

الإسلامية وحقيقتها بطبيعة الحال!!

(٥٤)، (٥٥) انظر الدراسة الخاصة برسالة
الصاهل والشاحج المنشورة بمجلة كلية اللغة
العربية والشريعة ع/٢. (٥٦) رسالة الغفران ١٩٩، شرح أشعار الهذليين
١٤١/١ تحقيق عبدالستار أحمد فراج، ط/ دار
العروبة.

(٥٧) رسالة الغفران ٢٣٧.

(٥٨) السابق ٢٨٦-٢٨٧.

(٥٩) النثر الفني في القرن الرابع ٢٦٠.

(٦٠) السابق ٢٥٩/١-٢٦٠.

(٦١) السابق ٤٥٠.

(٦٢) الغفران (بنت الشاطئ): ٢١٧، ٢٢٢، محمد
منصور: في الميزان الجديد ١٤٠ وما بعدها حيث
ينقد رأي العقاد.

بطمس الحقيقة وإخفائها كما أوضحت مختلف
الآراء التي رأيناها؛ والحق الذي تكشفه الدراسة
الفاحصة الواعية المحايدة لهاتين الرسالتين، أن
الرسالة "الغفران" نسيج وحدها في الفكرة
والأسلوب والموضوع والمضمون ومسرح الأحداث
وطبيعة الشخصيات الذين حشدتهم فيها، ولا تمت
إليها بصلة ما "الكوميديا الإلهية" لدانتي، ولا
"الفردوس المفقود" لجون ملتون، كما أنها لا تمت
بأدنى صلة إلى رسالة "التواضع والزواجر" لابن
شهيد، حتى في إطار السباحة الخيالية فيما وراء
عالم الحياة الدنيا، حيث إن تلك السباحات
والرحلات الخيالية إلى العالم الآخر فكرة إنسانية
عامة وقديمة، وقد غدت مما يمكن أن يطلق عليه
مصطلح "تراث الإنسانية" فلم تعد وقفاً على أحد،
ولم يعد أحد أولى بها أو بادعائها من غيره لتوظفها
في القدم، ولعرفة كثير من الشعوب
والحضارات لها (٦٢).

الهوامش والحواشي:

(٤٧) سورة الواقعة ٢٥-٢٨.

(٤٨) رسالة الغفران ٢٨٧-٢٨٩: البدي: البديع.

برق: تحير ودهش فلم يبصر. ضاوية: نحيفة هزيلة.

(٤٩) السابق: ٢٨٩-٢٠٧: قمي: حقير تافه.

شقن: قليل. الهياط: أشد السوق إلى الماء عند

الورد، والمياط: أشد السوق إلى الصدر.

(٥٠) ديوان الحطينة ٢٣٢، تحقيق نعمان أمين

طه/ الخانجي.

(٥١) رواه البخاري وأحمد والترمذي.

(٥٢) آل عمران: ١٨٥.

(٥٣) رسالة الغفران ٣٧٢-٣٧٥: يجب أن يستقر

في أذهاننا أن أبا العلاء لا يحاكي جنة القرآن ولا

يحتذى أوصافها التي سردها آيات القرآن الكريم

والأحاديث النبوية الشريفة، وإنما هو يرسم أو

يتخيل جنة أخرى، أو يضع تصوراً ذاتياً للجنة من

خلال أفكاره وخياله ونفسيته بعيداً عن التصور

الإسلامي الحقيقي للجنة التي أعدها الله للمتقين



جانب من الفكر المجهول والنقد الحديث

أ.د. يوسف عز الدين - لندن



هذه ذكريات بعيدة التاريخ لكنها قريبة حية لأنها ما زالت تنبض في بالحياة والحيوية. فقد كنتُ قابلت الشاعر الكبير الأخطل الصغير وأنا ما أزال طالباً في كلية الآداب، وكتبت عنه ثلاث مقالات نشرت في العراق في الجريدة التي كان يصدرها نور الدين داود وبينما كنت أقلب أوراقه وجدت الملاحظات التي سجلتها في دفتر صالحة لمقالة تجمع بين الجودة والطرافة والآراء الجديدة التي أدلى بها الشاعر الكبير عن الشعراء المعاصرين له ورأيه فيهم وفيها قد يكون جديداً لم يسمع به من قبل.

إن آراء الأخطل الصغير وأفكاره قالها بمغوية دون تعمد وتحدث على سجيته فهي صفحة جديدة وصانقة، ترسم صورة من فكر شاعر كبير في زمانه الشعراء، أعبت صياغة هذه الملاحظات لأنني نسيت ما كان في خاطري لما نشرت المقالات الموجودة في بغداد عندما قابلت الشاعر الكبير.

وفي حديثه تظهر عمق المصطلح الأدبية التي كانت بين الشعراء وأصيرة اليد بينهم بعد المسافات

وصعوبة المواصلات، فقد كانوا يعرفون التيارات الأدبية والشعراء في العالم العربي أكثر من شعراء هذا العصر وكانت رابطتهم أمتن من رابطة الأدباء المعاصرين الذين تقوقع أكثرهم في شرقية صغيرة من العصبية السياسية والفكرية والإقليمية. عسى أن يجد الناقد والباحث والدارس فيها ما يفيد وأن يتصرف على جانب من الفكر العربي والإنتاج الشعري عند الجيل الراحل.

أول مرة،

كنتُ فرحاً سعيداً ببقاء

الأخطل الصغير..

بعيدة إلا أن حلاوة الشعر أُنشئت مشاعري، ومزجت
الأيام ونظمت دار المعلمين الابتدائية في الأعظمية وكان
الصيف يقبل بنسفات عذبة من نهر دجلة ويساتين
الأعظمية فينفض النفس ويرقق الحس، وفي الحديقة
التف الطلاب حول المذياخ فانساب منه صوت عذب
جميل رقيق الألحان حلو الترانيم يردد:

اسبقنا بلبي أنت وأمي

لا لتجلو الهم عني أنت همي

جو جميل ومراقة حساسة وطبيعة هائلة فوجئت كل
جائحة في قلبي ترقص طرباً وتهتز فتنة وإعجاباً وكان
جميع الزملاء قد خدروا هذا الصوت الذي أسمع لأول
مرة.. ولطني أسمع لأول مرة غناء هذا الصوت، قال
المذيع: أنتهت أسمهان أغنيها ولم يقل اسم الشاعر،
فسألت عن اسم الشاعر فقيل لي إنه الأخطل الصغير،
ففتشت عن ديوانه في المكتبة ولم أجده ثم في مكتبات
الأعظمية ولم أجده له ديواناً مطبوعاً.

وجاء إلى بغداد في تايين الشاعر جميل صديقي

ما كنا نعرف الحاكي (كزاسفون) إلا في المقامي
يتصدر المكان فيها وعند بعض المترفين، وعندما كنت
في الدراسة الابتدائية طلب مني الذهاب إلى أسرة
موظف من أهل بغداد يملك هذا الجهاز لجلب أسطوانة
كتب اسمها على غلافها واسم المغني، إذ كنت لا أفقه
شيئاً من الترف الحضاري. إذ لم تكن نسمع الفناء إلا
في الحفلات والأفراح والمناسبات المحدودة.

ذهبت إلى أسرة الموظف فوجدت عندهم (الحاكي) يعمل
بالإبرة، وجلبت الأسطوانة المطلوبة وقد كتب عليها
محمد عبدالوهاب وعلى الغلاف الورقي سجلت قصيدة
شعرية مطلعها:

جففت علم الغزل

ومن الحب ما قتل

فلم أفهم معنى من الحب ما قتل غير أن البيت الثاني
للت المراهق المحافظ:

وحرقنا نفوسنا

بجسيم من القليل

لفت نظري هذه القصيدة، إنها قصيدة جديدة حفظتها
في الطريق فقد من الشعر روحاً بالموسيقى العذبة
والجرس الجميل وبالرغم من أن المسافة لم تكن جد



كان يرتدي كامل حلتة عند

نظم قصيدته..

عادة غريبة

كنت أسجل بعض الحديث الذي دار بيننا وفيه أراءه وأفكاره، ولما تحدث عن حياته ابتسم قائلاً: لكل إنسان عادة في الحديث الجاد ومن عاداتي الغريبة أنني لا أتمكن من الحديث الكامل المطلق الجاد إلا إذا كنت مرتدياً ملايسي كاملة، وقد تعجب إن قلت لك أنني حينما أريد أن أنظم قصيدة أردي ملايسي كاملة ثم أبدأ بنظم القصيدة.

وليست عادة الأخطل الصغير فريدة، فكل فنان له عادة في الإبداع فأنيب لا يكتب إلا بالحرير الأخضر، وأعرف أديباً كبيراً لا ينظم شعره إلا إذا نام على بطنه، وآخر لا ينظم إلا إذا نام على ظهره ورفع رجله.

وقد حدثت الأخطل الصغير عن كتاب صدر عنه وعن محتوياته وما فيه من آراء حول شعره لأهله على الكلام، ووجدته غير راض عن الكتاب ووصفه بالتفاهة وضعف الأسلوب وأردف بأن صاحبه (أمي) لأنه أراد أن يستقل اسمي تجارياً وأن أحكامه غير متزنة فهو مرة يرتفع بي إلى السماء وأخرى يهبط بي ويشعري إلى الأرض ولو كان المؤلف متزن الأحكام لما تدرج في أحكامه.

كانت بغداد مؤثلاً للشعر والأدب والفكر والتجديد لذلك كثر فيها الشعر ودارت حول اسمها الأساطير وأوحت للشعراء على طول العصور بالكثير من جيده.

وفي العصر الحديث ذكر بغداد عدد من الشعراء مثل بدوي الجبل، وعلي الجارم، وزكي مبارك وغيرهم من الشعراء، وقد كانت تعقد حفلات متعددة فيها ويحضرها المفكرون والمثقفون والكتاب من جميع أنحاء العالم العربي، فقد جاء إليها محمد عبدالوهاب، وأم كلثوم، ويوسف وهبي، وبشارة، وحاضر فيها أحمد حسن الزيات (١)، وعبدالرزاق السنهوري، وزكي مبارك، وأستاذنا محمد طه الحاجري - رحمهم الله - وغيرهم من قادة الفكر والفنون.

الزهاوي وألقى قصيدته التي يقول فيها:

بغداد ما حمل السرى مني

سوى شبح مريب

جفقت له الصحراء

وتناقلت الكتيب إلى الكتيب

وتنافست زمر الجناب

من فريهات الثقبوب

مما زاد إعجابي بالشعر والشاعر وتمنيت أن أراه أو أقرأ شعره، فقد كانت فيه حلاوة عجيبة وصور جميلة يرسمها بكل دقة، ويختلف أسلوبه عن الشعراء الذين كنا نحفظ شعرهم أسلوباً ورقاً وصوراً. وتعلقت به لما علمت أن (جفته على الغزل) من شعره.

كان أول سؤال سألته عندما وصلت إلى بيروت عن مكان الأخطل الصغير، وكان له مكتب في وسط بيروت فقيل لي إنه في الجبل، وتشاء الصدق أن أكون أنا في المصيف الذي يصطاف فيه واستأذنت في مقابلته بلهفة وحُب وإعجاب.

قابلني الشاعر برقيق الخلق وجميل الشمانل. كان الرجل مهذباً متحضرًا يعرف نفسه، بالرغم من فارق السن بيننا فقد أولاني من الاحترام كثيراً ورفع من مكانتي وكنتي أستاذ كبير. أسعدني وأفرحني هذا اللقاء ولعله أحسن بالعاطفة المتدفقة التي كانت تسابق لساني في مدحه، وشعر بالحب العميق الذي أكنه له.

كنت أريد أن أكتب عنه كتاباً وأنا طالب في كلية الآداب أو على الأقل مقالة ورجوته أن يزودني بالوثائق والقصائد التي تلقي الضوء على حياته فوعدني خيراً، لأن كل أوراقه كانت في مكتبه في بيروت وأخبرني بأن كل ما أريده معد ولن أتعب في تقصي الحقائق عن حياته. ولم يتحقق هذا الأمل فقد تركت (لبنان) مبكراً ولم أسعد بما وعدني به، ولكنني استفدت من المناقشات التي دارت معه، فقد سجلت ملاحظات متعددة من مختلف الآراء الأدبية التي كان يتحدث بها إلي، فكتبت ثلاثة مقالات نشرت في بغداد.

ظهرت على الشاعر آثار المرض وكان ضعيف الجسم هزيل القوام مع أنه لم يكن قد تجاوز الخمسين من العمر.



٧٨

تغنى بشعر الغزل وكان مجيئاً فيه..

وإذا أنت لا ترى غيير رأس

مطرق وارم المحاجر واجم

والحق أنها غرر شعره وكان أثر موت الملك فيصل في
العرب كبيراً لأنهم يحلمون في دولة عربية حديثة، فأحيا
هذه الآمال في النفوس عندما دخل دمشق باحتفال كبير
أعاد ذكرى الأمجاد العربية، ومن القصيدة:

واكتسى مفرق الجهاد جمالا

بالاكاليل من نؤابة هاشم

فيصل العرب ما هزّزناك إلا

بالهفون المقرحات السواجم

فهزّزنا، لما هزّزناك نينا

من جمال وجنة من مراحم

اطلعت شمس فيصل منك للعرب

مصابيح من شقوق العمائم

فلمحنا في أفقها وجه هارون

ومصراً مخضباً بالعنائم

ومنها:

ذلك النسر كيف خلق وانقض

مهيب الجناح دامي القوائم

مدفوق الثرى جناهاً وألقى

شامخاً ما له من الموت عاصم

الرصافي الصدوق،

ثم جرى الحديث عن الشاعر الكبير معروف الرصافي،
فهو الشاعر الذي تغنى بطموح العرب والعراق والإسلام،
وكان شاعراً ومفكراً وسياسياً واجتماعياً أرخ حياة
العراق وأحداثها، وقد رد شعره العالم العربي لأنه كان
جريئاً فحضر المثل به لأنه كان صادقاً مع نفسه
ومجتمعه، وأثر في أسلوبه الجزل وتقديره الواضح بمدى
العبارة وقوة شخصيته ووقوفه أمام السلطة والاستعمار

وعندما احتفل العراق في تأبين جميل صدقي الزهاوي كان
الأخطل الصغير ممن ساهموا في هذا الحفل بقصيدة أبرز
فيها وصف الصحراء وقال الأخطل الصغير إن الإفرنج لم
يعرفوا هذا الوصف في الصحراء وكان معجباً بهذا الوصف
نفسه، ولا أدري كيف يصف الشاعر الغربي الصحراء وهو لم
يرها، وليست له علاقة وجدانية معها ومن هذه القصيدة:

بغداد ما حمل السرى

مني سوى شبح مريب

جفلت له الصحراء

والثفت الكثيب إلى الكثيب

وتنافرت زمر الجنائب

من فوّهات الثقوب

يتساطون وقد راوا

قيس الملوخ في شحوي

يتساطون من الفتى

العبري في الرزي الغريب

همرء يا بنت السماء

البكر والوحي الخصيب

أنا لو نكسرت نكسرت

أحلامي وأنفامي وكوبي

إحدى الشموع النائبات

أمام هيكلك الرهيب

قصيدة فيصل الأول،

ودار الحديث عن شعره وما يجب من قصائده وأي
قصيدة يفضل فنذكر القصيدة التي نظمها في الملك فيصل
الأول وقد اعتز الشاعر بها وعدها من الشعر العربي
العالي ورأى أن يحتذي حذوها الشعراء وأن ينسجوا على
منوالها مع أن الشاعر قد رثى كثيراً من الشعراء والقادة
قبله وبعده مثل سعد زغلول، وإبراهيم هنانو، وشوقي،
والمنتبى وبلغت قصائده في الرثاء حوالي عشرين قصيدة
وقد رد لي بعض أبياتها وقد سماها (مصرع النسر)
والحق أن الملك فيصل الأول يستحق الرثاء، ففي حياته
قاسى مقاساة كبيرة أميراً وقائداً وملكاً. ومن القصيدة:

ليست بعدك السواد العواصم

واستقلت لك الشموع المتّم



صلاته وعلاقاته الشخصية امتدت إلى كثير من طبقات المجتمع..

بعد ذلك في جريدة العرب التي كانت تصدر في الأستانة، فتألم الوسيط من هجومه الذي لم يجد له مبرراً وكتب إلى الأخطل الصغير عاتياً عليه لأنه هو الذي عرفه بالرصافي ورجاه مساعدته، وكان جزاء الإحسان أن شتمه الرصافي مع أنه أحسن إليه).

لم أسمع عن الحادثة ولم أسأل عن اسم الوسيط لأنني كنت أسمع منه فقط، ولعل الرصافي أصيب بإحباط كبير وحسب بأن الوظيفة جاءت لكفاته أو أن هناك إنساناً آخر ساعده.

ومع مساوئ الرصافي التي تحدث عنها الأخطل فقد كان معجباً به ويشجاعته وقال: (كنا في عز الشباب عندما هاجم الرصافي السلطان عبدالحميد في شعره وكان السلطان في سطوته وقوته وحسبنا اسمه توقيعاً مستعاراً يذيل به شاعر عربي شعره)، (وكانا نصدق أن شاعراً اسمه الرصافي موجوداً حقاً في العراق وبمك هذه الشجاعة وكانت الدهشة تعترينا عندما نقرأ شعره). ويسرى شاعرنا بأن تجديد الرصافي بدأ عندما سافر إلى الأستانة التي أثرت حياتها فيه وما رأى فيها من تطور بالقياس إلى العراق وحياته الأدبية الهادة فزاد أن يجدد في شعره ولكنه هبط شعره بالمقارنة بشعره الذي كان ينظمه في العراق قبل سفره.

وأراني أخالف الأخطل الصغير في رأيه لأن الرصافي عندما سافر إلى الأستانة لم تساعده لغته القديمة في وصف هذا التطور الذي رآه، لأن لغته كانت محدودة بالمحيط الضيق الذي عاش فيه، وسفره إلى الأستانة هو الذي طور شعره وخرجه من العناية باللفظ إلى العناية بالمعنى دون أن يفقد جزالة شعره وجمال عبارته فهو جدد وبقي شعره جزلاً.

وكنيت ألقبت محاضرة عن الشاعر محمد رضا الشيبيني في كلية الآداب وحدته عن هذه المحاضرة فقال: (إن في

في الأدب والنفوس، وزاد من إعجاب الناس بشعره تصويره لحياة العراق الاجتماعية ومأساه في شعره، فقال عنه الشاعر: (إنه صديق صدوق وإنه يحبه ويعجب بشعره وصراحته وجرأته). ونعى على الشاعر لأنه (لا يتورع من أن ينام في أسوأ البيوت، وسرقت دراهمه ثم أعدناها له بواسطة الشرطة ثم أخرجناه من بعدها من هذا البيت).

والغريب أن الرصافي كان يتخذ مثل هذه البيوت مقراً له في بغداد، وكان يزوره كبار المسئولين فيها ويردد بأن أصحاب هذه البيوت أشرف من وزراء الدولة لأن أهلها أكثر وفاء له وحفاوة به من هؤلاء الوزراء الذين كانوا معه وزاملوه في الدولة العثمانية وبخاصة أولئك الضباط وأعضاء مجلس النواب (المبعوثان) الذي كان هو عضواً فيه، وكان يرعى نشاطهم وأنه لم ينضم إلى مؤسساتهم القومية، وما كان الرصافي راضياً عن الملك فيصل الأول زميله في مجلس النواب العثماني الذي صار ملكاً، أما الرصافي فلم يجد عملاً يليق به إذ عين نائباً لرئيس لجنة لم يعين لها رئيس فلم يخف الرصافي كراهيته للملك لأنه: لم ينل حقه بما يتناسب ومكانته العلمية وشهرته الأدبية، وقد كان الأخطل الصغير يلوم على الرصافي التباعد الذي يبدية نحو الملك فيصل الأول، لأنه يرى في الملك فيصل غير ما يراه الرصافي، قال: (إنه أمل الأمة العربية ثم إنه أسبغ عليه فضله عندما عينه نائباً في مجلس الأمة). وقال: (إنه كان غنياً في أعماله ضد الملك فيصل وكان حرياً به أن يلتزم الوفاء له وطيب الأخلاق معه). وقال إنها: (ليست المرة الأولى التي أساء للناس، فقد توسط له شخص لكي يعين الرصافي في استانبول في إحدى الوظائف، غير أن الرصافي لم ينل ما كان يريد فعاد من الأستانة إلى بيروت متناً لأنه لم يحصل على الوظيفة التي كان يتمناها غير أن الوسيط الذي أخفق في وساطته نجح ثانية وكان الرصافي قد عاد من استانبول غاضباً، فأرسل الوسيط برقية يرجو أن يعود الرصافي ويتسلم الوظيفة التي أرادها).

لكن الرصافي لم يرد الجميل لهذا الوسيط إنما هاجمه

بعض شعره تطوراً هو أقرب إلى العصرية وأكثر تطوراً من معروف الرصافي، ولكن شعر الرصافي أجزل أسلوباً وأصدق عاطفة وفكراً من الشبيبي، ما كنت أقدر أن أعلق على رأي الرجل للفارق الكبير بيني وبينه علماً وسناً وتجربة ولو قرأ ديوان الشبيبي لغير رأيه.

وعرجت معه على الجواهري فقال: (إن شعره لا بأس به) ولكن لم أقبل حكمه ولعله لم يقرأ له أو يصل شعره إليه. قلت له: إنه قائد الشعر العربي في العراق بعد ذهاب الرصافي والزهاوي فهو في شهرته ومستواه الفني لا يقل عن عمر أبو ريشة والأخطل الصغير ولاشك قد أعجبه هذا الرأي وأنا مؤمن به دون مجاملة.

كان الشاعر صريحاً وواضحاً فما تبجح وادعى وفاخر أو باهى بنفسه فقد أعجبتني هذه الصراحة إذ قال: (بأنه لم يكمل الدراسة وتركها في السنة الرابعة) ومن استقراء تاريخ حياته نجد أنه درس في الكتاتيب ومدارس عديدة وعلم نفسه بنفسه بالدراسة المستمرة والقراءة الجادة، لأن الصحافة شهرته وكان شاعراً هاوياً للشعر والصحافة وكانت (الصحافة) همه الوحيد لأنها كانت تمنحه الجاه والربح الوفير).

(وكان للصحافة وزنها وأثرها وقد استفاد منها معنوياً ومادياً بصفته من أرباب الصحف يتوسط عند المسؤولين في مساعدة.. الأدباء والشعراء ويعينهم لأن جريدته كانت منتدى لجميع الشعراء العرب وصفحاتها ميداناً نشر فيها الأدباء من جميع الأقطار العربية).

كان للدستور العثماني أثر في ظهور عدد من الجرائد والمجلات في الوطن العربي وقد كان لبيروت مكانة خاصة زمن الدولة العثمانية وإعلان الدستور ساعد على كثرة انتشار الجرائد وقد كان لبيروت دورها في قيادة الأدب والشعر والتحقيق ومكانتها ساعدت على بروز آراء وأفكار لم تكن تظهر في الوطن العثماني كله.

ولعل أثر الحرية في مصر كانت عاملاً مساعداً في بروز أثر الصحافة لأنها أخذت تزاحم دور الشاعر العربي في الرأي العربي العام، فاضد الأخطل الصغير (البرق) أسوة بالجرائد العربية فكانت سبباً في فائدة مادية ومعنوية (وسعت مكانته وأعلت كلمته، التي أعانته على أن

يتوسط للشعراء العرب والأدباء من جميع الأقطار العربية وهذه المكانة ساعدته على تعيين معروف الرصافي عندما توسط له مرة لدى أصدقاء جمال باشا فعين الرصافي في حلب، ثم إنه جند الصحف في تأييده في الرأي بذكر محاسن الرصافي وشعره وترجم ما كتب عنه في الجرائد حتى نال الرصافي المنصب الذي يريده).

كانت للأخطل الصغير صلة كبيرة بالزهاوي قد رثاه في شعره رثاء مؤثراً وكان يُكنى له التقدير والحب والإعجاب وقال عنه: (إن أخلاق الزهاوي تمتاز بالهدوء والوقار لأنه من أسرة عريقة، وعراقة الأصل تولد الأخلاق المتينة لأنه يحافظ على سمعة أسرته ويخشى على اسمها).

ولما أعيد الحديث عن الرصافي أخبرته بصدر كتابين أحدهما كتبه بدوي طبانة والآخر كتبه مصطفى علي وقد كان يتوقع أن يرسل إليه مصطفى علي نسخة منه لأن الرصافي كان قد عرفه به (١).

والطريف أن المنازعات التي كانت تدور في العراق عن الرصافي والزهاوي قد وصلتته فقال: (أعرف أن للرصافي أنصاراً يؤيدونه ومنهم مصطفى علي وأن جماعة الزهاوي من أهمهم أحمد حامد الصراف).

الشعر الخالد:

ودار الحديث عن الشعر الخالد والشعراء الذين يخلدهم التاريخ الأدبي فقال: (إن الشعراء لا تخلدهم إلا أبيات معدودة فالمتنبي خلّبت أشعاره في الحكمة، وأحمد شوقي له بعض الأبيات السائرة التي نظمها في البلاذ العربية).

وسألت عن الجديد الذي جاء به شوقي في الشعر العربي في المسرحيات فقال: (لم يعلق في ذهني من المسرحيات سوى بيتين من مسرحية مجنون ليلي هما:

لنا قبلة الشمس عند البزوغ

وللمضمر القبلة الثانية



ونحن الرياحين مله الفضلاء

وهن الرياحين في الأتية

وترنم بهما وقال: (إن هذين البيتين وفيهما تجديد وفيهما معاني جديدة وأصيلة وراقية وتركت الرواية ولم أطل في المناقشة فهو رأيي ويجب احترامه، ولعله لم يقرأ كل الروايات لأن المعاصرة حجاب.

السياسة في مصر،

كانت السياسة في مصر شغل العرب الشاغل، فتجدهم يتتبعون أخبارهم وأعمال الساسة والأحزاب وقد تحزب العرب لأحزابها، فهذا وفدي وهذا سعدي، وكان مكرم عبيد قد انشق عن الوفد وأصدر كتابه الأسود الذي هاجم فيه حزب الوفد: فلم يرض الشاعر عن مكرم عبيد واستذكر منه التقلب السياسي وخروجه على الوفد. وفاته أن السياسة والساسة من طبعهم عدم الوفاء والتقلب حتى أصبحت السياسة معناها عدم الوفاء، فقال: (إن الوفاء عدم الخروج على الوفد وإغضاب النفراني وعبد الهادي، وإن الوفد لو دخل الانتخابات الحرة دون أي تدخل للحكومة في مجراها لكان بأكثرية ٧٠٪ إن لم يقتر من ٩٠٪ لأن للوفد أغلبية شعبية) وللأسف برهنت الأحداث أن أغلبية الشعبية سرعان ما ضاعت أمام القوة والسيطرة العسكرية.

الطريف أنه تحدث عن نفسه فقال: (أنه ملول وأنه كسول) والواقع أن الملل صفة من صفات الإبداع والتجديد، أما الكسل فله جاء من مرضه، أو أنه أفة الإنسان أو البشر كلهم وأضيف بأن الشاعر كان سريع الأحكام فقد قال: (إن العراق بلد متأخر في الطباعة والنشر، ويرهن على قوله بكتابه وصله من أدبية حسناء يكتب لها الرجال وعرض الكتاب علي وكانت صورة المتأنية من الباطن مثيرة جداً وأنا أعرفها ولما عرض الكتاب قلت: يا سيدي هذا الكتاب طبع في أرقى المطابع في بيروت ولم يطبع في العراق مع أنني معك بأن الطباعة في العراق لم تصل إلى ما وصلت إليه في مصر ولبنان.

وقال عن مؤلف كتاب الأخطل الصغير: (أنه جعل مكان

شعر الغزل عنده هو شعر العاطفة

الرقية الجياشة..

ولأتي في مكان لم ألد فيه وأن الكاتب استشهد بشعر كنت نظمته وأنا صغير ولست أذكر بأنه شعري وكان حرياً به أن يحسن الاختيار، كما استشهد بشعر نظمته قبل عشر سنوات).

واستطرد في قوله: (كل إنسان يقدر أن يقول شعراً، والشعراء كثيرون ولكن الميزة الأولى، هي الإبداع الشعري وسعة الخيال فليس كل الشعراء مثل المتنبي وشوقي الذي خلده معانيه في البيتين السالفين).

وقال مستمراً: (إن شوقي صديق والرفاعي صديق ولكن الرفاعي هو الصديق الذي أعرفه وأقربه إلى نفسي ولا سيما أن الرفاعي جريء ومغامر ولم أره إنما عرفتته أولاً على البعد من شعره)، وتطرق إلى الخصومة القائمة بين الرفاعي والزاوي فقال: (كلاهما مذهب ولا ما حدث بينهم الشحنة ولو كان أحدهما طيباً لما حدث الخصام بينهما)، وهاجم الرفاعي بعد أن أصدر حكمه السالف وقال: (بأنه ذو خلق ردي).

استغربت هذا من الشاعر الكبير الذي يقول: عن الرفاعي بأنه صديقه الصدوق، فقلت للشاعر الأخطل الصغير: إن الأستاذ محمود شكري الألوسي أستاذاه أخبره بأن أصله كردي من جذور عربية من عشيرة الجبارية التي سكنت مع الأكراد ثم إن الأكراد والعرب في العراق لم يختلفوا في يوم من الأيام وهم متصاهرون فهم لحمة واحدة وسدى واحد وليس بينهم حساسية. قال: (إن كان كردياً لا يضره أن يكون شاعراً ملأ الدنيا بالشعر العربي).

وأريفت وقد كان أشد حرصاً على العرب وعلى وحدتهم من العرب أنفسهم وكان إحساسه بالعروبة عميقاً حتى قال عن نفسه.

عنهك شاعر العرب المجيد

لماذا لا تطارحني النشيد

وبعد هذا اللقاء ودعت فودعني حتى الباب تواضعاً وكرماً.

الشعراء كثيرون، لكن الميزة في الإبداع وسعة الخيال..

المقام مقام اختلاف في الرأي ومناقشة الأحكام، ثم قال: (وقد اشتهر شوقي بعد الحرب العالمية بعد أن نظم في مشكلات الشرق والبلاد العربية ولكن شعره فيه الرفيع الجيد، وفيه بعض الشعر الذي يهبط للحمض).

وقال: (إن حافظ إبراهيم برغم أنه ينحى نحو غيره في الشعر لكنه فرض نفسه على الأدب، ولكنه لا يضاهي شوقياً مهما حاول). وهو رأي ردهه النقاد.

كانت فرصة أن أعرف أن الشاعر من المعجبين كثيراً بالمتنبى بوجود مختارات من الأدب العباسي معه مما يدرس في المدارس اللبنانية، فانتقد الكتاب لأنه لم يكن على مستوى أدبي رفيع الاختيار، وانتقد اللجنة لأنها من وزارة المعارف وليست من الأساتذة المتخصصين وأصحاب الدراية، وأخذ يقلب صفحات الكتاب ويسفر من سوء الاختيار وقال: (أنا من المعجبين بالمتنبى وقد درست دراسة تمنع ولا زلت أدرسه) ثم جاء على صفحة فيها مختارات من أبي تمام فوقف عند بيت فيه، قذارته من بعضه فقال:

لا يقبض الموت نفسه من نفوسهم

إلا وفي يده من نقتها عود
وجاء ذكر الشاعر عبدالحسن الكاظمي، وكان العراق قد طبع له مجموعة من شعره، وبنى قبره في مصر، فقال إنه نظم فيه قصيدة منها:

أحين يمسي تريباً

لقد أتيتم عجائباً

يا أمّة لا أراها

تخطو إلى الحق قابلاً

الموت أكرم نفسه

والقبير أرحب باباً

قل للعراق أيقضي

شيخ العراق اغتراباً (٢)

وفي اليوم الثاني بادرت إلى زيارته بعد أن وجدت الرجل يرحب بي ويحس بالرضا في لقائي، والحق أنه يمتاز بالخلق الرضي والسجاء الحميدة وقد كان مريضاً قبل زيارتي له وهو في دور النقاهة، وهو دور يتعب النفس لأنه انتقال من حالة جسمية مرهقة إلى حالة جسمية تتشافى وتتعاوى الأطراف كلها.

ويحس زائره وضيغه وبرقه وبوده وله قابلية في اكتساب الأصدقاء وكأنه صديق قديم عزيز بلطف عبارته ودمائه أخلاقه، وإحساس الناس به يتكلم دون تكلف في المشاعر، ولا تعمل في المعاملة الطلوة الجميلة. وأحسست بأن الأصدقاء والزوار يذكرون شمائله العالية وسجاءه السامية، فإذا كانت هذه أخلاقه العالية وهو مريض فكيف يعامل الإخوان والأصدقاء وهو صحيح الجسم؟؟ كان يلح في إكرامي مع فارق السن بيننا ويوصلني حتى السلم الخارجي وكنت أرجوه بالإلحاح ألا يفرقني بهذا العطف ويحافظ على صحته؟؟...

الشعر عاطفة وخيال

قابلت إبراهيم المنذر عند الشاعر الأخطل الصغير وتفضل وقدمتي إليه بلطف، وهو من أعلام الأدب في لبنان وحديثي عن العراق وصلت به بوجود ولده يعمل سكرتيراً في القنصلية اللبنانية في العراق وله ولد آخر، ووجدت الأخطل شديد الاحترام والإعجاب بالشيخ المنذر وقال: إنه كان نائباً في البرلمان اللبناني وإنه حجة في اللغة العربية وقد قضى فترة طويلة من عمره في التعليم وأحسست بأن الشاعر يستفيد من علم الأستاذ المنذر لغة ونحواً، وحسناً يفعل إنه أسلوب الأديب الذي يفار على ألبه من نقد النقاد.

كان الشيخ المنذر قبلي في المجلس ثم بعد ذلك استأذن في الانصراف، وبذلك خلا المكان فاستأنف الشاعر القول: (الشعر عاطفة وخيال وقد خلا شوقي منهما كما خلا شعر المتنبى منهما ولكنهما مع ذلك شاعران عبقريان خلداً على مر الأيام).

لم أكن قادراً على مناقشة الرأي أو الاعتراض على شاعر كبير معروف: لأنني جئت لأتعلم واستفيد من الرأي وليس

لا يكرم الله شعباً

لا يكرم الآداب

كان يفيد من علماء اللغة غير

على شـ

استغرابي عندما وجدت أم عبدالله موجودة فضحكت وقالت بظرف واضح: (طلقني من بشارة ما دام كبير السن). قال لها: (حاضر). قالت: (على شرط أن تتزوجني)، فخرج المنذر بالرغم من أنها دعابة وسكت لا يرد، فاستأنفت ضاحكة وقالت: (إن طلقني بشارة كيف أعيش وحدي). وامتلأ الجو بالضحك على دعابة أم عبدالله المرححة اللطيفة التي أخرجت المنذر.

رسالة من العراق

يتطفل على الآب في كل وقت دعابة ليس لهم فيه أدنى نصيب من خلال أدباء كبار يكتبون لهم وبخاصة الجنس اللطيف. وفي العراق مرضة يهودية جميلة بكل معنى الجمال بل فنتت كثيراً من الأدباء والتفوا حولها وأخذوا يكتبون لها حتى توهمت أنها كاتبة، وطبع لها كتاب غاية في الجمال ورقاً وإخراجاً، ووضعت صورتها التي تحاكي أجمل الممثلات في الصفحة الأولى وبصورة غير محتشمة، ففي الصورة إغراء واضح، وأخذت ترسل بهذا الكتاب إلى كبار الأدباء والشعراء، فكانت الصورة مدعاة للإثارة، وقد رأيت الأخطل الصغير يردد إعجابه بالصورة دون أن يذكر المحتوى، ولما دخل الأستاذ المنذر أخفى الكتاب، وحاولت أم عبدالله أخذ الكتاب لتعرضه على الأستاذ المنذر ولكنها لم تقدر على ذلك ولما خرج الأستاذ المنذر ناولني رسالتها والكتاب، وهو يردد كلمات الإعجاب بالصورة غير المحتشمة، وساوره خيال الشعراء فقال: (اظنني أعرفها وقد شاهدتها في الجامعة الأمريكية)، وبدأ يسألني عنها فقد أثارت هذه الصورة كوامن روح الفنان الرقيق فسألني: قال: أتعرفها؟ قلت: لم أقابلها. قال: هل هي كاتبة معروفة؟ قلت: لم أسمع بأنها كاتبة أبداً.

ولما جاء ذكر الشاعر عزيز أباظة قال إنه قرأ العباسية وقد أعجبه دفاعه المجيد عن العباسية، أخت الرشيد وردد الأسطورة التي ذكرها بعض المؤرخين عن علاقتها بجعفر البرمكي، وما قيل عن زواجها منه سرّاً، والتاريخ كذب هذه الأسطورة لأنها كانت متزوجة ولها أولاد. وهو متأثر برأي جرجي زيدان، وقد تحدث الأخطل الصغير عن أباظة فقال: (إنه شاعر يستقبل الناس كثيراً وبخاصة الأدباء، وأنا أحبه كثيراً، وقد أرسل ديوانيه عن المرأة ولكن الكسل والخمول حالاً دون شكره والكتابة إليه).

ولا يمكن أن يتحدث أنيب عن الأدب والأدباء، ولا يجري الحديث عن مصر مركز الإشعاع الأدبي والفكري، قال: (إنه زارها بعد أن دعمته الدولة وتكلفت بجميع المصاريف، وكانت سيارات الأدباء والاخوان تسهل لي الاتصال بخاصة الأستاذ الجميل، ولكن مصر وما فيها من مغريات دعيتي اصرف ٢٠٠ جنيه التي أخذتها معي ولم أعد منها غير عشرة جنيهات). وقال: (إنه سكن الكوتيتنتال) ولم اعلق على الناحية المالية والفندق مشهور في وقته ولعله أعلى الفنادق، فلقد كان ينزل فيه عليه القوم.

غنى الموسيقار عبدالوهاب شعر الأخطل الصغير وكان يحبه ويثني عليه وذكر بأنه (عندما يأتي إلى بيروت كان يعرج علي، وما زار لبنان إلا سمعت برويته)، ولم يكن عبدالوهاب وحده يذوره، وقال: (إن كثيراً من رجال السياسة من المصريين يزورونه وذكر منهم صدقي باشا، وإبراهيم عبدالهادي باشا).

ملحة وطرقة

كان إبراهيم المنذر معه وجرت بينهما بعض المداعبات والطرائف، فقد قال المنذر مداعباً: (إنه أكبر سنّاً مني) فضحك الشاعر وقال: (لا تصدقه في القول إننا من سنة واحدة). واستغربت هذه المداعبة بين الأستاذين الكبيرين وزال



٨٤

ولكنه لم يفتح بجوابي وبقيت في نفسه رغبة عميقة
لعرفتها لم أقدر على إروائها.

الرجل لم يتعلم في الجامعة بل لم يهتم بالأدب العلمي
وتاريخ النقد ولم يلتفت إلا إلى قراءة الشعر وحفظه عند
كبار الشعراء، ولما دار الحديث بيننا عن الأدباء والنقاد
وأثرهم في الأدب قلت له: إن ابن سلاّم أول من وضع
للشعراء طبقات كالشعر الجاهلي والشعر الإسلامي
ثم شعر المخضرمين وذكر اختلاف الآراء واقتصر على
أربعين شاعراً وهم الفحول وصنفهم في عشر طبقات
وهو أول من تحدث عن الشعر المنحول والموضوع قبل
طه حسين وكانت القبائل تتزبد في مغاخرها لقلّة ما نظم
فيها، واحترف بعض الرواة وضع الشعر مثل حماد
الرواية فنحل الشعر ليكتسب عند علماء اللغة ومثل داود
بن متمام بن نويرة ليكسب بعض المال.

استغرب الشاعر الكبير هذا الرأي وكأنه لم يسمع
شيئاً عما أقول وكان جل حديثه عن كبار الشعراء
الذين تركوا أثرهم في الشعر العربي كالمثنوي
والبحراني والأخطل والنابغة، والأخطل الصغير كان
شديد الإعجاب بشعر البهاء زهير وكان يردد الشيء
الكثير من شعره.

والحق أن شعر البهاء زهير من جميل الشعر وحلوه،
فهو سلس اللفظ قريب المأخذ رقيق الجرس وقال
بصراحة إنه يحفظ شعره، وقال: (كنت في شبابي
حفظت شعره وتبعت أخباره ولكنني اليوم أقول: إن
شعره ليس فيه التجديد الكبير الذي نريده في الوقت
الحاضر وحسبه أنه من أرق شعراء عصره). وأكد
الأخطل الصغير على أن الشعر الحقيقي هو
شعر الغزل، وقال: (أنا معجب بشعراء الغزل لأن
الغزل هو العاطفة الصادقة). وقد بدأت هذا الإعجاب
في أول حياتي الأدبية. ولأشك بالمراهق المراهف
الحس إذا كان شاعراً سوف يأسره شعر الغزل،
وأكثر الشعراء الكبار بدأوا شعرهم بالغزل.

وكان الأخطل الصغير يحفظ شعر المتنبي في الغزل
على قلة غزل المتنبي، ولا عجب فإن الشاعر الكبير برز
في الشعر الغزلي وغناه كبار المغنين ومن جميل شعره:

الهوى والشباب والأمل المنشود

تحيي فتبعت الشعر حيا

والهوى والشباب والأمل المنشود

ضاعت جميعها من يديا

يشرب الكأس ذو الحجا ويبقي

لقد في قرارة الكأس شيئاً

لم يكن لي غد فافترغت كأسى

ثم حطمتها على شفتيها

ومن جميل صورة:

قتل الورد نفسه حسداً منك

وألقي بماءه في وجنتيك

والفراشات ملحت الزهر لما

حدثتها الانسام عن شفتيك

وقوله:

أيلقي على قدم الغريب بنفسه

ويشيع عن إبنائه الأمجاد

وقوله:

أبلغ الشعر بممة تتلظى

فوق خد لا صفحة من كتاب

وقوله في شوقي

هذا الذي رفع الأهرام من أنب

وكان من تاجها أغلى الجواهر

هذا الذي لمس الآلام فابتسمت

جرامها ثم ذابت في المحاجر

والحقيقة أن شعر الأخطل كما قال عن نفسه: كان

شعري الفناء في فرح الشرق وكان العزاء في أحزانه.

وقد انتهت الخواطر والذكريات التي كتبتها عن الشاعر

الأخطل الصغير. وعسى أن أجد المقالات التي كتبتها

عنه فقيها أشياء لم أذكرها.

الهوامش:

١- أصدرت كتاباً عن الرصافي بعنوان/ الرصافي

بروي سيرة حياته.

٢- ما سبق للشاعر وما نحن نقضي غربة؟

القول الممتاز في مثالب التفاضل

- حدثنا أبو الفتح عثمان بن جني (١) قال:

صحيبتُ أستاذي أبا علي الفارسي (٢) أربعين سنة أتعلم منه النحو والأدب ولغة العرب، أدور حيث دار، وأسير حيث سار، حتى اشتعل رأسي شيباً من كان وأخواتها، وإن خالاتها، وظن وجاراتها، ولكنها كانت تقع في نفسي مواقع الماء الزلال في الحلق الظامي!

وكان أستاذي أبو علي غاية في الجدة، ما مازحه أحد، وما مازحني قط، إلا يوم أتاني مهرولاً نحو داري، وهو يصيح: يا بن جني، يا جني، اخرج إلي..! فخرجت مسرعاً ملبياً فإذا بشيخي أبو علي. فقلت: أهلاً وسهلاً بشيخي المجل، لانت أحق أن تؤتى، وما إخال إلا أمراً ذا بال قد جاء بك في الحال، فمرني فأمرك على العينين والرأس!

فدلف إلى صحن داري، وهو يبتسم، فأغراني ابتسامه بالاسترسال فقلت: فلو أردت يا شيخي، أن أحفر لك الأرض بيدي هاتين العاريتين، واستخرج منها بئر نطف تقات منها أنت وأهل بيتك ونحاة البصرة والكوفة، وتنضم بها إلى منظمة الأوبيك لفعلت (٣)!

ولو أردت أن أنيش لك سور الصين العظيم حجراً حجراً وبرجاً برجاً، وأبني لك بجارته قصراً على قمة "إفرست" يضارع "تاج محل" لفعلت (٤)!

ولو أردت أن أضرب لك في الأرض حتى اجتاز بحر الظلمات، وأبلغ ما بلغ السندباد، وأخطب لك من بنات الروم ما ينسبك بنات نغش وبنات أفكارك لفعلت!

فقاطعتني ضاحكاً: على رسلك يا بن جني، ما جنتك باحثاً عن نطف، ولا طامعاً في قصر، ولا راغباً في ذات منصب وجمال! إنما جنتك في أمر أيسر على لسانك من قول الأعرابي: "تركتُ ناقتي ترعى الهُخَّع" (٥)!

قلت: عجبا، فما ذاك يا شيخي، وأنت صاحب "الحجة الدامغة"، والإيضاح الساحر (٦)!

قال: رؤيا رأيتها، فبينما أنا منهمك في التأليف والتصنيف إذ أخذتني سنة من النوم، فראيت فيما يرى النائم كأنما انشق



د. أحمد عطية السعدي
الأردن -



الجدار عن كُوءٍ من لُجِنٍ وتُضَار، فَمَاتَمَتِ النَّظَرُ،
فإذا أشباح تترامى فيها، تحكي بلساننا، وتعزف
بمعازفنا، فانتبهت من نومي، فإذا فريضة الفجر قد
صلّيت، وإذا الشمس قد طلعت، وإذا نفسي تتلمظ تود
لو كانت رؤياها حقيقة! فما تقول يا أبا الفتح يا بن
جني في تأويل رؤياي، وأنت أبصر الناس بعالم الجن،
أبوك جني، وأنت ابن جني، وأنت ابن يَجْدُهَا؟
قلت: أبشر يا أبا علي، وبشر نفسك المتلمظة، فروياك
حق قد جاءت كفلق الصبح، وهي الآن تدب على
الأرض، ولو انتظرت ساعة لجئت أبشرك بما بهر
الناس في هذا العهد الميمون عهد بني العباس،
فهل سمعت بما جرى للأبداء في دار

ابن الجهم(٧)؟
قال: (وهو يَحْمَلُ إِلَى) والله
ما سمعت شيئاً..!

قلت: سبحان الله يا أبا
علي، قد شغلك النحو
والتصريف عن استطلاع
الأحوال والاستكثار من
الأسوال، إنهم في دار ابن
الجهم يشاهدون ما رأيت في
النام، يشاهدون "التلفزيون"!
قال: ويحك ماذا تقول؟!

قلت: ما سمعت، يشاهدون

التلفزيون".. قلها يا أبا علي، قلها!

قال: والله لا أقولها! عجباً لك ولهم، قد التوت ألسنتكم
برطانة العجم، ففسدت قرائحكم كما فسدت
أبصاركم، يا حسرة على الميزان الصرفي والمشتقات،
يا حسرة على المرفوعات والنصوبات.

قلت: اطمئن يا أبا علي، ولا تتحسر فالعربية بخير،
إنهم يسمونه التلفاز!

قال: أما هذه فنعم، تلفاز على وزن فعلال من الرباعي
تَلَفَزَ، ومصدره تَلَفَزةٌ؛ واسم فاعله متلفز بكسر الفاء،
واسم مفعوله متلفز بفتح الفاء؛ ولكن ما التلفاز يا أبا
الفتح؟

قلت: إنه آلة كالصندوق، ينقل أخبار السوق، ويحكي
عن الخيل والنوق، والطبل والبوق
قال: بئريخ، صندوق له فم وأسنان، وشفتان ولسان،

ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إن هذا إلا سحر
مبين! فمن رآه من أصحابنا أهل اللغة الذين لا يجري
عليهم السحر؟

قلت: رآه صديق الحميم ابن فارس(٨)!

قال ابن جني: فما أتممت قولي حتى حمل عصاه،
وانطلق كميض الإزار خارجاً نصف ساقه يجتاز
الرِّقَاقَ فالرِّقَاق، وأنا أجري خلفه جري جِباة
الضرائب وراء الكاهنين ذوي التواب، حتى دخلنا
على ابن فارس فالفينا غارقاً في التأليف، وقد
تخضبت ملاهيه بالمداد، وبين يديه أوراق كتها يدون
فيها ما رأى من أعاجيب التلفاز!

فقال له أبو علي: لقد رزقت يا بن
فارس التصنيف، وأمنت من
التصنيف، فقل لنا في التلفاز
قولا بليغاً مرسلاً مفصلاً!

قال ابن فارس: التلفاز يا

أبا علي، من الفعل الماضي
الرباعي تلفز يُتلفَزُ تلفزةً،
ويقال له: التلفيزيون، وعند

الطنطاوي علي(٩): الرائي!
وفي ضبطه روايات متواترة،
وهو وأسلأك وصفائحه

ووصلاته ومشتقاته في صندوق

محكم! يبههر من يراه يا أبا علي،

فينكت في القلب نكتة فيام وغرام ربما لا تَمُعي

أبد الدهر! ولست أكتُم حباً قد برى جسدي!

قا أبو علي: حنانيك يا بن فارس، لا تهيج دفائن

الصبا، وحديثنا عن اختراع؟

قال: اخترعه رجل إفرنجي نكي يقال له جُون

بيرد(١٠) قد أعمل فكره، وشد ذهنه، حتى أتحننا

بهذا الجهاز الباهر بينا بنو يعرب يتلاسون أيهم

يرضي بني قريظة وبني يفرج، ويتراخسون إلى

أحضانهم تراخض الثيران في ملاعب الإسبان!

قال أبو علي: تباً لمن تدفعه الثعالب، ويغذو مغلوباً

غير غالب، ويعطي الجزية عن يد وهو صاغر، يا بني

يا بن جني، هيا خلق عبر الأثير، وقل لبني يعرب:

مخطئ من ظن يوماً أن للشعلب ديناً، ولكن يا بن

فارس قد اشتغل فكري فيما قلت، فلنعد إلى جهاز





الفرنج، أهو أية؟

قال: نعم، هو أعجوبة العصر، وآية كبرى تشهد على قدرة الله الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

قال أبو علي: شوقتي وأثرتني، فما لونه؟

قال: هو كالطاووس ألواناً وجمالاً، وله شاشة كاللجين فيها صور ملونة تضر الناظرين!

قال: كأنما كلامك ضرب من الف والنشر المشوش، فقد تشوش الأمر علي، فما الشاشة؟

قال: لوح زجاجي مستطيل الشكل تُعرض بوساطته الصور.

قال: وكيف حصل ابن الجهم على هذا الشيء الغريب، والصنوق العجيب؟

قال: لما قدم الشاعر ابن الجهم على الخليفة المتوكل أنشده أبياتاً جافية لا تليق كمثل قوله:

أنت كالكلب في حفاظك للود

وكالتيس في قراع الخطوب!

فعرف المتوكل قدرته وحسن مقصده وخشونة لفظه، فأمر له بدار على دجلة قرب الجسر فيها من ترف بغداد ومناظر الطبيعة ما يغذي الروح والفؤاد، وأهدى إليه هذا التلفاز، وجعل الأدباء يتعاهدون مجلسه، ويشاهدون ما لا عهد لهم به؛ ثم بعد نحو شهر استدعاه الخليفة فأنشأ يقول:

عيون المها بين الرصافة والجسر

جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري!

فقال المتوكل لمن حوله متعجباً من فعل التلفاز في طبع ابن الجهم: لقد رقت يا بن الجهم حتى خشيت عليك أن تتوب كالبوطة؟

قال أبو علي: وقد تغشاه العجب، وتداخله الطرب: فما أعجب ما رأيتم فيه؟

قال: مناظرة بين ثعلب والمبرد، غلب فيها المبرد وأبدع

(١١)!

قال أبو علي: إذن هو خير كله.

قال: لا يا أبا علي، إن فيه مشاهد منكرة، ومفاسد كثيرة، ومثالب متكررة!

قال: فهل إفساده من جهة اختراعه أم من جهة وضّاعه؟

قال: بل من جهة وضّاعه الذين خلطوا فيه عملاً صالحاً قليلاً وآخر سيئاً كثيراً!

قال ابن جنّي: فقلت يا بن فارس، إن ابن الرومي (١٢) مدح التلفاز لما مر به في سوق بغداد، فقال متعجباً:

إن أنس لا أنس تلفازاً مررت به

يلقي البرامج وشك اللبح بالبصر
ما بين رؤيتها في شاشة برقت

وبين رؤيتها مجلوة الصور
إلا بمقدار ما تتداح دائرة

في صفحة الماء يرمى فيه بالحجر!

قال: يا بني، هداك الله، إن ابن الرومي رجل محزون مفتون كثير التظير، فما عجب من شيء، وكان حسناً، ولولا قصيدته واسطة القدر ما احتقلت بشعره!

قال أبو علي: دعنا من توخى جمام الموت، وأخبرني عن الأدباء الأحياء الذين شاهدوا التلفاز، ما كان حالهم ومالهم؟

قال: أمّا والي بن الجباب (١٣) فكان يطيل المكث عند التلفاز فساء خلقه، وفسد طبعه، وعم فجوره، فاتخذ له في الخلاعة مذهباً، وعلى قمم الرذيلة منصباً!

وأما ابن خالويه فشغله التلفاز عن إتمام إعراب القرآن فأعرب ثلاثين سورة فقط! وأما الخوارزمي وهو ابن أخت الطبري فقد نسي عشرين ألف بيت كان قد دخل بها على صاحب بن عباد الذي أمر غلامه بالادخل عليه أحداً لا يحفظ عشرين ألف بيت! وأما الجوهرى صاحب الصحاح فقد اعترته وسوسة، فصعد إلى سطح الجامع في نيسابور، وزعم أنه يطير فآلق نفسه فمات!

وأما أبو نواس فقد رأيته في السوق ذات مرة فقلت له: هيا أبا نواس لتتفكر في إصلاح الناس (١٤).

فزعم شفتيه، ونظر إليّ شزراً: ويحك يا بن فارس، ما لي وما للناس، والله لمسلسل الأسر، ولقيل السهرة أحب إليّ مما تدعوني إليه، ولعمري ما نصحتني!

قال أبو علي: فما المسلسل وما الفيلم، يا بن فارس؟

قال: المسلسل يا أبا علي، حكاية تافهة تجعل في حلقات ليلية قد تبلغ ثلاثين وربما خمسين، وربما لا تنتهي حلقات المسلسل حتى يحبو الطفل الذي ولد في ابتداء الحلقة الأولى! أما الفيلم فقصّة خلاقية تعرض على الملا، تحكي عن الغرام، وتثير في المراهقين الضرام، وإن شئت فهو رواية مرعبة

تقسد الأحلام، وتعلم الإجرام.

قال أبو علي: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم... (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا)!!

قال ابن جني: فامتق وجه أبي علي وتمعر، واستاء مما عرف من شغف الناس بالتلفاز، وميلهم إلى الكسل والخمول، وحرصهم على الغناء والطبول... ثم ربت على كفتي وقال: يا ابن جني، ارجع فاكتب بياناً للناس لعلهم يتذكرون، وأرسله إلى الأمصار مع الحمام الزاجل، واجعل منه نسخة في أحد كتبك ليكون شاهداً على العصر!

قال ابن جني: فعلت بنصيحة أستاذي أبي علي الفارسي فكتبت البيان، وأفردت له باباً واسعاً في كتابي "الخصائص" وجعلت عنوانه: القول الممتاز في مثاب التلفاز!

الهوامش:

(١) ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني، عالم في النحو والتصريف، التحق ببلاط سيف الدولة، ولزم المتنبي، وهو تلميذ أبي علي الفارسي، وله كتاب الخصائص. ت. ٣٩٢هـ.

(٢) أبو علي الفارسي: الحسن بن علي، إمام في النحو واللغة، له "الحجة" في القراءات والإيضاح في النحو. ت. ٣٧٧هـ.

(٣) الأوبك: منظمة دولية تجمع الدول المنتجة للنفط.
(٤) قمة إفرست: أعلى قمة في العالم فوق جبال الهيمالايا يبلغ ارتفاعها نحو (٨٨٨٢) متراً. نسبت لأول من تمكن من رسمها وتحديد موقعها وهو جورج إفرست، وقد سعد عليها ثلاثة إنجليز: تنسينغ وهيلاري وهونت سنة ١٩٥٣م. تاج محل: ضريح عجيب الصنع، أُنشئ الهندسة، أقامه بمدينة "أكرا" الهندية الملك "شاه جهان" ليضم رفات زوجته "ممتاز محل" التي توفيت سنة ١٦٣١م ليخلد حبه لها على وجه الدهر.

(٥) الهعخع: العشب.

(٦) إشارة إلى كتابي أبي علي الفارسي "الحجة" والإيضاح.

(٧) ابن الجهم: أبو الحسن، شاعر رقيق من أهل

بغداد، مدح الخليفة العباسي المتوكل بالآبيات المذكورة، وكان معاصراً لأبي تمام. ت. ٢٤٩هـ.

(٨) ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس، إمام في اللغة، له معجم مقاييس اللغة، والمجلد والصاحبي في فقه اللغة. من تلاميذه بدیع الزمان والصاحب بن عباد. ت. ٣٩٥هـ.

(٩) علي الطنطاوي: أديب سوري مبدع وعلامة كبير، له كتب كثيرة منها رجال من التاريخ، وقصص من التاريخ، ونكريات علي الطنطاوي. ت. سنة ١٩٩٩م بجدة.

(١٠) جون بيرد: جون لوجي بيرد مهندس اسكتلندي، يعد أول من أنتج صورة تلفازية ناجحة سنة ١٩٢٥م. توفي سنة ١٩٤٦م.

(١١) ثعلب: أبو العباس أحمد بن يحيى إمام الكوفيين في النحو واللغة والحديث له المجالس والقصص ت. ٢٩١هـ. المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد، إمام المذهب البصري في النحو واللغة، له المقتضب في النحو، وكانت بينه وبين ثعلب مناظرات. ت. ٢٨٥هـ.

(١٢) ابن الرومي: هو أبو الحسن علي بن العباس، شاعر عباسي متشائم متطير مات مسموماً سنة ٢٨٢هـ. أصل كلمات الأبيات: إن أنس لا أنس خبازاً/ يدحو الرقاقة/ ما بين رؤيتها في كفه كرة.

(١٣) والبة بن الحباب شاعر غزل ماجن وصاف للشراپ، وهو أستاذ أبي نواس، هاجى بشاراً وأبا العتاهية وغلباه. ت. ١٧٠هـ.

(١٤) ابن خالويه: أبو عبدالله، الحسين بن أحمد بن خالويه، من كبار اللغويين والنحاة، لزم بلاط سيف الدولة ت. ٣٧٠هـ. .. الخوارزمي: أبو بكر محمد بن العباس من أئمة الكتاب وأحد الشعراء العلماء، كانت له صلة بالصاحب بن عباد، ت. ٢٨٢هـ. وهو ابن أخت الطبري (محمد بن جرير). .. الصاحب بن عباد: أبو القاسم إسماعيل بن عباد، وزير أنيب، كان من نوابر الدهر علماً وقضلاً وتبديراً وجودة رأي. ت. ٢٨٥هـ. .. سالجوهري: إسماعيل بن حماد إمام في اللغة، له معجم الصحاح ت. ٤٠٠هـ. .. أبو نواس: الحسن بن هاني، شاعر عباسي، له قصائد سماها "الضريبات". تزهد في آخر حياته، ت. ١٩٥هـ.

رحلة مع العلامة أبي بكر المعافري الأشبيلي

٤٦٨ - ٥٤٣ هـ / ١٠٧٦ - ١١٤٨ م

عبدالله بن حمد الحقييل - الرياض

إن تاريخنا العربي الإسلامي تزاخر بفيض زاهر وأثار علمية متنوعة، وتراث ثقافي جليل يحق لنا أن نفاخر به وأن نضاهي الأمم بوجوده، فقد وهب أسلافنا "رحمهم الله" أنفسهم للعلم ووقفوا عليه حياتهم و بذلوا في خدمة العلم والمعرفة جهداً عظيماً.

ولعل من المفيد أن نرحل في عقل هذا المؤلف وفي صفحات كتبه فهو من العلماء الأعلام الذين تعددت مواهبهم وتنوعت شخصيتهم.

أبو بكر بن العربي: محمد بن عبدالله بن محمد المعافري الأشبيلي، المفسر والمحدث والمؤرخ والحاظ واللغوي.. ولد في أشبيلية سنة ٤٦٨ هـ ملا ذكره



٩٠



الأفاق وأبدع في شتى العلوم والآداب مجسداً قيماً علمية متميزة، فهو صاحب فكر فذ وياح طويل في البحث والتأليف.. ضرب بسهم وافر في الإنتاج الفكري والتأليف العلمي.. أخذ يتدرج في مراتب العلم إلى أن وصل إلى أسمى الغايات، وقام في سبيل ذلك برحلات إلى عدد من البلدان، فلقد كان لرحلته الأثر البارز في تكوين شخصيته حيث أخذ ينتقل في الأمصار ويطوف بالبلدان من أجل اللقاء بالعلماء والفقهاء والمحدثين يتلقى عنهم ويفيد من علمهم.

ثم يم شطر بغداد وسمع بها من كبار علمائها وفقهائها، وكان ذا مقدرة فائقة في التحصيل والإدراك والاستيعاب. حج في موسم سنة تسع وثمانين وأربع مئة حيث التقى بعلمائها وأدبائها وسمع بمكة من أبي علي الحسين بن علي الطبري وغيره من مشاهير العلماء، فدرس عندهم الفقه والأصول والحديث واتسع في الرواية وأتقن مسائل الخلاف والأصول والأحكام وكان حريصاً على نشر العلم والمعرفة.. وواصل المسيرة العلمية فتقام في الإسكندرية فترة من الزمن وعاد إلى

بلده اشبيلية والتفت إلى التأليف والتصنيف وانقطع للعلم وعكف على البحث والمعرفة.. وكان يجمع إلى ذلك آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة وكرم النفس وثبات الود والصبر واستقر في موطنه يدرس العلوم وجلس للوعظ والتوجيه والإرشاد. ويكاد يجمع أكثر من ترجم له على الإشادة بعلمه وقدرته في التأليف ومن يتبع مسيرته العلمية يحس بدور هذا العالم وعلو مكانته ويتضح مدى ما كان يتمتع به من منزلة سامقة ومكانة عالية في ضروب العلوم وفنون الآداب.

وكتابه "أحكام القرآن" يعتبر من أهم مصنفاته التي دونت في التفسير الفقهي حيث يستعرض

أكثر سور القرآن الكريم وما فيها من آيات الأحكام ويعتبر مرجعاً للتفسير الفقهي في آيات الأحكام وله تصانيف كثيرة منها:

١- كتاب المسالك في شرح موطأ مالك.

٢- القيس على موطأ مالك.

٣- عارضة الأحوذى على كتاب الترمذي.

٤- القواسم والعواصم.

٥- المحصول في أصول الفقه.

٦- سراج المريدين وسراج المهتدين.

ابن العربي واحد من مشاهير علماء الذهب المالكي



٧- كتاب المتوسط.

٨- كتاب المشكلين.

٩- تأليف في حديث أم زرع.

١٠- الناسخ والمنسوخ.

١١- القانون في تفسير القرآن.

١٢- أنوار الفجر في تفسير القرآن، قال هو نفسه عنه إنه ألفه في عشرين سنة وثمانين ألف ورقة في نحو ثمانين ألف مجلد وقد تفرقت بأيدي الناس.

ولقد أضحى بهذه الخلفية العلمية الرائعة نسيج وحده فهو عالم ثبت وفقه متمكن ولغوي ضليع، وهذه المؤلفات رصيده جافل تدل على شخصية فذة

كان موسوعياً، متمكناً ثباتاً

سيبويه والكسائي وغير ذلك من الكتب والأبحاث النحوية، وفي عصره بلغت الدراسات اللغوية مستوى رفيعاً ونشطت حركة التأليف في هذا الميدان وصدرت له كتب لغوية مثل "ملجئة المتفقهين إلى معرفة غوامض التحوين واللغوين".

وتعرض لأمر لغوية ومسائل نحوية في كتابه: "أحكام القرآن"، وكذلك شرح غريب الرسالة حيث شرح فيها المفردات والألفاظ التي وردت في رسالة أبي زيد القيرواني كما ذكر له حاجي خليفة والمقري في نفع الطيب رسائل في مسائل النحو وقضايا اللغة، ولقد تلمذ عليه عدد من العلماء والأدباء واللغويين، حيث ورد في كتب الطبقات أن عدداً من علماء اللغة والأدب قد أخذ عنه مسائل النحو وعلوم

اللغة العربية. لقد كان علماً من أعلام الأندلس في حقول علمية متعددة أوردتها من كتبها عنه وترجموا له، وكانت له آراء وأفكار ذات دلالة ومضمون، وفي مستوى علماء اللغة في عصره، ولقد أسهب الرواة في هذا الجانب وفي الحديث عن عمقه اللغوي والأدبي، وقالوا أنه درس كتاب سيبويه في الأندلس قبل أن يذهب إلى المشرق، وفي بغداد اهتم بتأثر مدرسة الكوفة والبصرة، وما كان يحدث بينهما من خلال، واهتم بمؤلفات علماء اللغة في بغداد والبصرة كابن جني والشجري وابن فارس، وله آراء نحوية في مسائل كثيرة ونراه يرجح آراء سيبويه في بعض المسائل وينتقدها بعض الأحياء، ولا أريد أن أطيل في الحديث وإيراد آرائه وهي مبسطة في كتب الدراسات اللغوية في الأندلس.

حقاً لقد ارتفع بمستوى اللغة العربية وإحياء تراثها الفكري ومقوماتها التاريخية ففاض شعره بالفضل والوصف والشوق للأماكن والبقاع الأندلسية، فكان تصويراً دقيقاً بليغاً، ووصفاً صادقاً، وامتاز شعره بجزالة اللفظ ومتانة الأسلوب وبراءة

وجهه بآرزة نهل من فكرها وعطائها الكثيرون وانتفعوا بها، وأن أعماله ومؤلفاته ستظل مثلاً فياضاً مفيداً، والآن نسأل أين ذهبت تلك الكتب والمؤلفات وفي أي موضع طوح بها الزمان، ولقد ضربت الأيام على كثير من تلك النفائس وهدمت الصروح العلمية ومهما أحرزنا فقد الكثير من آثاره، فإن مما يجلب إلينا العزاء أن هناك قدراً باقياً من تلك المصنفات والأمل كبير - إن شاء الله - في تناول العلماء والباحثين شخصية ومعالم حياته ومواقفه الإصلاحية والعلمية وإلقاء الضوء على جوانبه اللغوية والأدبية والعلمية وإثرائها لتبقى مشعلاً وهاجاً للباحثين والدارسين وتبقى في المكتبة العربية من الذخائر العلمية الحضارية مشاعل معرفة في أوطان شتى من الأرض لما تستحق من عناية واهتمام ويتعطش لها الوسط العلمي.

لقد اعتبره مؤرخو الأندلس أحد أركان ثقافتها وعلمائها وحفاظها، وكان أدبياً بارعاً فاضلاً مطلعاً على أقسام الكلام من النظم والنثر ورواياً لوثائقها، بارعاً في العربية وضروبها.

وهذا يدل على اتساع ثقافته التي اكتسبها من بيئته الثقافية في الأندلس، ومن تطوافه بحواضر العالم الإسلامي فهو يحتل مكانة متميزة في تراثنا العربي الإسلامي.

وكان حقياً باللغة العربية وحريصاً عليها، وكانت لديه الملكات والاستعدادات اللغوية مما جعله عالماً بها، بل ونحويّاً من أساتذة النحو، وقد وضعه المؤرخون للحركة الأدبية في الأندلس في منظومة اللغويين، وأخذ على كاهله تدريس اللغة العربية لأدباء الأندلس، وكانت مجالسه الأدبية تحفل بالأشعار والأخبار الأدبية وعلوم النحو والصرف والبلاغة، واستعرض في دروسه أساتذة النحو وأئمة البيان من أمثال: سيبويه والخليل بن أحمد ويونس بن حبيب، ومدرسة الكوفة والبصرة والكسائي والأخفش والفراء والأصمعي، وكتب



رحل إلى العلماء مشرقاً ومغرباً أخذ عنهم وجالسهم

الرؤية الفكرية الحافلة بروائع القصائد والأشعار والحكم البالغة، وكانت مجالسه ممتعة بالعلم والأدب وصديق الحس والأصالة وحسن التدقيق لهما مما يدل على مقدرة أدبية وإطلاع واسع، والواقع أن البحث عن ابن العربي في كل جوانب حياته العلمية والأدبية يتطلب الإطالة بدرجة كبيرة، وحسبنا أن نعتد في ذلك على التلميح دون التصريح، والخلاصة أنه أدى رسالته في الحياة على أكمل وجه، ورحل مخلفاً لإنتاجاً علمياً ثراً مما جعله من مفاخر الثقافة الإسلامية، ومن أشهر علمائها، وتوفي في مراكش سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وحمل إلى مدينة "قابس" ودفن فيها، رحمه الله وأكرم مثواه.

التصوير، وحفل بالمعطيات اللغوية السامية، وابتعد عن الضعف والركاكة، وأعرض عن الأغراض الشعرية التافهة، ووظف اللغة والأدب في أمور علمية كثيرة، وترك أثراً واضحاً وثرية أدبية ولغوية تشكل امتداداً فكرياً ذا خصائص وسمات أدبية متميزة لا تغيب على من احك بترائه ووقف على عطائه الفكري والمتمثل في أسلوبه العميق خلال مناظراته للعلماء ولأستاذه الفزالي حيث يتجلى الأسلوب البلاغي الرصين والبراعة اللغوية والمهارة الأدبية والإبداع الفكري، وله رسائل لغوية وأدبية منها: الرد على ابن السيد البطلوسي، حيث نقد شرحه لديوان المعري "لزوم ما لا يلزم"، وهذه الرسالة كغيرها من رسائله الأدبية واللغوية المفقودة، وقد أشار لها صاحب الفهرست، وكما ورد ذكر رسالته شرح غريب الرسالة التي شرح فيها المفردات التي جاءت في رسالة أبي زيد القيرواني، وقد نسبها إليه صاحب كتاب "فتح الطيب للمقري" كما أن ديوانه الشعري تتجسد فيه

عزف منفرد

د. إخلاص فخري عمارة - مصر

كنا زميلين في الجامعة، وبعد سنوات من التخرج تقابلنا
صدفة فسألني.. كنت شاعرة، هل مازلت تكتبين؟
وصغت سؤاله واجابتي عليه في الأبيات التالية:

٩٤



قد كنت شاعرة فهل أبقيت في القيثار احنا
 أسمعنا عذب الغناء وأرفع الأشعار معنى
 وسموت بالكلمات فاتخذت من النجمات سكنى
 ما كان شعرك صنعة.. ما كان قافية ووزنا
 بل صيغ من ذوب الشعور، وخفقة القلب المعنى
 ورؤى خيال مشرق ترقى النفوس به وتغنى

ضمخت حرفك بالعبير.. نشرته ضوءاً وسحراً
 فإذا تغنيت الجمال على السطور.. نشرت درا
 وعزفت ألحان الهيام.. فكلنا بالحب يفرى
 تتحدثين عن الهناء.. فتعلمين الكون بشراً
 وتصورين لنا الشقاء فتفهمين القلب مرا
 ياروعة الصدق الصدوق.. إذا غدا فناً وشعرا

واليوم مالك تصمتين وتمسكين عن الغناء
 هل جف نبع الشعر؟ هل كفت يداه عن العطاء
 أم شاخ في القلب الحنين، خلا الشعور من الصفاء
 هل كان شعرك جمرة.. صارت لبرد وانطفاء؟
 أو كان تسليية ولهواً.. مثل تطريز الرداء؟
 أبدلته فناً جديداً.. حسب توجيه الزكاء؟

لا يا صديقي.. ما صمت ولا كففت عن الغناء
 مازال نبع الشعر فياضاً ويترع بالسخاء
 لكن لحنى قد كساه الحزن.. غُلف بالبكاء
 لما رأيت جميع أحلامي غدت.. بعض الهباء
 فسرى الأسى في أحرفي، وملا شجري بالشقاء
 أمتاح من قلب حزين كيف.. أشدو للهناء؟

كيف الغناء؟ عرويتي صارت أساطيراً قديمة
 ومفاخري صارت مخازي.. وانتصاراتي هزيمة
 والشعب من شط المحيط إلى الخليج، غدا وليمة
 "فالأمريكان" بغريه، قالوا جَنَّتْ "ليبيا" جريمه
 وهمو بشط خليجنا صابوا لآلئه الكريمة
 ويشرقه.. وجد الصهاينة اللثام لهم غنيمه

كيف الغناء؟.. وقدسنا داسته أقدام العفن
 هذي فتساة في الخليل تمزقت بيد المحن
 لعبت بها ريع الشتاء.. ونار أعداء الوطن
 والأب مسلوب الحياة.. على الطريق بلا كفن
 طلبت صغيرته الطعام.. وعمره بعض الثمن
 فأوامر السجان كانت.. لا خروج من السجن

أنات سكان الخيام تمد شعيري بالنغم
 ودموع أرملة وأيتام.. ممداد للقلم
 وجراح طعن الصدر ليلاً في الظلام من ابن عم
 لبنان صار خرابية وحرائقاً مُزجتُ بدم
 وعراقنا.. جوع وإذلال وصرخات الألم

لا أستطيع تنكراً للصدق، أو تزييف شعيري
 لا أستطيع تكلفاً للفرح.. لا يحيا بصدري
 لا أستطيع العزف إن لم تحتوِ الألحان فكري
 طال العناء وطال حزني، والآسى قد فل صبري
 إن لم أذق طعم الهناء، فكيف أمنحه لفيري
 وإذا عذرت بمرة، فألى متى ترضون عنري؟

وحدي عزفت ولي شذوت وكنتُ ناظمة النشيد
 وأنا الذي يصغى ويعجب سائلاً هل من مزيد؟
 ولربما شَعَرَ الملل.. فكف عن عزف جديد
 أهملت في الأدراج أوراقتي.. وملت إلى الجمود
 وزعمت: كانت نزوة، ذهبت مع الماضي البعيد
 أنا قد برئت من الغناء.. من الكتابة والقصيد



أ.د. محمد رجب يoussef

كان فتاح الشهيد سيد قطب رحمه الله إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية أديباً خالصاً فهو يعالج شئون الشعر والنقد الأدبي بجسارة فائقة، وكان الأستاذ عباس محمود العقاد مثله الأعلى في اتجاهه الأدبي إذ ألم بأثاره المتنوعة إلام الدارس المتعمق، وقام بكتابة عدة مقالات عن نتاجه الفكري رفعه فيها إلى ما يستحقه من توقير وأكبار، لأن الكاتب العملاق كان ذا اتجاهات فريدة في ميدانه الفكري الرحيب، وقد أدى إخلاصه الرجم لمذهب العقاد إلى أن يقف مع خصومه وقفات ضارية.

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - مصر



سيد قطب بدأ أديباً وانتهى باحثاً في الدراسات الإسلامية

وتصممه بالسطحية والتسرع والشطط ولم يشأ الأستاذ سيد قطب أن يرد، لأنه - كما قال - لم يجد راحة الإخلاص للحقيقة فيما كتب الأستاذ شاكر، ولكني وكنت حديث التخرج من الكلية رأيت أن أدلي بدلو في الدلاء، لأن للحق أنصاره المخلصين، فكتبت مقالاً هادئاً بمجلة الرسالة العدد (٩٧٢) ١٩٥٢/٢/٢٥م قلت في مطلعهُ للأستاذ محمود محمد شاكر منزلة كبيرة لدي فانا أعهده كاتباً قوي الأسلوب، رصين العبارة، وأعرفه أديباً مخلصاً يتدفق غيرة على الإسلام، وتعصباً لأفكاده الأبطال، لذلك أقبل على قرائة ما يبذبه يراعة المؤمنين في شوق واهتمام، وقد طالعت بنا كتيبه بمجلة (المسلمون) تحت عنوان (لا تسبوا أصحابي) فوجدت المجال

فشن حملات قاسية على الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي وقسا في تناول أدبه الرافعي قسوة مفرطة، ما كان له أن ينتجها، ومعركته بالرسالة عقب رحيل الرافعي إلى جوار ربه من أعنف المعارك، إذ أنه لم يتناول سيرة الرافعي وأدبه بالتي هي أحسن، بل كاد أن يكون متجنياً، فدفع ذلك فريقاً من أنصار الرافعي إلى مهاجمته بمثل ما صنع، وقد وجه النقد إلى مجلة الرسالة من طائفة كبيرة من القراء، حيث سمحت للأستاذ سيد قطب بهذا التجني، وقد رد الأستاذ الزيات صاحب المجلة بأن صحيفته سجل أمين للاتجاهات الأدبية المختلفة في العالم العربي، وأنه -الزيات- رافعي الهوى، وقد كان الرافعي شريكه في نهضة مجلته، وزيوعها هذا الذبوع الحميد، ولكن النقد لا يهدم بناءه الأدبي بل يعبر عن اتجاهات متقابلة يتم بها التلاحق الفكري المفيد.

نقطة هجائية

ومن منطلق الأدب وحده، اتجه الأستاذ سيد قطب إلى دراسة التصوير الفني للقرآن، ثم ألف عن مشاهد القيامة في القرآن، فأنكشت له معاني الذكر الخالد عن رسالة إنسانية رفيعة هي سبيل النهوض في الحياة شرقاً وغرباً، وشيئاً فشيئاً ودع الأستاذ سيد قطب دنيا النقد الأدبي، واتجه إلى الفكر الإسلامي شارحاً وموجهاً، وأعداء الإسلام أكثر من أن يحصوا، فتناولوه بالنقد، وله قلمه الباتر، وسلاحه الذي لا يفل، فواجه الطوفان بإعصار يفوقه قوة وعصفاً وأصبح من معالم الفكر الإسلامي الرفيع.

وحين كتب مؤلفه الرائع عن العدالة الاجتماعية في الإسلام، تعرض إلى من شوهوا تعاليم الإسلام من الخلفاء الأمويين، وكتب ما سجله التاريخ الصادق عن انتقال الخلافة إلى الملك ثم عن اصطفاة الأقارب والأصهار، واصطناع المخالفين بالرئى والمناصب والأموال كي يكونوا أعواناً لغير المنحى الإسلامي في المساواة والحرية والإخاء، وما كتبه الأستاذ قطب في هذا الضمار واقع ملموس، ولكن ارتفاع نبرته الناقدة، قد دفع كثيراً من الناقدين إلى مهاجمته، وأبرز من تصدى لكتاب العدالة الاجتماعية في الإسلام هو الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ محمود محمد شاكر، وهذا من أعجب المفارقات! إذ نشر الأستاذ شاكر عدة مقالات ترمي الأستاذ سيد قطب بالهوى والغرض،



كان جدلاً، قويَّ الحجة، ناصح البيان

من صفاء النية ولا رغبة في تجلية الحقيقة، إلى آخر ما نكر الشهيد في خطاب طويل، وقد سرّني ما كتب الأستاذ قطب، لأنه أكد الحقائق التي أداغ عنها، ولم أكن أعرف عنوانه لأكاتبه، فأنثرت السكوت.

(مع ناقد آخر)

وبعد فترة محدودة تعرض كتاب العدالة الاجتماعية في الإسلام لنقد ظالم، كتبه الدكتور عز الدين إسماعيل، وهو الآن ناقد لامع ذو آراء صائبة، وقد قرأت ما كتب عن هذا المؤلف الممتاز، فشاهدت شططاً ملموساً، لأن الناقد الفاضل جاوز الكتاب إلى الكاتب، فقال عنه "ويجدر بي قبل أن أطوف في أرجاء الكتاب بالقارئ أن أنبهه إلى خدعة كبارّه، وهالة باطلة نسجها الاحمال في وقت من الأوقات حول شخصية المؤلف فأخذ مكانه بين الرعيل الثاني من المفكرين في مصر الحديثة، فإن أظهر ما تتسم به مؤلفات الأستاذ سيد قطب هو الضحالة الصحافية، وصياغة أفكار الآخرين من جديد".

هذا ما قاله الأستاذ عز الدين إسماعيل، وهو مردود غير مقبول، لأن كتاب العدالة—أولاً—لم يظهر في وقت محل جدب، بل ظهر ليزاحم مؤلفات إسلامية رائعة كتبها أمثال الرافعي وفريد وجدي وعباس محمود العقاد ومحمد الغزالي وعبدالمليم الجندي ومن لا أستطيع حصر أسمائهم من ذوي الاتجاه الإسلامي البصير. فكيف يظهر كتاب العدالة في وقت جدب مع وجود عشرات من أمثال هؤلاء وتلامذتهم، فإذا كان الدكتور عز الدين لا يقصد ظهور الكتاب نفسه بل يقصد ظهور سيد قطب من قبل في مضمار الأدب، فتلك هي المغالطة السافرة لأن السيد قطب قد ظهر في أوائل الثلاثينيات وكتب في أشهر المجالات الأدبية كتابة نافذة هادفة جوار ما كان يكتبه زعماء النقد والأدب كالمازني والعقاد وهيك وشكري وطه حسين وأحمد أمين، أفكيكون هذا الوقت جديداً محملاً، وأي وقت جاء بعده ليعلوه، إننا الآن نعيش في فراغ تام، وقد كان سيد قطب في الرعيل الثاني وهو شاب! أما بعد اكتهاله فهو الرعيل الأول وهذا ما عز علي الناقد أن يراه رأي العين.

لقد شغل النقد ثلاث صفحات من مجلة الرسالة، وطلاله الأستاذ سيد قطب دون أن أراسله عنه، لأن

واسعاً للخلاف بيني وبينه ولم أشأ أن أطوي ما دار بخليد عن القراء، فرأيت أن أناقش الكاتب الكبير فيما سطره راجياً أن يحق الله الحق بكلمته، فهو وحده هدف الكرام الكاتبين وفي طليعتهم الأستاذ الجليل.

ثم عرضت ما تهجم به الأستاذ شاكراً عرضاً محايداً، وختمت حديثي بتحيته وتقديره، وكان المنتظر أن يترفق الأستاذ شاكراً بمن يكرّ أدبه، ويعدّه مخلصاً يتدفق غيرة على الإسلام، ولكن الرجل لطبيعة خاصة به، قد اندفع في هجوم نارٍ ثائر لا مبرر له فكتب تحت عنوان "نو العقل يشقى" مقالاً رمانياً فيه بالجهل ودعائى إلى أن أطرح عب القلم لأنه ثقيل على أمثالي، وذهب في هذا الاتجاه مذهب من يتجاهل حقوق المناقشة وأدب النقد، وعاد الهجوم على الأستاذ سيد قطب بمثل ما بدأ، ولم أشأ أن أسكت فكتبت مقالاً متواضعاً تحت عنوان (أجل، نو العقل يشقى) وصارحت الرجل بأنه غير موضوعي، وأنه لم يمس حقيقة من الحقائق التاريخية التي أشرت إليها بأدنى نقد، وأنه اندفع في سباب أضن على نفسه بمماراته فيه حفظاً لمكانتي، وربدت بعض الحقائق التاريخية للموسوعة التي فر الأستاذ من مناقشتها، ثم فوجئت بالأستاذ شاكراً يكتب مقالاً ذا وجهين تحت عنوان (اعتذر إليك) يعلن فيه انسحابه، ورجوعه عن النقاش معي!

(دور الأستاذ سيد قطب)

وحين انتهت المعركة على هذا الوجه السريع، رأى الأستاذ سيد قطب أن ينشر على صفحات الرسالة خطاباً تحت عنوان إلى أخي الأستاذ رجب البيومي، قال فيه (العدد / ١٩٧٧ / ٢٤ / ٢٠٢٠م):

"السلام عليكم ورحمة الله وبعد، فإنني لم أشأ أن أدخل بينك وبين الأستاذ شاكراً فيما شجر بينكما من خلاف، حتى ينتهي إلى غايته كما انتهى، ذلك أنني كنت حريصاً على أن أمدك ورأيك ولا أبداً تصارفي بك في زحمة الجدل، وإن ظن أخونا شاكراً أن بيننا صحبة وثيقة هي التي تدفع إلى رد تهجمه أو تقحمة، حتى لقد أنذرنا معاً عداوة يوم القيامة (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو) لأن ماؤلف الناس قد جرى في هذا الزمن الصغير، على أن الحق وحده، أو الرأي وحده، لا يكفي لأن يدفع كاتباً فيكتب، دون هوى من صداقة أو علاقة، ولو كانت بيننا معرفة سابقة ولو استثمرتني قبل أن تدخل مع صاحبنا في جدل حول ما أثاره من صخب، وما نقضه من غبار، لأشرت عليك ألا تتدخل، ولأثرت لك ما أثرت لنفسي من إغضاء وإغفال، لأنني لم أستشعر في هذا الصخب أثراً

الأستاذ عباس خنجر قابلني بعد شهر من نشره، فأخبرني أن الأستاذ سيد قطب تحدث معه عما كتبت، وهو يحب أن يراني.

(في مدينة أبي تيج)

عملت مدرساً بمدرسة أبي تيج الثانوية بالصعيد أمداً غير يسير، وقد فوجئت بمن قال لي ذات صباح إن الأستاذ سيد قطب سيحضر مع جماعة من زعماء الإخوان إلى المدينة هذا المساء، وسيقام سراقق لاستماع ما يقوله الوفد الزائر، وعليّ أن أهيّ كلمة الاستقبال، وكان القائل صديقاً أثيراً لا أستطيع مخالفته هو الحاج هاشم محمد خليل رحمه الله، فأتيت به أرا، فانتبه الأستاذ قطب لوجودي، ووقف محيياً، وقال لي: إنه لا ينأى أكثر الليل، وعليّ أن أتأمل على نفسي هذه الليلة لأسمر معه؛ وهي رغبة صادفت فرحاً وابتهاجاً في نفسي، فانتظرت سعيداً حتى انقضى الحفل، وذهبت إلى منزل الحاج هاشم، ونام الزائرون، وتيقظ الشهيد رحمه الله، ليتمد معي حديثه العذب إلى أمد طويل.

(من نثار الحديث)

قلت للشهيد، إن عهدي بك أيام انهماك في مسائل الأدب والنقد ألا تهمل رداً يوجه إليك، ولكن منذ شرعت في بحوثك الإسلامية الرائعة لا تهتم بمن عارضوك، بل تصدر الكتاب إثر الكتاب دون اعتبار لما ووجهت به من منخذ! فضحك السيد قطب، وقال: هذا ما قاله غيرك، مما يدل على الإحساس المشترك بين القارئ، وأحب أن أقول إن أعداء التيار الإسلامي الذين يواجهون المكتبة الإسلامية ليسوا طلاب حقيقة، فيرجعون إلى المصواب دون تردد متى لاحت لهم دلائله، ولكنهم فيما عرفت من تيارهم الملح ينفذون خطا مرسومة لا محيد عنها، والاشتغال بهؤلاء تعويق في مسيرة الفكرة الإنسانية، وقد علمتني التجربة أن هؤلاء لا يقتنعون بغير ما حفظوه من ساداتهم، ولهم قدرة عجيبة في تكرار يقولون صباح مساء دون ما سام، وقد اعتقدوا أن تكرار القول دليل صحته، لذلك تجد لهم عبارات لا يرجعون عنها، وهم يحاولون تثبيتها حتى تصبح من قبيل المسملمات، فمناقشة

إحقاقاً للحق واثهاراً له رددت عنه، ما
سكت هو عن الرد عليـه

كتابه الإسلامية جاءت فتحاً في مضمونها وأسلوبها..

هؤلاء عبث ضائع، أما الأدب فلا خطر من الاختلاف في قضائيه لأنها لا تثبت على وجه واحد، فقد ترسخ قاعدة أدبية مدى جيل أو جيلين، ثم يدركها التصحيح، لأمر تحدث ولا خير في هذا لذلك كنت أخوض المعارك الأدبية دون حذر، لأنها في النهاية مجرد آراء تجي وتذهب.

قلت وما دمتا نتحدث عن المعارك الأدبية، فباني عرفتك تلميذاً نابهاً في مدرسة العقاد إن لم تكن تلميذه الأول، وقد اتجه إلى الإسلاميات من قبله، فهل كان اتجاهك الإسلامي من وحيه!

فنظر الأستاذ كمن يدهش لاستماع ما لا يتوقع! وقال: كل الناس يعلمون تأثري بالعقاد أدبياً، أما الفكرة الإسلامية ذات جذور عميقة تمتد في نفسي منذ حفظت القرآن في مكتب قرينتي المتواضعة بالصعيد، وبمناسبة الحديث عن العقاد، فتأنا قد انصرفت تماماً عن تحليل مؤلفاته، لتجربة مبررة مرّت بي وتجربتها في ألم.

قلت: أيسمّن أن استمع إلى تصريح أوفى؟ فقال الأستاذ، ظلت أكثر من خمسة عشر عاماً أحل كتب النبهاء من كتاب العصر، فلم أترك كاتباً أو شاعراً في الصفوف الأولى دون أن أحل بعض آثاره، أما العقاد فقد تتبعته كل ما كتب ودافعت عن مذهبه الفني بما هو معروف مشتهر، ثم جاء دوري في نشر مؤلفاتي الأدبية، وكنت أنتظر من هؤلاء الذين سهرت في تحليل كتبهم أن يقولوا شيئاً فيما أنشر، نقداً أو تقييماً لأجد صدى لما أقول، ولكنهم باستثناء واحد فقط قد أصموا أذانهم، أما العقاد الذي خصصته بكل اهتمامي، فلم يكتب حرفاً واحداً عن مؤلفاتي! وقد رجعت عن بعض ما سطرته من شعره لظهور أقيسة جديدة بدت صحتها لدي، فجاءت بما أعتقد، ولم أرمه ما يدل على موافقة أو مخالفة؟ أيكون الصمت جزائي!

وانتقل الحديث إلى منهج الأستاذ في تفسير الظلال فتأناض دفعه إلى ارتياذ هذا الأفق الوضي، وهو في مجموعه لا يخرج عما دونه الشهيد في مقدمة الظلال، وكانت ليلة رائعة ممتازة، لم أسعد بغيرها مع الكاتب الشجاع حتى انتقل إلى رحمة الله شهيد الحق والإسلام.



فصيدة: بطيئة رسم الرسول ومعهده...

الشاعر: حسان بن ثابت

محمد عبدالواحد حجازي - مصر

جاء القرآن الكريم بالحق؛ قال تعالى: «ويا الحق أنزلناه
ويا الحق نزل»..
والحق نذير؛ قال تعالى: «تبارك الذي أنزل الفرقان على
عبده ليكون للعالمين نذيراً»..
والحق نور؛ قال تعالى: «قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين»..

حسان بن ثابت

هو شاعر الأنصار

في الجاهلية

وشاعر النبي

صلى الله عليه

وسلم في النبوة



هكذا القرآن الكريم الذي أوحى به الله سبحانه إلى رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.. وكان أمراً طبيعياً أن تقوم قائمة الشوك ليدافع عن وجوده وكيانه.. وخاض النبي صلى الله عليه وسلم ومعه الذين هداهم الله إلى الإسلام ليدافعوا عن إيمانهم.. ليدافعوا عن إسلامهم.. أجل، ليدافعوا عن كلمة التوحيد. وكان من الأسلحة التي وجهها الكافرون والمشركون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.. سلاح الكلمة.. والكلمة هنا هي الشعر. فكان عليه صلى الله عليه وسلم أن يرد على افتراءاتهم وبهتانهم.. فكان حسان بن ثابت من الشعراء الذين دافعوا عن الإسلام وردوا كيد الكافرين إلى نحورهم..

فمن هو حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم؟

جد حسان رضي الله عنه هو المنذر بن حرام من بني تميم الله بن ثعلبة من الخزرج، وأمه القريرة بنت خالد بن قيس بن لؤذان.. وكان حسان في شبابه وقبل الإسلام يتجول في البلاد ويمدح ملوك لخم وغسان بالحيرة ودمشق طلباً للغنى والثراء.. ولقد كان حسان بن ثابت هو شاعر الانصار في الجاهلية وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام.

وتذكر كتب السيرة أن كان هناك ثلاثة من قريش يهجون النبي هم: عبدالله بن الزبير، وأبو سفيان بن الحرث بن عبدالمطلب، وعمر بن العاص..

فقال قاتل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أهُجُّ لنا القوم الذين هَجَوْنَا، فقال علي: إن أَتَيْنَ لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت.. فقال رجل: يا رسول الله أَتَأْتِنَ لعلي أن يهجو عنا القوم الذين قد هَجَوْنَا. فقال: ليس هناك.. ثم قال للأنصار: ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلاحهم أن ينصروه بالسننهم؟ فقال حسان بن ثابت: أنا لها. وأخذ بطرف لسانه وقال:

والله ما يَسُرُّني به مَقُولُ بِن بَصْرَى وصنعاء..
فَقَالَ: كيف تهجؤهم وأنا منهم؟ فقال: إني أسلك منهم كما تسلك الشجرة من العجين. فكان يهجو قريش ثلاثة من الأنصار: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة.. وكان حسان وكعب يعارضانهم بالوقائع والأيام والمناثر ويعيرانهم بالمثالب.. وكان عبدالله بن رواحة يعيرهم بالكفر.. فكان في ذلك أشد القول عليهم قول حسان، وكعب، وأهون قول عليهم قول ابن رواحة.

وكان حسان بن ثابت من كبار الشعراء بغير شك ونسوق هنا أمثلة متنوعة من شعره فقد طرق الكثير من أغراضه وأجاد فيها. وكان في شعره لمحات من شعر الغزل وكانت في سذاجتها تحمل الطبيعة الجاهلية في فطرتها ورموزها التي تعبر عن حبها وعشقها، فما هو ذا يخاطب نفسه فيقول:

أهاجك بالبيداء رسم المنازل

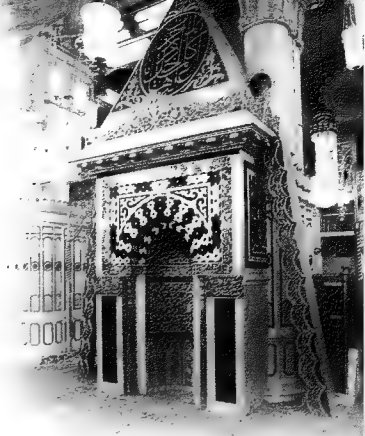
نعم، قد عفاها كل أسحم هائل
وجرت عليها الرؤاسيات نبؤها

فلم يبق منها غير أشعث مائل
بيار التي راق الفؤاد دلالها

وعز علينا أن تجود بنائل
لها عين كحلاء الدامع مطلق

تراعي تعاماً يرتعى بالخمائل

وإذا كان قلب حسان بن ثابت عامراً بالحب: حب المال وحب الجمال وحب الفضيلة فقد كان حبه



وهنا نصل إلى الغاية التي مهدنا لها بذلك
التمهيد.. نصل إلى القصيدة: "بطيبة رسم الرسول
ومعهد.. فمع القصيدة أولاً:

بطيبة رسم للرسول ومعهد
منير وقد تغفو الرسوم وتهمد
ولا تتمحي الآيات من دار حرمة
بها منير الهادي الذي كان يصعدُ
وواضح آيات وبآتي معالم

وربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجراتُ كان يَزلُ وسَطُهَا
من الله نور يُستضاءُ ويوقد

معالم لم تُطمس على العهد أيها
أتاها البلى قَالَايُ منها جَدُّدُ
عرفتُ بها رسم الرسول وعهدُه
وقبراً به واره في التُربِ مُلحدُ
ظَلَلَتْ بها أبكى الرسولُ فأسعدتُ

عيون ومثلاها من الجفن تسعد
تفكرُ آله الرسول وما أرى
لها مُحصيا نفسي فننسى تَبَلَدُ
مفجعة قد شغها فقدُ أحمد

فظلت لآله الرسول تُعبد
وما بلغت من كل أمرٍ عَشِيرَه
ولكن نفسي بعض ما فيه تحمدُ
أطالت وقوفاً تُدْرِفُ العينُ جهدها

على طلل القبر الذي فيه أحمد
فبوركتَ يا قبر الرسول وبوركُ
بلاد ثوى فيها الرشيد المحسُدُ
وبورك لحدُك منك ضَمْنُ طيبا

عليه بناء من صفيح منضدُ
تهيل عليه التُرب أيد وأعينُ
عليه وقد غارت بذلك أسعدُ
لقد غَيَّبُوا حِلْمًا وعِلْمًا ورحمةً

عَشِيَّةُ عُلُوِّ التُّرى لا يُوسدُ
وراحوا بحزنٍ ليس فيهم نبِيهم
وقد وهَّتْ منهم ظهور وأعضد

الأكبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ملك
حبه عليه حسه وشعوره واطمئنانه فكان أخشى ما
يخشاه أن يوجه إليه رسول الله كلمة لوم أو أن
يؤاخذه من أجل شيء. وذلك ما أحس به في يوم
من الأيام فأرقه السهد وعذبه الهم فقال:

منع الرقاد بلابلُ وهمومُ
والليل ممتلجُ الرِواقِ بهيمُ

مما أتانني أن أحمد لأمني
فيه فبت كأتني محموم

يا خير من حملت على أوصالها
عَيْرانة سُرْحَ الدين غشوم

إني لمعتذر إليك من التي
أسليتُ إذ أنا في الضلال أهيم

فاليومُ أمن بالنبى محمد
قلبي ومُخطئُ هذه محرومُ

ولقد بلغ حسان بن ثابت الغاية في مدح جمال
النبى صلى الله عليه وسلم حتى صار ذلك المدح
قيما أخلاقية بل قيما مثالية في جماله عليه
السلام، فقد قال:

وأحسن منك لم ترَ قطُ عيني
وأجمل منك لم تلد النساءُ

خُلقتُ مُبِبراً من كل عيب
كانك قد خُلقتَ كما تشاءُ

يكون من تبكي السموات يومه
ومن قد بكته الأرض فالتناس أكد

تقول المقطوعة الأولى من القصيدة
بطبيعة رسم للرسول ومعهد

منير وقد تغفو الرسوم وتهمد
ولا تتمحي الآيات من دار حرمة
بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضح آيات وياقي معالم

وربع له فيه مصلّى ومسجد
أنشأ حسان بن ثابت رضي الله عنه هذه القصيدة
في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم. ومن ثم فإنه
لأمر يديه أن يكون الشاعر قد شاهد الرسول
صلى الله عليه وسلم وسعد بصحبته والحديث معه
كما سعد بطقفه عليه وبره به.. وإنه لأمر يديه
أيضاً أن يكون الشاعر قد شاهد ما يؤمه الرسول
من معاهد المدينة المنورة ومعالمها وأحائها التي
سعدت بخطاه فكان قصيدتنا هذه تصوير واقعي
محسوس وملوس لمعالم النبوة الشريفة فالشاعر
ليس يرثى على التصوير والتخيل فكأنه يقرينا نحن
إلى معالم النبوة الشريفة فكأننا نشهدها بأعيننا
ونلمسها بأيدينا ونعيها بأفئدتنا. ففي البيت الأول
يقول الشاعر:

بطبيعة رسم للرسول ومعهد
منير وقد تغفو الرسوم وتهمد

وطيبة هنا هي المدينة المنورة، وقد سماها رسول
الله باسم طيبة بدل يثرب لأن الثَّرب فساد. وإن
في تسمية الشاعر المدينة المنورة باسم طيبة
ليجسد الخير والرضوان والرحمة التي نعمت بها
المدينة فالاختيار هنا موفق غاية التوفيق كما أنه
يحمل دلائل حب الشاعر للرسول صلى الله عليه
وسلم.. فماذا شاهد الشاعر في طيبة أو المدينة
المنورة؟

لقد شاهد ربيماً للرسول ومعهداً منيراً.. إذن فلم
تتبدد الرسوم ولم يتفرس البيت الذي كان منيراً
برسول الله صلى الله عليه وسلم وتلك تفحة نبوية
مباركة.. ويأتي البيت الثاني فيقول:
ولا تتمحي الآيات من دار حرمة
بها منبر الهادي الذي كان يصعد

وهذا البيت يسجل المقدسات التي تركها رسول
الله فداره لا تزال قائمة بآياتها التي ليست كآيات
درست وذهب ربحها ولكنها آيات خالداً يعمر بها
الوجود كله.. إنها آيات القرآن الكريم التي تليت
فيها ورتلت، وإنها آيات الأحاديث الشريفة التي
جرت بينه صلوات الله عليه وبين من حوله من
صحابته وأنصاره. وفضلاً عن تلك الآيات البينات
فلن يُمحي من داره عليه السلام منبره الذي كان
يُشرف بصعوده ليلقي منه آيات الهداية الربانية..
ثم يشهدنا الشاعر معالم نبوية أخرى فيقول في
البيت الثالث:

وواضح آيات وياقي معالم
وربع له فيه مصلّى ومسجد

إن المدينة المنورة أو طيبة التي شُرفت بإقامة
رسول الله بها كانت تزdan بحجرات ليست كسائر
الحجرات، أجل، بها حجرات كان ينزل وسطها من
الله نور يستضاء به ويوقد.. ولقد شُرفت هذه
الحجرات وتسامت على غيرها بالإجلال والتقدير
بفضل آيات القرآن الكريم التي كانت تنزل على
رسول الله. وكانت تلك الآيات البينات هي النور
الذي يستضاء به فيعرف المسلمون طريقهم
ويهدتوا بها في شُؤون حياتهم.
كما كانت الآيات البينات هي النار التي توقد
فتكون إزكاء لإرادة الجهاد والنضال،
وإزكاء لحمنية البناء والإعمار. وفي هذا
يقول الشاعر:

بها حجراتُ كان ينزل وسَطُها
من الله نور يستضاء ويوقد

وهنا يقول الشاعر بما يصور حركة الخلود الدائم
المتجدد في آياته ومعاله:

معالم لم تطمس على العهد أيها

أتاها البلى فالأبي منها تجدد

فلفظه "معالم" هنا تعني الآثار التي خلفها رسول

الله صلى الله عليه وسلم.. وتأتي جملة "لم تطمس"

لا لتؤكد البقاء فحسب بل ليظهر بقاءها من

بهاثنا وروبقها.. وتأتي جملة: "على العهد"

لتقول: إن الممر مهما هطل عليها فلن يأخذ

منها شيئاً ولن تسحب عليها علامات البلى

والفناء ومن ثم فسوف تظل متجددة على مر

الزمان.

بعد هذا يأتي الشاعر بمقطوعة من ثلاثة أبيات،

فيقول:

عرفتُ بها رسم الرسول وعهده

وقبراً به واره في التُرب ملحد

ظلت بها أبكى الرسول فأسعيتُ

عيون ومثلاً من الجفن تسعد

تُذكر آله الرسول وما أرى

لها مُحصياً نفسي فنفسى تبُلْد

هذه الأبيات تمثل معاينة الشاعر لما ترك الرسول،

فهو يقول في البيت الأول:

عرفتُ بها رسم الرسول وعهده

وقبراً به واره في التُرب ملحد

فهو بعد أن تفحصها عرف منها بيت الرسول وقد

صوره الشاعر بقوله:

رسم الرسول وعهده، والرسم هو البيت وقد

تهالك فهو أشبه ببقايا آثار.. والعهد هو المنزل

الذي خف أهله عنه وغادروه.. فالكلمتان رسم

وعهد تصوران ما صار إليه بيت الرسول بعد أن

غادره إلى ربه فقد أصبح به قبره الذي واره

المحد فيه.. وذلك مشهد في حد ذاته يعتمر

العيون ويوجع الأفتدة فبكى شاعرنا على فراق

الرسول أحر بكاء فهو يقول وقد وقف بين معالم

النبوة:

ظلتُ بها أبكى الرسول فأسعدت

عيون ومثلاً من الجفن تُسعد

فلن كان الشاعر مجروح الفؤاد إلا أن عيونه

سعدت بالبكاء حتى ولو تضاعفت الدموع التي

تذرفها العيون وتبديها الجفون.. ولم ذلك؟ لأن

البكاء هنا يذكر بما هو عزيز على نفسه كريم على

قلبه: فيقول:

تُذكر آله الرسول وما أرى

لها مُحصياً نفسي، فنفسى تبُلْد

ولم كل ذلك؟ هنا يكرر الشاعر بمعان جديدة

وألفاظ جديدة وتركيب بياني له قوته وطرافته آله

الرسالة المحمدية على البشرية ولكنه التكرار

المستهام بنعمة الإسلام والتي لفيضها يعجز عن

أن يحصيتها لو فكر في الإحصاء.. ولا أدل على

عجزه من أن نفسه تحيرت بما يشبه التبدل، وقد

وَقَّ الشاعر في التعبير عن ذاته غاية التوفيق، وإن

في قوله:

مُفجعة قد شغها فقُدْ أحمد

فظلت لآله الرسول تُعَدُّ

وما بلغت من كل أمرٍ عَشيره

ولكن نفسي بعض ما فيه تحمدُ

لما يؤكد قدرة الشاعر على التعديد وعجز عن

الإحصاء.

ثم يأتي الشاعر بمقطوعة جديدة خص

بها التعبير عن حالته النفسية وهو واقف

على قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم،
فقد قال:

أطالت وقولاً تترف العين جُهداً

على طلل القبر الذي فيه أحمد

بوركت يا قبر الرسول وبوركت

بلاد ثوى فيها الرشيد المحمّد

وبورك لحدّ منك ضُمنَ طيّباً

عليه بناء من صفيح منضدّ

فالشاعر هنا وقف على قبر الرسول ففاضت عينونه
بالدموع الغزار على طلل القبر الذي فيه أحمد عليه
السلام. ثم يرفع الشاعر بصره إلى السماء داعياً
للرسول فيقول في قبره:

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت

بلاد ثوى فيها الرشيد المحمّد

فالشاعر إذ يدعو ربه أن يبارك في قبر الرسول،
فهو كذلك يدعو أن يبارك في البلاد التي ثوى فيها
صاحب العقل الراجح والخلق القويم الذي عاش
وهو مُحسّد من أعدائه.. وأكثر من هذا فالشاعر
يدعو للحد الرسول أن يبارك الله فيه لأنه يضم
الطيب صاحب الآيات الدالة على خلقه الطيب
الكريم.. وأي لحد هو؟ إنه لحد متواضع لا يزيد عن
كونه بناءً من صفيح منضد أي معد جيداً.

وإنها للحظة جليلة تلك التي كان فيها اللاحدون
يضعون الرسول في قبره، فيقول الشاعر:

تهيل عليه التراب أيد وأعين

عليه وقد غارت بذلك أسعد

إن فلم تكن الأيدي وحدها هي التي تهيل على
الحد الشريف التراب بل كانت كذلك الأعين
المخضلة بالدموع حزناً على فراق الحبيب حتى
نجوم السعد هي الأخرى اختفت من سماءها
وغارت حزناً على الرسول فكان الوجود كله قد

جزّن لوفاته عليه السلام.. ثم يصور الشاعر
لحظات الفراق يصور مجلّة بالألم والإشفاق،
فيقول:

لقد غيّبوا حلماً وعِلماً ورحمة

عشية علّوه الثرى لا يؤسّد

وراحوا يحزنّ ليس فيهم نبينهم

وقد هفت منهم ظهور وأعضد

يكون من تبكي السموات يومه

ومن قد بكّ الأرض فالناس أكمد

لقد جاء البيت الأول بتصوير صادق لشخصية
الرسول عليه السلام وذلك إذ يقول الشاعر:

لقد غيّبوا حلماً وعِلماً ورحمة.. فلقد تميزت تلك
الخصائص في شخصية الرسول. وتلك من آيات

الرسالة المحمدية.. ومن حسن تعبير الشاعر أن
يقول: عن هذه الصفات: "لقد غيّبوا"، ولم يقل: "قد

دفنوا"، وهذا دلالة على أن الحلم المحمدي والعلم
المحمدي والرحمة المحمدية لم تدفن ولكنها غيّبت

فقد ذهب صاحبها إلى ربه، أما هي فباقية على مر
الزمان.. ثم ماذا بعد أن غيّب الرسول في لحدّه؟

ثم كيف رجع صحابته رضوان الله عليهم؟ كيف
كانت نقوسهم؟ ما الذي أصاب أفئدتهم؟ يقول

الشاعر:

وراحوا يحزنّ ليس فيهم نبينهم

وقد هفت منهم ظهور وأعضد

لقد رجع الصحابة بعد أن غيّبوا الرسول في لحدّه
وما معهم سوى الحزن والأسى الوجيع.. وإنه

رجوع يقصم الظهر ويذمي الأفئدة.. ويسلب القوة
من صاحبها..

ثم يختم الشاعر قصيدته بما هو في منظوم
الحكمة؛ فيقول:

يكون من تبكي السموات يومه

ومن قد بكّ الأرض فالناس أكمد

مزييم جبير - الأردن

لقد أحدث ظهور المتنبي دويماً في الحياة الأدبية في عصره؛ ذلك الدوي الذي جعل من هذا الشاعر محوراً تعقد حوله الجائلس، ويتناظر فيه الخصوم والريثون، وعلى شعره تكتب الشروح، وإن شاعراً له مثل هذا الفعل، لا يد أن يكون متميزاً في شخصه وفي أدبه، وقد تنبه النقاد إلى هذا الأمر؛ فمنهم من رأى أن فن المتنبي هو الذي أثار ذلك الدوي، وخلف - بالتالي - تلك الحركة النقدية ومنهم "بلاشير" (١) مستنداً في ذلك إلى كثرة الشروح التي تناولت ديوانه؛ منهم من رأى أن شخصية المتنبي ذاتها هي السبب الأول في ذلك، ومنهم محمد مندور (٢) الذي يرى أن الخصومة حول المتنبي ابتدأت في شخصيته ثم تطورت وامتدت بعد ذلك أدبية.

أنام ملء جفوني عن شواردها

دفاع ابن جني عن المتنبي من خلال شروح "الفسر"

من صفر ٣٩٩٢هـ ببغداد، قرأ على أبي علي الفارسي وصحبه أربعين عاماً، وصحب أبا الطيب زمناً طويلاً، وشرح شعره، ونبه على معانيه، وقد أتاح له أبو علي الفارسي التعرف على المتنبي في بلاط سيف الدولة، فكانت بينهما صداقة عميقة، فشرح ديوانه ورثاه بعد مقتله بقصيدة قال فيها:

غاض القريض وأثوت نضرة الأدب
وصوحت بعد ري نوحه الكتب
سُلبت ثوب بهاء كت تليسه
كما تخطف بالخطية السُلب

وكانت علاقته بأبي علي الفارسي سبب حظوته عند البويهيين أيضاً. صنف ما لا يقل عن خمسين مصنفاً، وله أكثر من مصنف في شرح ديوان المتنبي ودفاعاً عنه، أحد مؤسسي المدرسة البغدادية في النحو؛ أخذ من المدرستين الكوفية والبصرية، مع انحيازه

غير أن شخصية المتنبي ما كانت لتجعل الخصومة حوله مستمرة، لو لم يكن لفه الأثر الأكبر، هذا إضافة إلى أن فن المتنبي وجراته في القول، هي التي لفتت الانتباه إلى شخصه، وولدت الحسد والحقد تجاهه، خاصة وأن المتنبي كان وأعياناً على هذه الحقيقة، وكيف لنا أن نفصل بين فن المتنبي وشخصيته في مثل قوله:

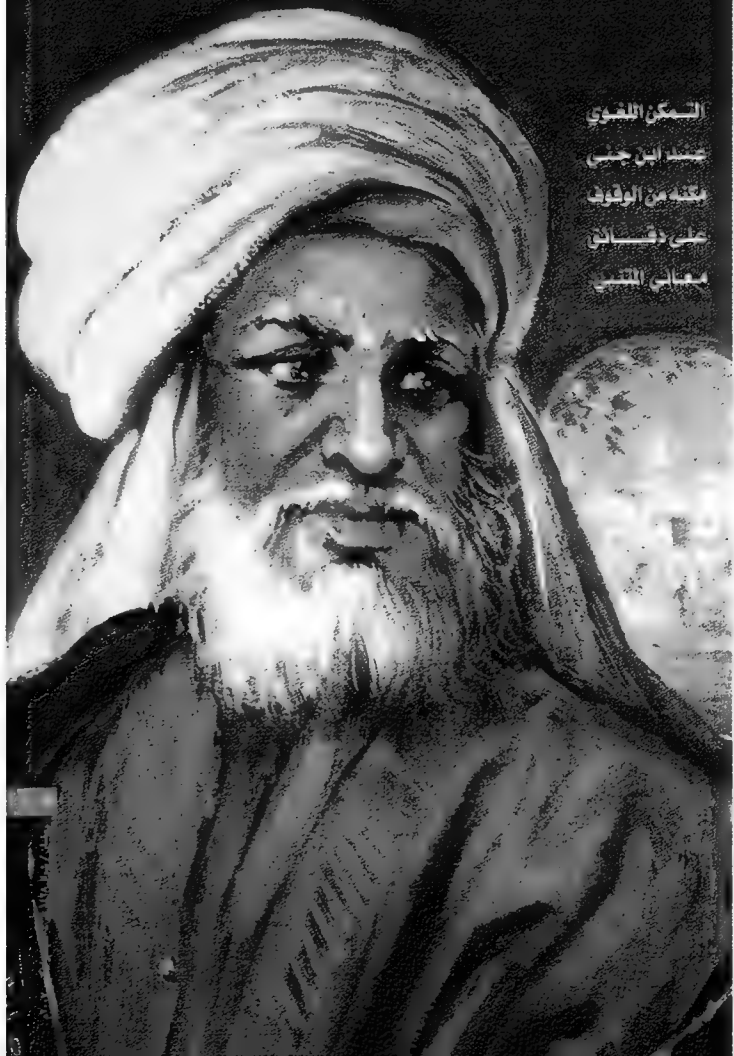
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم
أنام ملء جفوني عن شواردها
يسهر الخلق جراها ويختصم

ولعل من أوائل النقاد الذين تصدوا للدفاع عن المتنبي هو ابن جني اللغوي والنحوي الفذ؛ وهو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، أحد أئمة النحو والعروض، ولد في الموصل حوالي سنة ٣٢٠هـ، وتوفي يوم الجمعة لليلتين بقيتا



١٠٨

التمكن القوي
عند ابن جني
مقته من الوقوف
على دقـالـق
معالي المتـقـي



الصدقة القائمة بين ابن جني والمتنبي أفادت

في إزاحة الغموض عن كثير من مقاصد الشاعر

يحملون على المتنبي إنما يفعلون ذلك لأنه يدق عليهم إدراك معانيه ومراميهِ (هـ).

إذ أن ما يلحظه الدارس لهذا الشرح، أن إيضاح معاني المتنبي قد أخذ مساراً مختلفاً، اتضح من خلال تعليق المحقق على شرحه لبعض المعاني، ومن خلال حاشيته على الشرح، فقد رأى ابن جني في قول المتنبي:

عشبة أحفى الناس بي من جفوتهُ

وأهدى الطريقين الذي أتجنّبُ

أنه أراد أحفى الناس بي سيف الدولة، وأهدى الطريقين الذي أتجنّب، لأنه كان يترك القصد ويتعسف، ليخفي أثره خوفاً على نفسه، ويرى د. صفاء خلوصي أن لا مكان لمعنى "التجني خوفاً على نفسه" بل هو تعبير عن ندمه لترك سيف الدولة (٦).

ويتضح من ذلك، الفرق بين ما ذهب إليه كل منهما، إذ اختار ابن جني ما يلائم شخصية المتنبي، الذي لا يعبر عن ندمه، حتى ولو كان النذ سيف الدولة.

ولعل معرفة ابن جني بأبي الطيب، وملازمته له قد أدت به إلى أن يسلك في شرحه الطريق الذي يوصل إلى حسن المعنى لدى الشاعر، ولو كان ذلك في البحث عن المعنى في "بطن الشاعر"، في مثل قوله:

أحسن ما يخضب الحديد به

وفاضليه التجيع والغضب

والمعنى -حسب ابن جني- أن أحسن ما يخضب الحديد به الدم، وأحسن خاضبه الغضب، فجمع اللفظ وهو ينوي التفضيل، وذكر الغضب هنا مجازاً، وأنه يريد صاحب الغضب.

إلى الأخيرة أكثر من الأولى، وهو مذهب أستاذه أبي علي الفارسي.

من أبرز أعماله: تنبيته لقانوني الاشتقاق الأكبر والتضمنين، ومن أشهر مؤلفاته: سر صناعة الإعراب، وشرح تعريف المازني، ومختصر القوافي، وكتاب العروض، واللمع في النحو، والمحتمس في إعراب الشواذ، ومخطوطي: بهج وعلل التشبيه، وأخيراً "الفسر" أو شرح ديوان المتنبي - موضع البحث.

لحظ ابن جني ما وقع على المتنبي من حاسديه، الذين أنبروا لبيان مساوئه ومساوئ شعره مما وجده كلام متعصب لقوم كانوا معاندين له... (٣) فأراد إنصاف المتنبي ببيان صحة لغته وسلامتها من بعض الوجوه، متوخياً العدل، إذ أن عناد مثله والطعن عليه في محله من الصناعة ظلم أيضاً، ولكننا سنترك تعصب هذا وعناد أولئك، ونأخذ في أمره بالعدل، ونتوخى الحق، ونضع الميزان له وعليه بالقياس، فنرد عليه ما ضيعه من حقوقه، ونستوفي منه ما أهل نفسه له من العلو في هذه الصناعة (٤).

هذا هو إذن هدف ابن جني من وضع شرحه لديوان أبي الطيب، فهل تحقق له ذلك؟! هذا ما سنحاول تبليانه من خلال عرض الجوانب النقدية التي تمكنت من الوقوف عليها في شرح الديوان.

دفاع ابن جني عن المتنبي؛

فيما يلي عرض لبعض القضايا النقدية التي تكشف الجانب الدفاعي عن المتنبي من خلال شرح ابن جني للديوان والشواهد الشعرية التي تدعم رأيه.

(١) في بيان معاني المتنبي وتوضيح ما غمض منها:

لقد صرف ابن جني معظم جهده في شرح ديوان أبي الطيب لبيان معاني كلماته، وتوضيح ما غمض من تلك المعاني، واتخذ من هذا الأمر دينا له في شرح كل بيت من أبيات الديوان، ولعل هذا ناتج عن اعتقاد ابن جني بأن كثيراً من الذين



١١٠

ابن جني لم يلتزم الحياد العلمي في شرحه للمصنعي

تثامم ويرق البيض في البيض صانق
عليهم ويرق البيض في النفس حَلْبُ
أي. هزم أعداءه... إذا برقت البيض وهي
السيوف فوق لمعها على البيض، فلذلك جعله "حلباً"
وال"حلب" البرق الذي لا مطر معه..
وفي حاشية الكلام رأي آخر: أن تثامم ويرق
البيض، الواو للحال، أي في هذه الحال، فثامم برق
البيض لم يكن لذكره معنى، لأنه لا يزيد في صفة
الحرب، لأنها بهذه الصورة أبداً. فإني فائدة لذكر
هذا بالخواب؟(١١).

ونلاحظ من ذلك اختلاف المعنى وتوجيه الناحية
الإعرابية عند ابن جني، الأمر الذي يزيد المعنى أو
يجمله ويقرّبه، ويبتعد به عن احتمال الزيادة والحشو.
(٤) إجازته للضرورات الصرفية والنحوية:
وإن أكثر ما يلفت القارئ لشرح ابن جني
لديوان أبي الطيب، سكوته عن ارتكاب الضرورات،
 وإجازته لارتكابه الضرورات في الصرف والنحو؛
فقد سكت على صرفه اسم "سَمْنَدُو" في قوله:
فإن يقدم فمقد زونا سَمْنَدُو

وإن يحجم، فموسعه الخليج

يقول ابن جني: سألته وقت القراءة عليه فقلت له:
"هلا أعربت سمندو؟" فقال: "لو فعلت ذلك لم يعرف
الاسم، ولو أعرف لوجب أن يبذل من ضمة الدال
كسرة، وببذل من الواو "ياء" .. فكان يلزمه أن
يقول: "سَمْنَدِي" فلا يصرف للتأنيث والتعريف
والعجمة، وإن صرف ضرورة، فيقال: "سمندو".

يقول: وكان يرتكب هذه الضرورات، ثم بعد ذلك كله
يقع الأشكال في الكلمة ولا تعرف إلا بتأمل (١٢).
ومثل ذلك صرفه لـ "حميدون"، وعلى الرغم من
إشارة ابن جني إلى رفضه لذلك وإجازة الكوفيين
له إلا أنه أجازه أيضاً، في قوله:

أما إذا شعر ابن جني أن في بيت المتنبي ما
يشير إلى ضعفه، فإنه يدير المعنى لما يتناسب
والصورة العامة له، في مثل قوله:
إذا لم تَنطَب بي ضيعاً أو لاياً
فجودك يكسوني وشظك يسلبُ

فيرى ابن جني في ذلك إشارة إلى كثرة مؤنّه
وقلة فائدته، وفي حاشية على الشرح توجيهه
آخر للمعنى يقضي بأن "هذا طرف
الاستعداد والإيدان بالرحيل والإفصاح وقلة
الرضى بحاله" (٧) مما يخالف رأي ابن جني
وتفسيره.

(٢) الالتفات إلى تكرار المعاني والمبالغة وقلب
الاستعمال:

التفت ابن جني إلى معان تتكرر عنده في غير
موقع، وفي القصيدة الواحدة أحياناً، إلا أنه سكت
على ذلك، وجعل لهذا التكرار مهمة التوكيد،
واكتفى بقوله: "هذا يؤكد المعنى الذي قبله (٨)
وجعل المبالغة وقلب الاستعمال المعروف جودة في
مثل قوله:

رموا بنواصيها القسي فجئتها
دوامي الهواذي سالكات الجوانب

يقول: وبإلغ بقله "رموا بنواصيها القسي" وقلب
الاستعمال، فجاء به عذبا أنقاً، وهذا من عادته
قلب الألفاظ للمبالغة... لأن القسي هي التي يرمى
عنها، وليس مما يرمي نفسه (٩)

ومثله أيضاً استخدام الاستعارة للمبالغة
ولا تقع الاستعارة إلا للمبالغة ولولا ذلك لكانت
الحقيقة لا يجوز غيرها (١٠) تعليقاً على قول
أبي الطيب:

فتى يملأ الأفعال رأياً وحكمةً
وبانارة أحيان يرضى ويفضب

(٣) النقد اللغوي:
ولقد أسهمت قدرة ابن جني اللغوية في توجيهه
للمعنى في شعر المتنبي، باختياره للمعنى الإعرابي
الذي يتناسب والمعنى الذي يريد:





١١٢

يحمدانُ حمدونَ، وحمدونُ حارثُ
وحارثُ لقمانُ، ولقمانُ راشدُ

يقول: "فجعل النون من حمدون حرف الإعراب فأجرى عليها الإعراب، وكان الأشبه إذا جعل النون حرف الإعراب أن يضم الحاء ليصير على وزن "مفعول"، إلا أنه جائز إذا حملة على "زيتون" وترك صرف حمدون وحارث ضرورة، وقد أجازوه الكوفيون ونحن نأباه".

وقال آخر - الحاشية "أن ليس له أن يقيس حمدون على زيتون لقلته، وأنه ترك صرف حارث: إما لقلة علمه بما فيه، أو قلة عنايته بإصلاح كلامه في شعره (١٣)".

وقد ذهب ابن جني إلى أن من ضرورات المتنبي ما هو حسن في مثل قوله:

وأن يكذب الإرجاف عنه بضده

ويمسي بما تنوي أعانيه أسعداً

"فقد كان ينبغي أن يفتح (ياء) يُمسي، لأنه منصوب، ولكنه سكن (الياء) وهو من حسن الضرورات (١٤)".

ووصف بعض الضرورات النحوية عنده بلطف المذهب، في مثل قوله:

سرب محاسنه حرمّت نواتها

داني الصفات، بعيد موصوفاتها

يقول: "في هذا البيت شيء من الإعراب لطيف المذهب، منع سيبويه منه البتة، وهو إضافة "ذو" وأخواتها إلى الضمير.... وكذلك من تبعه من أصحابه، وقد قال هو: ذواتها، فأضاف ذوات إلى الضمير (١٥)".

(٥) الاستشهاد على شعر أبي الطيب:

يلحظ الدارس لكتاب ابن جني كثرة ما قدمه من شواهد على صحة ورود ألفاظ ومعان مختلفة في أبيات المتنبي، وقد اتخذت هذه الشواهد صوراً عدة، وجعلها من مصادر مختلفة، منها ورود بعض المعاني في كلام المتصوفة، ويمكن الإشارة إلى أهم المصادر التي لجأ إليها ابن جني فيما يلي:

(أ) طريقة العرب: في مثل قوله:
وأسست تخيّرنا بالنفا

ب وادي المياه ووادي القرى

يقول: "أي لما صرنا عليها إلى النقب، وقدرنا سلوك أحد الطريقين عليها، صارت كأنها مخيرة لنا إحدى الطريقين، وإن كانت في الحقيقة غير مخيرة، ولكن هذا كلام العرب وطرائقها في الاتساع" (١٦).

(ب) القياس على غير ما قالت به العرب:

ولأبي الطيب استخدامات لغوية جريئة في الشعر، رفضها بعض النقاد على اعتبار أن ما استخدمه العرب لغة لهم، ولا ينبغي أن يكون لغة لشاعر محدث. قال أبو الطيب:

لو لم تكن من ذا البرى الأذ منك هو

عقمت بمولد نسلها هواء

يقول: "وقوله (الأذ) بسكون الذا وكسرهما هي لغة، يقال: الذي والذ، والذي بتشديد الذا، وكذلك (التي) وفيها هذه اللغات: التي والتي (١٧)".

(ج) إيراد الحكايات:

وقد لجأ ابن جني إلى إيراد الحكايات في كثير من المواقع لإثبات المعنى الذي يريد من بيت المتنبي، كإيراده حكاية السعلاة مع حسان بن ثابت حين بركت على صدره وقالت له: أنت الذي يروج قومك أن تكون شاعرهم؟ فقال: نعم فقالت: أنشدني ثلاثة أبيات على روي واحد، وإلا قتلتك، فقال:

إذا ما ترعرع فينا الفلام

فما أن يقال له من هوة

إذا لم يسد قبل شد الإزار

فذلك فينا الذي هوة

ولي صاحب من بني الشيصباني

فحيناً أقول حيناً هوة

فخلت سبيله، وقالت: أولى لك. (١٨)

(د) إيراد الشواهد من شعر القدماء والمحدثين:

ابن جني استخدم فلسفة اللغة

لتمريض أخطاء المتنبي

وقد كان طوى شعره كثيراً من مديحه على الهجاء، وكان يقول: لو شئت لقلت جميع ما مدحت هجاء به فجعلته هجواً، وقد وافقته أنا على كثير من ذلك، فاعترف به وقبّله (٢٤)

(٨) استحسانه لما رآه الآخرون قبيحاً:

حيث خالف ابن جني - غيسره من النقد وبخاصة في استخدام المتنبي لبعض الألفاظ في شعره كما في قوله:

أهذا اللثيا بنت وردان بنته

هما الطالبات الرزق من سوء مطلب

فبينما يرى ابن جني أن في الأمر تجاهلاً وهزواً، يرى غيره - الحاشية - أن ألفاظ البيت خاسئة تترك الإنسان مفكراً فيها، لاهيا عن الهجوم، وإنما الهجوم المليح ما أضحك، فإذا اشتغل الإنسان باستقباح الألفاظ، تخلص عرض المهجو، وقد ذكر فيه بنت وردان، وهو لفظ دني ومعنى ساقط. (٢٥)

(٩) مع المتنبي:

في الوقت الذي عدّ فيه بعض النقاد لجوء المتنبي إلى كلام المتصوفة وتغييرهم من أهل الكلام، ولجونه إلى ألوانهم في صورههم ضيقاً وعجزاً، اعتبر ابن جني ذلك تصرفاً في أفانين الكلام واقتداراً على وجوه المختلفة في مثل قوله:

وتسملني في غمرة بعد غمرة

سبحوح لها منها عليها شواهد

يرى ابن جني أن قوله: (لها منها عليها شواهد) من كلام المتصوفة، وهو صحيح، ومعناه أنه إذا نظر إلى استواء خلقها وتناسب أعضائها، علم أنها كريمة سابقة. (٢٦)

وقد كثرت في شرح ابن جني الأحكام العامة،

عمد ابن جني إلى الاستشهاد بشعر الغرب قديمه ومحدثه، وأورده على وجهين: إما بكلام عام دون تحديد مكان ورود المعنى في شعر العرب، وإما بتحديد وروده عند شاعر أو مجموعة من الشعراء، فمن الأول ما أورده حول قول المتنبي:

فأثبت من فوق الزمان وتحت

متصلاً وأمامه وورائه

حيث أشار إلى أن قوله "من فوق الزمان وتحت وأمامه وورائه" فاش في أشعار العرب. (١٩) وقد استشهد بشعر المحدثين أيضاً، بغرض الوصول إلى المعنى، كاستشهاده بشعر أبي تمام، إذ يرى ابن جني أن المحدثين "يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ" (٢٠)

(هـ) الاستشهاد بشعر المتنبي نفسه:

وامتدت شواهد ابن جني على شعر المتنبي إلى شعر المتنبي نفسه، واعتمد أيضاً في توجيه معانيه على ما كان يدور بينه وبين المتنبي من حديث.

(٦) اهداء ابن جني إلى الجراة النفسية لدى المتنبي:

يقول: "وكان المتنبي يتجاسر في ألفاظه جداً، ألا تراه يقول لفاتك:

وقد يلقب المجنون حاسده

إذا اختلطن وبعض العقل عقلا

أولا ترى كيف ذكر لقبه على قبحه، وتلقاه به، وسلم مع ذلك أحسن سلامة، ولولا جودة طبعه وصحة صنعتها ما تعرض لمثل هذا" (٢١) "فهذا ملمح يعز نظيره، وهو أخرى أن يتخذ مفتاحاً لقد جانب من شعر المتنبي، لا ما علل النقاد به أنفسهم من بحث عن الأخطاء والسرقات" (٢٢).

(٧) اهداؤه إلى المديح البطن بالهجاء في شعر

المتنبي:

يعد ابن جني أول من التفت إلى أن مدائح المتنبي في كافور مبطنة بالهجاء، وأن ذلك كان عن قصد لدى المتنبي (٢٣)، وذلك في مثل قوله:

وأي قبيل يستحقك قسره

معد بن عفان فداك ويعزب



التي كان يطلقها على الشعر أو على الشاعر،
وبخاصة إن كان المجال يسمح للمقارنة ما بين
المتنبي وبين شاعر آخر:

إذا نلت منك الود فالمدال حين

وكل الذي فسوق التراب تراب

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى:

وكل اجتماع من خليل تفرقة

وكل الذي فسوق التراب قليل

واللفظ وإن كان واحداً فبيت المتنبي أعذب (٢٧)
وكثر وصفه بالخوف وقوة الطبع وغيرها من
الأحكام العامة.

مأخذ ابن جني على المتنبي:

وعلى الرغم من دفاع ابن جني عن المتنبي في
هذا الشرح إلا أنه أورد قليلاً من المناخذ التي
أخذها على المتنبي ومنها:

- عدم مناسبة بعض اللفظ لعناه كما في قوله:

ولا زالت الأعياد ليسك بعده

تسلم مخروفاً وتعطي مجدداً

فيرى ابن جني أنه كان ينبغي أن يقول "مخلفاً"
وتعطي مجدداً، وهذا أصح للمعنى واللفظ، وأما
"مخروق" فبعيد غير سفل. (٢٨)

- غرابية القول والتغفل في الصنعة كما في قوله:

سقيت منابتها التي سقت الوري

بيدي أبي أيوب خبر نباتها

إذ جعل النبات هو الذي يسقي "المنبت" قلباً
للعادة وإغراباً في القول وتغفلاً في الصنعة. (٢٩)
- القبح في بعض الضرورات: كما في قوله:

قد أجمعت هذي الخليفة لي

أنك يا ابن النبي أوحدها

وأنك بالأمس كنت محتكماً

شيخ ممد، وأنت أمرها

فالأصل تثقيب النون في "أنك"، يقول ابن جني:

إلا أنه جاء مثله في ضرورة الشعر، وهو

في كل حال قبيح (٣٠)

- ضعف بعض الاستخدامات اللغوية، كما في
قول المتنبي:

وأظلم أهل الأرض من بات حاسداً

لمن بات في نعمائه يتقلب

وأنت الذي ربيت ذا الملك مرضعاً

وليس له أم سواك ولا أب

فألوجه أن يقال: وأنت الذي ربيت ذا الملك، على أن
مثله في الشعر كثير، إلا أن ثقة أبي الفتح بالمتنبي دفعته
لقوليه: لولا أننا سمعناه من الثقة لردناه ولم نقبله (٣١)
- وتبّه ابن جني إلى تعسف في تركيب الجملة
عند أبي الطيب في مثل قوله:

أنى يكون أبا البرية أدم

وأبوك والثقلان أنت محمد

حيث فصل بين المبتدأ الذي هو: "أبوك" وبين
الخبر الذي هو "محمد" بآنت وهي أجنبية. (٣٢)

الخلاصة:

يتضح مما سبق أن الجانب الدفاعي عند ابن
جني قد غلب على الجوانب النقدية الأخرى، الأمر
الذي جعل بعض الدارسين يميلون إلى عدم الأخذ
ببعض آراء ابن جني، ومن ذلك ما ذهب إليه "بلا
شير" في قوله: "وليس في وسعنا بعد ذلك
الاحتفاظ بالتفسير الذي أورده صديقه ابن جني لما
فيه من المحاباة، ومن المؤكد من نحو آخر أن أبا
الطيب هو صاحب التفسير المذكور...." (٣٣)

ويقصد تفسير سبب تسمية "المتنبي" بهذا الاسم.
إلا أن مثل هذه الآراء لا تقلل بآية حال من أهمية
هذا الشرح، لكون شارحه هو أبو الفتح عثمان ابن
جني، إمام اللغة والنحو غير مدافع، والكاشف
المجلي لكثير من دقائقها وأسرارها (٣٤)

فالجانب اللغوي في ابن جني قد مكّنه من
الوقوف على دقائق معاني المتنبي وجلاء غوامضها،
وساعده على ذلك مصاحبته لأبي الطيب، الأمر
الذي دفعه لسؤال المتنبي عن مقصده في بعض
المواضع، واعتبر الدكتور إحسان عباس جوانب

من شرح ابن جني وثيقة هامة، لأنه أثبت ما دار بينه وبين الشاعر من أخذ ورد حول بعض الأمور المتعلقة بشعره. (٢٥)

وقد أقر المتنبّي بفضل ابن جني فكان يقول فيه: هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس، وكان إذا سئل عن شيء من دقائق النحو والتصريف في شعره يقول: راسلوا صاحبنا أبا الفتح، فإنه يعرف من شعري ما أدري وما لا أدري وشبيه بهذا القول كلمته السائرة التي تتداولها الأقواء ابن جني أعلم بشعري مني. (٢٦)

ولابن جني الفضل في تقريب المتنبّي وتحبيبه إلى أستاذه أبي علي الفارسي، الذي لم يلبث أن صار من أكبر المعجبين بأبي الطيب، بعد أن كان خصمه القديم في حلب، فلم تكن مكانة أبي الطيب بوصفه زعيم مدرسة شعرية موضع نقاش. (٢٧) ومن هنا فقد تميز هذا الشرح بتوسعة في الجانب اللغوي والجانب النحوي، بما يقضي إلى توضيح المعنى وبيان المقصد.

وعلى الرغم من نية ابن جني وعزمه في مقدمة الشرح على العدل والاعتدال، إلا أنه كان من المنصرين لأبي الطيب، المدافعين عنه في كثير مما أخذه النقاد عليه من مخالفات وتجاوزات، وجهد في إثبات توجه صاحبه بإيراد الشواهد من كلام العرب، ولو كانت قليلة شاذة، وقد أشار الدكتور إبراهيم كمال في تعقيبه على الشرح، أن ما دعاه إلى الإكثار من الشواهد الشعرية في شرحه محاولته لتبرير مخالفات صاحبه، ولكنه - كما يرى د. كمال - أكثر من الاستطرادات بما جاز عن الحد.

المصادر والمراجع:

١- ابن جني ديوان أبي الطيب المتنبّي بشرح أبي الفتح عثمان ابن جني المسمى بالفسر، ج١ (سلسلة خزائن التراث) تحقيق صفاء خلوصي، بغداد، ١٩٨٨م.

٢- ابن جني، المصدر السابق ج٢، تحقيق صفاء خلوصي بغداد، ١٩٧٧م.

٣- بلاشير، جيس، أبو الطيب المتنبّي: دراسة في التاريخ الأدبي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، ط٢، دمشق، ١٩٨٥م.

٤- شعيب، محمد عبد الرحمن، المتنبّي بين ناقدية في القديم والحديث، مصر ١٩٦٤م.

٥- عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب: نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، عمان، ١٩٨٦م.

٦- مندور، محمد، النقد المنهجي عند العرب، مصر، د.ت.

الهوامش:

(١) في كتابه: أبو الطيب المتنبّي: دراسة في التاريخ الأدبي ص ٤٦٢-٥٩٦.

(٢) في كتابه النقد المنهجي عند العرب ص ١٦٥-١٦٧.

(٣) ٤، الفسر: ج١ ص ٢٢.

(٥) إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي ص ٢٧٨.

(٦) الفسر: ج١ ص ١٨٢-١٨٣.

(٧) المصدر نفسه ص ٢١.

(٨) المصدر نفسه ص ٢٤٢.

(٩) المصدر نفسه ج٢ ص ١٦٠.

(١٠) المصدر نفسه ج٢ ص ٢٠.

(١١) المصدر نفسه ج٢ ص ٣٩-٤٠.

(١٢) المصدر نفسه ص ١٦٠.

(١٣) المصدر نفسه ص ٢٤٧.

(١٤) المصدر نفسه ص ٢٥١.

(١٥) المصدر نفسه ص ١١٥-١١٦.

(١٦) المصدر نفسه ج١ ص ١٦٦.

(١٧) المصدر نفسه ص ١٠٧.

(١٨) المصدر نفسه ص ٢٦٥-٢٦٦.

(١٩) المصدر نفسه ص ٦٠.

(٢٠) المصدر نفسه ص ١٧٢-١٧٣.

(٢١) المصدر نفسه ص ٢١٥.

(٢٢) إحسان عباس، مرجع سابق ص ٢٨٢.

(٢٣) المرجع نفسه ص ٢٨٢.

(٢٤) الفسر: ج٢ ص ٤١.

(٢٥) المصدر نفسه ص ١٠٨-١٠٩.

(٢٦) المصدر نفسه ج١ ص ٢٥٥-٢٥٨.

(٢٧) المصدر نفسه ج٢ ص ٧٧.

(٢٨) المصدر نفسه ص ٢٦٠.

(٢٩) المصدر نفسه ص ١٢٩-١٣٠.

(٣٠) المصدر نفسه ص ٢٩٩.

(٣١) المصدر نفسه ص ٢٤.

(٣٢) الفسر: ج٢ ص ٣٣٩.

(٣٣) بلاشير، مرجع سابق عن يتيمة الدهر للشعالي ٨٠/١.

(٣٤) إبراهيم كمال، تعقب على شرح ابن جني ج١ ص ٤٠٢.

(٣٥) إحسان عباس، مرجع سابق ص ٢٨٠.

(٣٦) إبراهيم كمال، الفسر: ج١ ص ٤٠٢.

(٣٧) بلاشير مرجع سابق ص ٢٤٥.

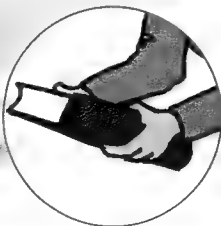
د. ماضي حميد السبيعي - مكة المكرمة

الدكتورة ماضي بنت حميد السبيعي أهدت المنهل دراستها العلمية القيمة
المتونة (المعاني الصرفية للفعل الثلاثي المزيد) دراسة استقرائية من
خلال (الصحاح) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري..
وتوسيعا لدائرة الإفادة من هذه الدراسة رأت المنهل نشر صفحات منها في
أعدادها المتتالية..
وهذه ثاني حلقة في هذا الموضوع..

- باب الثاء -

حدث: وَأَحْبَبُهُ اللَّهُ فَحَدَّثَ. وحدث أمر، أي وقع.
حدث: الْحَنْثُ: الْخُفُّ فِي الْيَمِينِ. تقول: أَحْنَثُ
الرجل في يمينه فحدث، أي: لم يبر فيها، جعلته
يحدث فيها.

خبث: "الخبث: ضد الطيب. وقد خبث الشيء
خبثاً... وأخبثه غيره، أي: علمه الخبث وأفسده".
رمث: قال الأصمعي: الرمث: بقية اللبن في
الضرع. يقال رُمْتُ في الضرع ترميثاً وأرُمْتُ
أيضاً، إذ أبقيت بها شيئاً، جعلت فيها رمثاً.
لبث: اللبث: واللباث: المكث. وقد لبث يلبث...



المعاني
الصرفية
للفعل الثلاثي
المزيد
بحرف

وَأَلْبَثْتُ أَنَا.

ورث: "أورثه الشيء أبوه"، جعله يرثه.

• باب الحميم.

حجج: "أَحَجَّجْتُ فلاناً، إذا بعثته ليحج"، جعلته يحج.

حرج: "الحرج: الإثم... وأحرجه أثمه"، جعله يقع في الحرج.

حوج: "حاج يحوج حوجاً، أي: احتاج، وأحوجه إليه غيره".

خرج: "خرج خروجاً... تقول: أخرجني مُخْرَجَ صدق".

دمج: "دمج الشيء دمجاً، إذا دخل في الشيء واستحكم فيه وأدمجت الشيء، إذا لفته في ثوب".

زجج: "الزُّجج: الحديدية التي في أسفل الرمح... ابن السكيت: أَرْجَجْتُ الرمح... إذا عملت له رُجْأً (١)، جعلته له رُجْأً".

زلج: "الزلج: المغلاق... تقول منه: أزلجت الباب، إذا أغلقته جعلته ذا مزلاج ثم استعمل في الإغلاق مجازاً".

سرج: "السَّرجُ معروف. وقد أَسْرَجْتُ الدابة، جعلت لها سرجاً، وهو مشتق من اسم ذات.

عرج: "عرج... إذا أصابه شيء في رجله فخمع ومشى مشية العرجان وليس بخلقه. فإذا كان ذلك خلقة قلت: عرج بالكسر... وأعرجه الله".

العرج: القطيع من الإبل نحو من الثمانين. وقال أبو عبيدة: مائة وخمسون وفوق ذلك. وقال الأصمعي: خمسمائة إلى الألف... وقد أعرجتك، أي: وهبكت عرجاً من الإبل".

فحجج: "أَفَحَّجَ الرجلُ حلويته، إذا فَرَّجَ ما بين رجليها ليحلبها". في اللسان: "الفحج: تباعد ما

بين أوساط الساقين في الإنسان والدابة؛ وقيل:

تباعد ما بين الفخذين؛ وقيل تباعد ما بين الرجلين... وقد فَحَّجَ فحجاً... (٢)

فلج: "الفلج... الظلْفُسر والفؤز. وقد فَلَجَ الرجل على خَصَمِهِ يَفْلُجُ فُلْجاً... وأفلجه الله عليه".

وأفلج الله حُجَّتَهُ: قَوْمَهَا وأظهرها".

نضج: "نضج الثمر واللحم نَضْجاً ونَضْجاً، أي: أدرك... وأنضجته أنا".

نفج: "نَفَّجَتِ الأرنب، إذا ثارت. وأنفجتها أنا".

نَهَج: "النَّهَجُ بالتحريك: البُهر وتتابع النفس. وقد نَهَجَ بالكسر يَنْهَجُ. وأنهَجَتِ الدابة: سَرت عليها حتى انبهرت".

وَلَجَّ: وَلَجَ يَلُجُ وَلُجْجاً، أي: دخل... وأولجته: أدخلته. وقوله تعالى: [يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ]. (٣)

وسج: "الوَسِيجُ: ضربٌ من سير الإبل. يقال وَسَجَ البعير وَسِجْجاً. وأوسجته أنا: حملته على الوسيج".

وهج: "الوهج، بالتحريك: حرُّ النار. وهَجَتِ النار تهج وهجاً... وأوهجتها".

هرج: "هَرَجَ البعير يَهْرَجُ هَرْجاً، إذا سَدَرَ من شدة الحر وكثرة الطلاء بالقَطْران... وأهرجته، إذا حملت عليه في السير في الهاجرة حتى يَسْدَرَ".

هيج: "هاج النبت هياجاً، أي: يبس... وأهاجت الريح النبت أَيْبَسَتْه".

• باب الحياء.

بحج: قال أبو عبيدة: بَحَحْتُ بِالْفَتْحِ أُبَحُّ بَحاً... تقول: مازلت أصيحُ حتى أبَحِنِي ذلك".

• باب الحياء.

بحج: قال أبو عبيدة: بَحَحْتُ بِالْفَتْحِ أُبَحُّ بَحاً... تقول: مازلت أصيحُ حتى أبَحِنِي ذلك".



برح: "أَبْرَحَهُ... بمعنى أكرمته وعظمته، جعله ذا بَرَحَةٍ وهي الخيار من كل شيء.

بوح: "بَاحَ بِسِرِّهِ، أي: أظهره. وأبَحَّتْك الشيء: أطلت لك.

تبع: "تَاحَ لَهُ الشيء، وأَتَبَحَ لَهُ الشيء، أي: قَدَّرَ لَهُ. وأَتَاحَ اللَّهُ لَهُ الشيء، أي: قدره له.

جنح: "جَنَحَ، أي: مال... وأَجْنَحَهُ غيره. ربح: "رَبِحَ فِي تِجَارَتِهِ، أي: اسْتَشَفَّ. وأَرَبَحْتُهُ عَلَى سِلْعَتِهِ، أي: أعطيته ربحاً.

رَجَحَ: "رَجَحَ الْمِيزَانُ... أي: مال. وأَرَجَحْتُ لِفُلَانٍ التَّقدير: أَرَجَحْتُ الْمِيزَانَ لِفُلَانٍ.

رَسَحَ: "الرَّسْحُ: خَفَةُ الْإِلَيْتَيْنِ وَلِصَوْقِهِمَا رَجُلٌ أَرَسَحَ بَيْنَ الرَّسْحِ، وهو قَلِيلُ لَحْمِ الْعَجِزِ وَالْفَخْزَيْنِ، وَالْمَرْأَةُ رَسْحَاءٌ... وقيل لامرأة من العرب: مَا بَالُنَا نَرَاكُنَّ رُسْحَاءَ؟ فَقَالَتْ: أَرُسَحَتُنَا نَارُ الرُّحْفَتَيْنِ، فِي اللِّسَانِ: اللَّيْثُ: الرَّسْحُ إِلَّا

يَكُونُ الْمَرْأَةُ عَجِيزَةً، وَقَدْ رَسَحَتْ رُسْحًا، وَهِيَ الرِّزَاءُ. (٤)

روح: "رَاحَتْ الْإِبِلُ... وَأَرَاخَ إِبِلُهُ أَي: رَدَّهَا إِلَى الْمَرَاخِ.

أرحتُ عَلَى الرَّجُلِ حَقَّهُ، إِذَا رَدَدْتَهُ عَلَيْهِ. وَأَرَاخَهُ اللَّهُ فَاسْتَرَاخَ فِي اللِّسَانِ: رَاحَ الْإِنْسَانُ إِلَى الشَّيْءِ يَرَاخُ إِذَا نَشِيطٌ وَسُرْبَةٌ. (٥)

زيع: "رَاحَ الشَّيْءُ يَزِيعُ... أَي: بُعِدَ وَذَهَبَ وَأَزَاخَهُ غَيْرُهُ: "وَأَزَحْتُ عَنْهُ فَرَاخَتْ".

سجح: "الْإِسْجَاحُ: حُسْنُ الْعَفْوِ. يُقَالُ: "مَلَكْتُ فَنَاسِجَ" اللِّسَانِ: "سَجَحْتُ لَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ وَسَرَحْتُ... وَسَنَحْتُ... إِذَا كَانَ كَلَامٌ فِيهِ تَعْرِيزٌ بِمَعْنَى مِنَ الْعَانِي". (٦)

طفع: "طَفَعَ الْإِنَاءُ طُفُوحًا، إِذَا امْتَلَأَ حَتَّى يَفِيضَ. وَأَطْفَحْتُ أَنَا.

طلع: "طَلَعَ الْبَعِيرُ: أَغْيَا... وَأَطْلَحْتُهُ أَنَا. طمَح: "طَمَحَ بِصَرَّةٍ إِلَى الشَّيْءِ: ارْتَفَعَ... وَأَطْمَحَ فُلَانٌ بِصَرَّةٍ رَفَعَهُ.

فَرَحَ: "فَرَحَ بِهِ: سَرَّ... وَأَفْرَحَهُ: سَرَّهُ. فَوْح: "فَاحَتِ الْقَدِرُ تَفْجِيعٌ: غَلَّتْ. وَأَفْحَتْهَا أَنَا. وَكَذَلِكَ فَاحَتِ الشُّجَّةُ: نَفَحَتْ بِالْذَّمِّ. وَأَفَاحَ ذِمَّةً هَرَّاقَةً.

قَرَحَ: "قَرَحَ جِلْدُهُ بِالْكَسْرِ يَقْرَحُ قَرَحًا... إِذَا خَرَجَتْ بِهِ الْقُرُوحُ. وَأَقْرَحَهُ اللَّهُ. قَمَحَ: "قَمَحَ الْبَعِيرُ قُمُوحًا، إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ عِنْدَ الْحَوْضِ وَامْتَنَعَ عَنِ الشَّرْبِ... وَأَقَمَحَهُ الْفُلُ، إِذَا تَرَكَ رَأْسَهُ مَرْفُوعًا مِنْ ضَيْقِهِ.

لَقَحَ: "لَقَحَتِ النَّاقَةُ بِالْكَسْرِ لَقْحًا وَلَقَاحًا بِالْفَتْحِ، وَأَلْقَحَ الْفَحْلُ النَّاقَةَ، فِي اللِّسَانِ: "الْلَقَاحُ: اسْمُ مَاءِ الْفَحْلِ مِنَ الْإِبِلِ وَالْخَيْلِ... وَاللَّقَاحُ اسْمٌ لِمَا يَقُومُ مَقَامَ الْمَصْدَرِ... ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: نَاقَةٌ لَا قَاحَ وَقَارِحُ يَوْمَ تَحْمُلِ (٧).

أَلْقَحُوا تَحْلَهُمْ... وَيُقَالُ فِي النَّخْلَةِ الْوَاحِدَةِ: لَقَحْتُ، بِالتَّخْفِيفِ.

لوح: "لَاحَ لَوْحًا وَلَوْاحًا: عَطَشَ... وَأَلَاخَهُ: أَهْلَكَهُ، لَاحَ بِمَعْنَى عَطَشَ ثُمَّ تَدْرَجُ الْمَعْنَى إِلَى الْإِهْلَاكِ.

مرح: "الْمَرْحُ: شِدَّةُ الْفَرَحِ. وَقَدْ مَرَحَ بِالْكَسْرِ وَأَمْرَحَهُ غَيْرُهُ.

فَرَسَ مَرْحًا وَمَرْوَحًا، أَي: نَشِيطًا. وَقَدْ أَمْرَحَهُ الْكَلَا فِي اللِّسَانِ: "مَرَحَ، بِالْكَسْرِ، مَرْحًا. نَشِيطٌ (٨)، جَعَلَهُ مَرْحًا.

ملح: "أَمْلَحْتُ الْقَدِرَ: إِذَا أَكْثَرْتُ فِيهَا الْمَلْحَ فَسَدَتْ، جَعَلَهَا ذَاتَ مَلَحٍ.

نبح: "نَبَحَ الْكَلْبُ يَنْبَحُ وَيَنْبَحُ... وَانْبَحَتُ الْكَلْبُ. نَجح: "نَجَحَ أَمْرُ فُلَانٍ، أَي: تَيْسَرَ وَسَهَّلَ... وَقَدْ

أَنْجَحْتُ حَاجَتَهُ، إِذَا قَضَيْتَهَا لَهُ.

نصح: "نصحت الإبل الشرب تنصح... أي: صدقته، وأنصحها أنا أرويتها".

نكح: "نكحت هي، أي: تزوجت، وأنكحها أي: زوجها".

وتح: "شيء وتح وتتح، أي: قليل تافه. وقد وتح بالضم... وأوتح فلان عطيته، أي: أقلها".

وجح: "وأوجحه البول: ضيق عليه في اللسان: وقد وجح يوجح وجحاً إذا التجأ" (٩) جعله يوجح.

وضح: "وضح الأمر يضح وضوحاً، أي: بان وأوضحته أنا".

باب الرخاء.

تخخ: "التخخ: العجين الحامض. وقد تخ تخوخاً، وأتخه صاحبه".

مرخ: "أمرخت العجين، إذا أكثرته ماءه حتى رقى، التعدية".

ورخ: "الورخة: العجين الذي أكثر ماؤه حتى رقى. وقد ورخ العجين... استرخى. وأورخته أنا".

وسخ: "الوسخ: الدرن. وقد وسخ الثوب... وأوسخته أنا".

باب الدال.

أسد: "أسدت الكلب وأوسدته: أغريته بالصيد جعلته يأسد".

بدد: "البدة... النصيب. تقول منه أبد بينهم العطاء، أي: أعطى كل واحد منهم بدته".

وفي الحديث: "أبدىهم ثمرة تمر" (١٠)، أجلي لكل واحد منهم بدته.

برد: "وحكي أبو عبيد: سقيته فأبردت له إبراداً، أي: سقيته بارداً. الأصل التعدية، ولكن ضمن

معنى قدم فعدي باللام.

بعد: "وقد بعد بالضم فهو بعيد، أي: تباعد. وأبعده غيره". ويقال أبعده الله الآخر".

بيد: "باد الشيء يبيد... هلك وأبادهم الله، أي: أهلكهم".

جند: "وقولهم: أجند بها أمراً، أي: أجند أمره بها، نصب الأمر على التمييز، كقولك: قررت به عيناً أي: قررت عيني به، جعله ذا جديد.

وأجده، واستجده... أي: صيره جديداً. وجد الشيء يجد بالكسر جدة: صار جديداً... ويهي بيت فلان، فأجد بيتاً من شعر، جعله جديداً.

جسد: "الجسد... الزعفران... قال ابن السكيت: يقال على فلان ثوب مشبع من الصبغ... فإذا قام قياماً من الصبغ قيل: قد أجسد ثوب فلان إجسداً فهو مجسد" (١١)، جعله ذا جسد.

الهوامش:

١- انظر إصلاح المنطق، ٢، ٢٢٨.

٢- ج ٢، ٢٤٠ العمود/ ٢ مادة فحج.

٣- آية ٦١ من سورة الحج.

٤- ج ٢، ٤٤٩ العمود/ ١ مادة رسح.

٥- ج ٢، ٤٦٠ العمود/ ٢ مادة روح.

٦- ج ٢، ٤٧٥ العمود/ ١ مادة سجح.

٧- ج ٢، ٥٧٩ العمود/ ٢/١، مادة: لقح.

٨- ج ٢، ٥٩١ العمود/ ٢ مادة: مرج.

٩- ج ٢، ٦٢٩ العمود/ ٢ مادة: وجح.

١٠- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر،

١، ١٠٥، مادة بد.

١١- انظر إصلاح المنطق، ج ١، ١٢٠،

ج ٢، ٤١٢.

لغة المعاملات والانحدار اللغوي!

د. عبد الله الحيدري - الرياض

تجنح الكتابات الرسمية المتمثلة في الخطابات والمعاملات في الغالب الأعم إلى الاختصار، وتنزح إلى الإيجاز في العبارة، وتخلو تقريباً من الإشراق البياني والاهتمام اللفظي، وتعلمي من شأن المعنى وتقدمه على اللفظ، ولا تمنى بالمساواة بينهما كما هو شأن المدرسة (الجاحظية) وغيرها، فتأتي خلواً من الجمال مؤدية الغرض في عبارات جافة مستهلكة مطروقة لا روح فيها ولا تميز، بالإشارة إلى ... نفيكم، ولا شك، برफقه أصل المعاملة، أرجو الاطلاع والإفادة... إلخ".

وكان يمكن أن يقبل المنصفون بلغة الكتابة هذه؛ لأن الهدف الأهم هو الإبانة عن الغرض بأقل قدر من العبارات، حفظاً لوقت المسؤول، ولوقت المستفيد معاً؛ ولأن الهدف الأخير هو إيجاد قناة لغوية أدائية سهلة بين الطرفين، فضلاً عن أن الإطالة تبعث السأم ولا تؤدي الغرض، وخير الكلام ما قل ودل.

على أن الأمر لم يقتصر على الزبانية والنمطية في المكاتبات، والميل إلى الجفاف في التعبير، بل ذهب إلى ما هو أسوأ، وهو شذويع الركائكة في الأساليب، والخلل في بناء الفقرة، وظهور الأخطاء اللغوية الشائعة المختلفة: إملاء ونحواً وصرفاً، فلا تعجب إن وجدت الفاعل منصوباً، والمفعول مجروراً، و(الطاء) ضاداً، و(الضاد) طاء، فضلاً عن إهمال تأميد تقريباً - لعلامات الترقيم التي يعرف بها الفصل والوصل، والارتباط وعدمه، وسياقه: استنفهاً، أو تعجباً، أو سخرية.



كثرت الأخطاء، جملة.. ونحواً.. وصرفاً

ومع رغبة الغير (جمع غيور) على تنقية لغة المكاتبات الرسمية والصحفية مما شابها من لحن وخط وابتذال، فإن الجهود تكاد تكون غير مؤثرة في المتلقين؛ ذلك أن كتب الأخطاء الشائعة تزيد على عشرين كتاباً - فيما أحسب - والأخطاء في ازدياد، ولا أحد يسمع!

ولقد أبلى يحيى العلمي (١٣٤٧-١٤٢١هـ) رحمه الله في كتاباته الصحفية وأحاديثه الإذاعية بلاء حسناً في التنبيه على شيوع الأخطاء وفشوها، وطالب بالاهتمام بلغة المعاملات الرسمية حتى يحسن صوته ويوصل إلى مرحلة من اليأس جعلته يقنع من المتحدثين والكتاب الذين يجهلون كتابة الأرقام بلغة فصيحة سليمة أن يجعلوها دائماً منصوبة، وأن يتجنبوا الرفع، لأنه مظنة العلم بإعراب الرقم. أما نصبه أو جره فقد لا يدل على جهل المتحدث أو الكاتب، وإنما يمكن أن يفسر سلوكه بأنه تسامح وتساهل لا جهل !!

ومهما يكن من أمر، فإن المشكلة أكبر مما نتوقع، وتحتاج إلى تضافر الجهود من جميع الأطراف المعنية بالهم اللغوي.

المنهل

الغوي عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٣م طبع الرائد الأدبي اللغوي الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري كتابه المعنون (اصلاحات في لغة الكتابة والأدب).. وكان أول محاولة تنشر في المملكة العربية السعودية، تعنى بهذه الغاية.

وجاء في كلمة الإهداء (كتبت هذه المقالات بقصد إفادة الناشئة المتعلمة، والمحرفين الحكوميين، والأدباء والقراء، وإرشادهم إلى مواقع الخطأ ليتجنبوها، وإيضاح مناهج الصواب ليسلكوها..).

وظل الأستاذ الأنصاري يكتب في مجلته المنهل تحت هذا العنوان.. وقد جمعت (دائرة المنهل) كل تلك الكتابات في اللغة، وأخرجتها في كتاب ضخم قيم في حوالى ١٠٠ صفحة، نال إعجاب المهتمين بأمر اللغة العربية.. وجاء هذا الكتاب بذات العنوان الأول (اصلاحات في لغة الكتابة والأدب).. وهذا الكتاب متوفر الآن في المكتبات، وفي (دائرة المنهل..).

وبينما تتداح الأخطاء يشقى صورها المحزنة، تأتي الأرقام حين تكتب بالحروف معجونة متناقضة في سياقها الإعرابي، فبعضها مرفوع، وبعضها منصوب مع وجود عامل إعرابي واحد، كأن يكتب أحدهم: " هذا المشروع تكلفته خمسون مليوناً وعشرين ألف ريال " !!

على أن المشكلة قديمة، وليس ثمة مخرج من الشكوى منها كلما طرحتها مدرسة أو مؤسسة ثقافية، أو أثارها جريدة أو مجلة، إلا بمعجزة لا ندري متى يحين حينها!

والمؤسف هو انصدار لغة المعاملات إلى درجة لا تطاق بحيث أصبحت نقرأ كلاماً يذكرنا بمن يتكلم العربية وهو ليس من أهلها، فيحاول أن يقيم الحروف فتغلبه العجمة.

ولسنا بصدد معالجة المشكلة، فنقترح الاهتمام بالإملاء والنحو والصرف في المدارس، فكل هذه المواد موجودة، ولكنها تلقن بطريقة نظرية (لا عملية)، فتكون الفائدة محدودة لا تعين الطالب، والموظف فيما بعد على تجويد الكتابة؛ أو نقترح دورات تدريبية مكثفة للموظفين، فهذا - حسب علمي - غير متاح لهم؛ لأن الاهتمام ينصب على دورات في (مسك الدفاتر) وسوى ذلك من دورات تعنى بأساسيات الوظيفة وشكلها الخارجي، ولا تنفذ إلى البلب، وهو الاهتمام بتزويد العقول بالدرس اللغوي والأسلوبي.

ومن دلائل الانحدار الأسلوبي واللغوي في الكتابات الصحفية ما يشيع في كتاباتهم من أخطاء شائعة وغير شائعة، ولحن واضح، وميل إلى التخفيف من علامات الترقيم والهمزات، وجنوح إلى اللغة السهلة الضحلة التي لا تعنى بالتجويد والإتقان، مع تساهل واضح في مزج الفصح بالعامي والدخيل من الألفاظ!

ولقد تسلت هذه الأدواء إلى مؤسسة رسمية تبث الأخبار للصحف، فرأينا عدداً من الأخطاء الإملائية، وبالذات في كتابة الهمزات المتطرفة، فكلمة (ضوء) تتحول إلى (ضؤ)، و(سوء) إلى (سؤ)، و(بدى) إلى (بدء) دون إدراك لما قد يحدثه هذا التساهل في لغة الضاد من نشر للأخطاء على نطاق واسع.

د. مصطفى أحمد قنبر - الإمارات العربية المتحدة

يلعب المقام دوراً رئيساً في البنية اللغوية للنصوص، إذ هي ضوئه يتمكن الكاتب من إنشاء النصوص، فـ " يعدل عن استعمال الكلمات التي تنطبق على الحالة التي يصادفها خوفاً أو تأدياً. بل قد يضطر إلى العدول عن الاستعمال الحقيقي للكلمات فيلجأ إلى التلميح دون التصريح." (١)، كما يستلعب المكتوب إليه تفهم النصوص، ويدراسته ينجح اللغوي والناقد في تفسير هذا النتاج وتحليله.

البنية اللغوية والمقام



١٢٢

ولقد كان البلاغيون العرب على دراية بهذا الدور الخطر للمقام في إنشاء وفهم وتطبيق النصوص - وإن كان فهمهم له ضيقاً - مما يجعل لهم السبق عن غيرهم. إنه "حين قال البلاغيون: لكل مقام مقال" ولكل كلمة مع صاحبها مقام" وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات... ولم يكن "مالينوفسكي" وهو يصوغ مصطلحه الشهير Context of Situation يعلم أنه مسبوق بألف سنة أو ما فوقها. إن الذين عرفوا هذا المفهوم سجلوه في كتب لهم تحت اصطلاح "المقام". ولكن كتبهم لم تجد من العناية على المستوى العلمي ما وجده اصطلاح مالينوفسكي." (٢)

فالمقام عند البلاغيين العرب قصد به المخاطب من حيث طبقة السياسية والاجتماعية (الخاصة / العامة)، والحالة النفسية له إقبالاً وإعراضاً (٣). يقول الجاحظ: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار

العرب سبقوا الأوروبيين إلى ضرورة ترتيب الخطاب حسب مقتضيات الحال والمقال

الكلام معهما، ودور الشاهد في المراقبة أو المشاركة.

ثانيًا: العوامل والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتصلة بالحدث اللغوي، ويشمل الزمان والمكان.

ثالثًا: أثر الحدث اللغوي كإقناع، والفرح، والالام. (١٠)

وقد ذكر ليتش أن اللغوي الانجليزي (فيرث) تأثر في نظريته السياقية بالانثروبولوجي البولندي مالبينوفسكي، الذي عُرف عنه في دراسته للدور الكبير الذي تلعبه اللغة في المجتمعات البدائية - أنه يعالج اللغة كصيغة من الحركة، وليس كأداة للانعكاس. واللغة في حركتها، والمعنى كما يستعمل يمكن النظر إليهما على أنهما شعاع مزدوج لدرسته الفكرية. (١١) إن (فيرث) يرى أن فهم الكلام والقدرة على تحليله، إنما يكون بالنظر إليه في إطار اجتماعي معين سماه السياق. والسياق في نظره ذو عناصر معينة متكاملة.

وهي ضرورية في عملية الفهم والإفهام.

من عناصر هذا السياق:

● المتكلم.

● السمع أو السامعون (أو جملة الأشياء

الموجودة في الموقع).

● الزمان والمكان.

● الكلام نفسه.

وعنده أنه لا بد من النظر في هذه الجوانب كلها، وعلاقتها بعضها ببعض: حتى يمكن فهم الكلام فهمًا جيدًا، وحتى يمكن تحليله تحليلًا صحيحًا دقيقًا. (١٢)

ولعل أفضل تطبيق لأفكار (فيرث) هو ما جاء في دراسة زميلة (تف. ميتشل) عن لغة البيع والشراء في شمال إفريقية. كانت اللغة المدروسة

المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلامًا ولكل حالة من ذلك مقامًا، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات. (٤)

هذا في بلاغة الخطابة، أما في بلاغة المكاتبة فقد اتسع المقام ليضم الكاتب وموضوع الرسالة. (٥) يقول أبو هلال العسكري: وأعلم أن المعاني التي تنشأ فيها الكتب من الأمر والنهي، سبيلها أن تؤكد غاية التوكيد بجهة كيفية نظم الكلام لا بجهة كثرة اللفظ: لأن حكم ما ينفذ عن السلطان في كتبه شبيه بحكم توقيعاته من اختصار اللفظ وتأكيد المعنى... أما ما يكتبه العمال إلى الأمراء ومن فوقهم، فإن سبيل ما كان واقعًا منها في إنهاء الأخبار وتقرير ما يلونه من الأعمال... أن يمد القول فيه حتى يبلغ غاية الشفاء والإقناع، وتام الشرح والاستقصاء. (٦) وهكذا اتسع المقام ليشمل العناصر التالية:

● المخاطب/ السامع (من: الخاصة/ العامة).

● الخطيب/ المتكلم (من: الخاصة/ العامة).

● الكلام نفسه.

● أثر الكلام (الإقناع، وتام الشرح).

ثم اتسع عنصر المتكلم بإضافة اعتبار آخر يمكن تسميتها (الانتماء اللغوي والأدبي). (٧) يفهم هذا مما رواه السكاكي أن خلفًا قال لبشار بعد أن أنشدته رايتيه:

بكرًا صاحبني قبل الهجير إن ذاك النجاح في التبيكير.

لو قلت يا أبا معاذ مكان (إن ذاك النجاح) بكرًا فالنجاح في التبيكير - كان أحسن. فقال بشار: إنما قلتها أعرابية وحشية... ولو قلت: بكرًا فالنجاح في التبيكير، كان هذا من كلام المولدين. (٨)

وقد ارتبط مصطلح المقام أو سياق الموقف ذهنيًا بعالمين اثنين: Context of Situation أحدهما (مالبينوفسكي)، والآخر اللغوي (فيرث). وكلاهما كان معنيًا بإبراز المعنى بالنظر إلى السياق الذي تستخدم فيه اللغة. (٩)

ويتكون سياق الموقف عند مالبينوفسكي من ثلاثة عناصر:

أولاً: شخصية المتكلم والسامع، ومن يشهد.

الزمان والمكان والمناسبة والاجتماع في مجموعها تحدد صيغة الخطاب

وسوف يختص الموقف بالاتصال اللفظي المنطوق. كما يختص السياق بالاتصال اللفظي المكتوب. أما السياق الموقف فهو مشترك بين كلا النوعين، ولكن يدل عليه فيزيقيا في الاتصال المنطوق بينما يخبر عنه لفظيا في الاتصال المكتوب. (٢١)

وبعد فيمكن القول: أن المقام أو سياق الحال يمكن أن يبني من العناصر التالية:

١- المتكلم / الكاتب (المرسل) شخصيته وتكوينه الثقافي والفكري.

٢- المخاطب/ المكتوب إليه (المرسل إليه) شخصيته وتكوينه الثقافي والفكري.

٣- الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية المحيطة بولادة النص(الرسالة).

٤- الزمان والمكان.

٥- مقاصد المتكلم/ الكاتب من إنشاء النص.

٦- أثر العناصر السابقة في استخدام تنوع لغوي بعينه دون آخر.

وعلى محط النصوص أن يقف على هذه العناصر جميعها حتى يستطيع أن يقرأ بعض دلالاتها التي قد لا تتكشف له لو أغفل بعضها.

الهوامش:

١- د. أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر/ دار الفكر المعاصر، دمشق/ بيروت، ط١ (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ص ٢٩٩، ٢٩٨.

٢- د. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومعناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢ (١٩٧٩م) ص ٣٧٢.

٣- انظر: د. جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص ٢٤، ٢٣.

٤- الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ): البيان والتبيين دار الفكر للجميع(١٩٦٨) ١/ ٩٧.

٥- انظر: د. جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، ص ٢٢، ٢٧.

٦- أبو هلال العسكري(أبو هلال الحسن بن عبد الله بن

سهل العسكري): كتاب الصناعتين، تحقيق محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة (١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م) ص ١٥٦.

٧- انظر: د. جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، ص ٥٢.

٨- السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي ٦٢٦هـ): مفتاح العلوم، ضبطه وشرحه: نعيم زوزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٩٨٣م) ص ٩٨٩.

٩- فريالمر: علم الدلالة، ص ٧٤.

١٠- د. كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢ (١٩٨٥م) ص ٧٤.

١١- Leach: Semantics, Penguin, Books, (1983), pp.62-63

١٢- د. كمال بشر: التفكير اللغوي بين القيم والحديث، ط٢ (١٩٨٩م) ص ١٣٢.

١٣- Halliday, M., A., K., and

Ruqaiya: Language, Context, and text: Aspects of language in a social-semiotic perspective. Oxford uni. Press (1990) p8-7.

١٤- ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة: د. كمال بشر، دار غريب للطباعة، القاهرة ط١ (١٩٩٠م) ص ٦٨، ٧٣.

١٥- Halliday, M.A.K.: Language as Social

Semiotic: the social interpretation of language meaning Routledge, Chapman and Hall Inc

U.S.A (1993) pp28-29

١٦- جان كوهين: بناء لغة الشعر، ترجمة: د. أحمد درويش، دار المعارف القاهرة (١٩٩٣م) ص ١٨٥.

١٧- د. محمد العيد: اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة: بحث في النظرية، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة/ باريس، ط١ (١٩٩٠م) ص ١٩٩.

١٨- المرجع السابق، ص ١١٢.

١٩- د. محمود السعران: علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، ط٢، القاهرة (١٩٩٢م) ص ٢٥٢.

٢٠- د. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومعناها، ص ٣٥٢.

٢١- انظر: د. محمد العيد: العبارة والإشارة: دراسة في نظرية الاتصال، دار الفكر العربي، القاهرة (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) ص ٩٨.

الإرادة وما يرادفها

عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله
من الصالحين (٢٧)

والذي يهمن هنا - ونحن نتكلم عن الإرادة - هو
قوله تعالى (قال إني أريد أن أنكحك
إحدى ابنتي هاتين) وإليك شرح الكلمات
ليتين الفرق.
قال إني: القائل هنا هو شعيب عليه
السلام.

إني: لتوكيد الكلام، لأن موسى - عليه
السلام، وكل إنسان - لا يمكن أن يزوج
ابنته من إنسان لا يعرفه من أول لقاء؛
فأراد شعيب عليه السلام - بعد أن عرف
من ابنته ما عرف من قوته وأمانته - أن يزيل عنه
هذا الشك فتكلامه بقوله: إني.

أريد: أي إن إرادتي جازمة مؤكدة بأن المشددة
بعد هذا سنتبين الفرق بين الإرادة والمحببة،
والإرادة والشهوة، والإرادة

والرضا، والإرادة
والاختيار، والإرادة
والتمني، والإرادة
والقصد، فاقول



أ.د / ياسين بن ناصر الخطيب

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

الحمد لله، وصلى الله على محمد ومن والاه،
ومن أراد لهذه الأمة التيقظ والانتباه،
ويعد - فقد تكون للكلمة الواحدة مرادفات
كثيرة، ولكن لا يمكن - عند أهل اللغة أن تكون
أي من هذه الكلمات بمعنى واحداً أبداً، والا
كان ذلك حشواً في اللغة، ولغة القرآن الكريم
منزهة عن ذلك، وكذلك هنا كثير هي
مرادفات الإرادة، ومن لا ينظر في معاني

الكلمات بدقة، قد يظن أن كل واحدة من تلك المترادفات
تقوم مقام الأخرى، وتؤدي نفس المعنى، والصحيح أن هذا
غير صحيح، وسأضرب لكم مثلاً بين تلك المترادفات، كما
يبين دقة القرآن الكريم في اختيار الكلمات، فاقول،

قال الله تعالى في قصة موسى وشعيب - عليهما
السلام - قال تعالى:

(قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من
استأجرته القوى الأمين) (٢٦) قال إني أريد أن
أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تاجرني
ثمانى حجج فإن أتممت عشراً فمن



لم يقل شعيب - عليه السلام - إني أحب أن أنكحك: لأن المحبة تجري على الشيء، ويكون المراد غيره، تقول: أحببت فلاناً، وأنت تحب إكرامه ونفعه، ولا تقول إني أريد فلاناً بهذا المعنى: أي وأنت تريد إكرامه: بل إذا قلت: إني أريد فلاناً: فمعنى ذلك أنك تريد شخصه، فقول شعيب - عليه السلام - هنا إني أريد أن أنكحك، المراد هنا إرادة نفس الإنكاح لا شيء آخر، (٢) حتى يقع في نفس السامع من أول وهلة.

كذلك لم يقل شعيب - عليه السلام - إني أشتهي أن أزوجه: لأن الإنسان قد يشتهي ما يكرهه: كما يشتهي الصائم شرب الماء، وهو يكرهه لأنه يناهض صيامه. (٣) وكما يشتهي الإنسان الشهوات وهي مضرة.

وكذلك لم يقل شعيب - عليه السلام - إني أرضى أن أنكحك: لأن الرضا بالشيء يكون معه أو بعده، قال تعالى [اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً] (٤) فلو قال إني أرضى أن أنكحك، فمعنى ذلك أنك إن نكحت - وأنا لا أري - وعلمت به الآن، أو بعد مدة: فسأرضى بهذا النكاح، وهذا غير مراد هنا أصلاً، أما الإرادة فتكون قبل الشيء، لأنها فعل القلب، فالإنسان يفكر في الشيء، فإذا عزم على فعله أراد تنفيذه.

ولم يقل شعيب - عليه السلام - إني أختار أن أنكحك: لأن الاختيار إرادة الشيء بدلاً من غيره، وذلك يكون عند خطور المختار وخطور غيره بالبال: بمعنى أنه يأتي على باله الإنكاح وعدمه.

وأما الإرادة، فإنه يريد الفعل، ولا يخطر على البال غيره، وهذه منقبة لموسى - عليه السلام - وهي أن نبي الله شعيب - عليه السلام - لم يتردد في إنكاحه، بمعنى أنه لم يخطر على باله غير ذلك، لما عرف من شخصه، وما عليه من القوة والأمانة.

ولم يقل شعيب - عليه السلام - إني أتمنى أن أنكحك: لأن التمني معنى يقع في النفس عند فوات فعل: كان للمتمنى في وقوعه نفع في الماضي، أو في المستقبل: لكنه فات وانقضى، والإرادة لا تتعلق إلا بالمستقبل.

وقال بعضهم: التمني عمل اللسان، والإرادة عمل القلب، (٥) فالتمني يكون بقول باليت، أو أتمنى أن يكون هذا كذا.

والتمني يكون بمعان لا يمكن أن تكون بمعنى الإرادة، فقد يتمنى الإنسان أن الله تعالى لم يخلقه، ويتمنى أنه لم يفعل كذا: شيء مضى أمس، ولا يصح أن يريد ذلك. والتمني يكون بمعنى التلاوة: كما في قوله تعالى [إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته] (٦) أي إذا تلا من التلاوة، والإرادة لا تكون بمعنى التلاوة.

قال القرطبي: والاماني أيضاً الأكاذيب، ومنه قول عثمان رضي الله عنه: ما تمنيت منذ أسلمت، أي ما كذبت، وقول بعض العرب لابن دأب - وهو يحدث - أهذا شيء رويته، أم شيء تمنيت - أي افترضته - وبهذا قال ابن عباس ومجاهد (ومنه) أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانياً (٧) أي إلا أكاذيب. وتأتي الاماني بمعنى التقدير يقال: منى له: أي قدر، قاله الجوهري، وحكاه ابن بحر، وانشد قول الشاعر:

لا تآمن وإن أمسيت في حرم
حتى تلاقي ما يعني لك الماني
أي يقدر لك المقدر (٨)

وكذلك هناك فرق بين قوله إني أريد أن أنكحك، وبين قوله إني أشاء أن أنكحك، لأن الإرادة تكون لما يتراخى وقته، ولما لم يتراخ، أي لما يكون فوراً وغير قوري.

أما المشينة فلا تكون إلا لما لا يتراخى وقته، أي للفوري فقط، والدليل على ذلك أنك تقول:

فعلت كذا شاء فلان أو أبى، فيقال بها إياه، وذلك إنما يكون عند محاولة الفعل (٩)

ولم يقل شعيب - عليه السلام - إني قصدت أن أنكحك، لأن قصد القاصد مختص بفعله دون فعل غيره، والإرادة غير مختصة بأحد الفعليين دون الآخر،

وفرق آخر: وهو أن القصد إرادة الفعل في حال إيجاده فقط، وإذا تقدمت الإرادة بأوقات لم يسم قصداً، ألا ترى أنه يصح أن تقول أردت أن أزورك غداً، ولا يصح أن تقول: قصدت أن أزورك غداً (١٠)

وهكذا رأينا أن التعبير القرآني الكريم في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة، كيف لا وهو من الله تعالى.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر

- ١- سورة القصص.
- ٢- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٩٨
- ٣- نفسه
- ٤- المائدة الآية ٣.
- ٥- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري
- ٦- ص ٩٨ وما بعدها.
- ٧- الحج الآية ٥٢.
- ٨- البقرة الآية ٧٨.
- ٩- تفسير القرطبي ٦/٢
- ١٠- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ١٠١.
- ١- نفسه ص ١٠٣.

ابن فارس .. وكتاباه "الصاحبي"



د. د. محمد السيد علي ياسي
عضو المجلس العالمي للغة العربية
- مصر -

المحتوم على أصح الأقوال سنة ٢٩٥هـ، وفي
المحمدية بمدينة الري، ودفن بها مقابل مشهد
القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني،
رحمهما الله رحمة واسعة.
سنة ولادته:

لم تذكر لنا المصادر سنة ولادته على وجه
التحديد، ولكن يمكن القول على وجه التقريب
أنها تدور حول عام ٢٩٢هـ؛ وسندنا في هذا
الاستنتاج ما ورد في معجم الأدباء ١٢ / ٢٢١
تقلاً عن كتاب آمالي ابن فارس، وفي آخره:
قال ابن فارس: حدثني ابن الحسن علي بن
إبراهيم بن سلمه العطار رحمه الله بقزوين في
مسجدهم يوم الأحد منتصف رجب سنة اثنتين
وثلاثين وثلاثمائة.

فإذا كان ابن فارس قد روى عن القطان سنة

نسبه ونشأته (١)،

هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن
محمد بن حبيب الرازي، القزويني -
وأصله من همدان ثم رحل إلى قزوين ثم إلى
زنجان وغيرها.

وسكن الري، وإليهما ينسب الرازي، وهي
نسبة على غير قياس (٢)، وهي مدينة شهيرة
بإيران، جنوب شرق طهران.

كان أبوه: فقيهاً شافعيًا لغويًا روى
عنه أبو الحسين في "مقاييس اللغة"،
وفي "الصاحبي"، وفي "متخير الألفاظ"،
وفي "اللامات".

تلقى أبو الحسين دروسه في قزوين وهمدان
وبغداد، ثم استدعاه فخر الدولة بن بويه إلى
الري ليعلم ابنه مجد الدولة، وهناك أيضاً
حظي الصاحب بن عباد بالتلمذ عليه.

وكان أبو الحسين شافعي المذهب، عارفاً
بالنحو واللغة، وانتقل إلى مذهب مالك في
آخر عمره.

وغلّب على علمه الاهتمام باللغة، وصنف مع
ذلك تصانيف كثيرة في تفسير القرآن والنحو
والتاريخ والفقه.

ظل أبو الحسين في الري حتى وافاه الأجل

٥- أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي (ت ٤٧٧ هـ).

٦- أبو زرعة روح بن محمد أحمد بن محمد بن إسحاق الرازي (ت ٤٢٣ هـ).

أخلاقه :

كان ابن فارس كريماً جواداً، فريماً وهب السائل شايه وفرش بيته ! وكان له صاحب يقال له : أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بالغضبان (أحد تلاميذه).

وسبب تسميته بالغضبان : أنه كان يخدم ابن فارس ويعترض في بعض الأمور الغريبة في نظره!

قال الغضبان : فكنت ربما دخلت فأجد فرش البيت أو بعضه قد وهبه، فأعاتبه على ذلك، وأضجر منه ؛ فيضحك من ذلك، ولا يزول عن عادته، فكنت متى دخلت عليه ووجدت شيئاً من البيت قد ذهب ؛ علمت أنه قد وهبه، فأعبس، وتظهر الكتابة في وجهي، فيبسطني ويقول : ما شأن الغضبان ؟ حتى لصق بي هذا اللقب منه، وإنما كان يمازحني (٦).

وكان أبو فارس عفيفاً متواضعاً شديداً التواضع مع أساتذته، يكشف هذا قوله في آخر (تمام فصيح الكلام) : " هذا آخر ما أردت إثباته في هذا الباب ولم أعن أن أبا العباس قصر عنه لكن المشيخة أثروا الاختصار، وحقاً أقول إن جميع ما

٣٢٢هـ، وافترضنا أن ذلك كان في أول شبابه أي في العشرين من عمره ؛ صبح ما نذهب إليه من أن ابن فارس من مواليد سنة ٣١٢هـ، أو نحوها (٣).

شيوخه :

وأشهر العلماء الذين تلقى على أيديهم ونهل من معينهم (٤) :

١- والده : (فارس بن زكريا) : (ت ٣٦٩ هـ).

٢- علي بن إبراهيم بن سلمه القطان : (ت ٣٤٥ هـ).

٣- علي بن عبد العزيز المكي : (ت ٢٨٦ أو ٢٨٧ هـ).

٤- سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني : (ت ٣٦٠ هـ).

٥- أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري.

تلاميذه :

ويعد أبرز من تتلمذ على يديه وملأوا الدنيا بعده علماء (٥) :

١- صاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ).

٢- بديع الزمان الهمداني (ت ٣٩٨ هـ).

٣- أبو طالب مجد الدولة بن فخر الدولة علي بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي.

٤- أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بالغضبان.

ذكرته من علم أبي العباس جزاه الله عنا
خيراً" (٧).

شاعريته:

إلى جانب قدرات ابن فارس النثرية المتنوعة
المجالات، فقد كان شاعراً أصيلاً، وإنه لمن دواعي
الأسف أن التاريخ لم يحفظ لنا سوى نماذج قليلة
من شعره شأنه شأن الكثيرين ممن غلب جانب من
جوانب شهرته على شاعريتهم الأصلية !

على أن روح السخرية والتندر كانت تبدو في شعره
أوضح ما تبدو ! فقرأه في هزئه يسخر من قيم
مجتمعه الذي يوقر الغني لفناه، ومالك الدرهم
لدرمه فيقول:

يا ليت لي ألف دينار موجبة

وإن حظي منها فلس إفلاس

قالوا :

فمالك منها قلت : يخمني

لها ومن أجلها الحمقى من الناس

وانطلاقاً من قاعدة توقيير الدينار والدرهم : فراه
يقول :

إذا كنت في حاجة مرسلأ

وأنت بها كلف مفرم

فأرسل حكيمأ ولا توصه

وذاك المكيم وهو الدرهم!

كما أن ابن فارس بحكم تجربته المرة قليلة الثقة
بالثقات ! فقرأه يحذرك قائلاً :

اسمع مقالة ناصح

جمع النصيحة والمقة

إياك واحذر أن تبني

ت من الثقات على ثقة

وإبن فارس بحكم أنه قضى حياته قارئاً كاتباً : قد
حجب للذين يرنهم حر الصيف ويرد الشتاء عن

طلب العلم : فقرأه يعبر عن ذلك بقوله :

إذا كنت تأذي بحر المصيف

ويبس الخريف ويرد الشتاء

ويلهيك حسن زمان الربيع

فأخذك للعلم قل لي : متى ؟

هذا : ومن عجب أن ابن فارس أحس بدنو أجله
قبل وفاته بيومين، فتوجه إلى ربه متضرعاً، نبياً،
قائلاً :

يا رب إن دنوبي قد أحطت بها

علماً وبى وبإعلاني وإسراري

أنا الموحد لكلي المقر بها

فهب دنوبي لتوحيددي وإقراري

مكانته العلمية :

يترجمها لنا في إيجاز الثعالبى : إذ يصفه ابن
فارس بأنه : " من أعيان العلم، وأفراد الدهر،
ومجمع إتيان العلماء، وظرف الكتاب والشعراء.
فهو نسيج وحده، أعجوبة من عجائب الفكر
والإمامة في كل ميدان " (٨).

بينما يصفه الذهبي بأنه : " الإمام العلامة، اللغوي
المحدث : كان رأساً في الأدب، بصيراً بفقهاء مالك،
مناظراً متكماً على طريقة أهل الحق، ومذهبه في
النحو على طريقة الكوفيين، جمع إتقان اللغة إلى
ظرف أهل الكتابة والشعر " (٩).

آثاره (١٠) :

لقد خلف ابن فارس لنا العديد من المؤلفات في
شتى ألوان المعرفة :

ففي علم اللغة :

١- المجمل في اللغة : وهو معجم موجز في اللغة
الفصحى مع استبعاد النادر والغريب.

٢- متخير الألفاظ.

٣- مقاييس اللغة.

٤- فقه اللغة : أهاده لتلميذه صاحب بن عباد،



ولهذا يسمى أيضاً كتاب الصاحبى في فقه اللغة
وسنن العرب في كلامها.

٥- كتاب تمام فصيح الكلام : زيادات على كتاب
الفصيح لأبى العباس ثعلب (ت ٢٩١ هـ).

٦- الانتصار لثعلب : لعله رد على منتقدي كتاب
الفصيح.

٧- كتاب الإتياع والمزاوجة.

٨- كتاب الثلاثة في اللغة : في المعاني المترادفة
للألفاظ الثلاثية التي يمكن تقليب أصولها ثلاثة
تقاليب.

٩- ذخائر الكلمات.

١٠- كتاب علل مصنف الغريب : أي علل الغريب
المصنف، وهو في نواحي الضعف في كتاب أبي عبيد
(ت ٢٢٤ هـ).

١١- أمال، فوائد : ويشمل أيضاً ملاحظات عن
اللغويين والنحاة ومسائل في اللغة.

ومن مصنفاة في الاشتقاق والأسماء :

١٢- كتاب اشتقاق أسماء البلدان.

١٣- دارت العرب.

١٤- تفسير أسماء النبي.

وله تأليف مفردة في موضوعات :

١٥- كتاب خلق الإنسان.

١٦- كتاب الفرق (بين الإنسان وغيره من الحيوان
في أشياء من الخلق والخلق).

١٧- كتاب العم والخال.

١٨- كتاب الشيات والحلي.

١٩- كتاب الحجر.

٢٠- كتاب النيروز : ويعرض بعد شرح هذه الكلمات
شرحاً موجزاً للألفاظ التي على زنة فيعول.

٢١- كتاب الليل والنهار.

٢٢- كتاب الأنواء على مذهب العرب.

٢٣- كتاب استعارة أعضاء الإنسان.

وله في لغة القرآن، والحديث، والفقه :

٢٤- جامع التأويل في تفسير القرآن.

٢٥- فوائد ألفاظ القرآن : تفسير المعاني
الجازية لبعض ألفاظ القرآن.

٢٦- مقالة كلا وما جاء منها في كتاب الله.

٢٧- غريب إعراب القرآن.

٢٨- كتاب الإفراء.

٢٩- مأخذ (وربما مأخذ) العلم : ويحتمل أنه

يتعلق بعلوم القرآن والحديث، مثل الباب الأول
الذي يوافقه في التسمية من كتاب " حلية الفقهاء "

٣٠- حلية الفقهاء : يتناول في أبواب عديدة
الأصول اللغوية لاصطلاحات الفقه.

٣١- كتاب فتيا فقيه العرب : وهي طائفة من
مسائل فقهية لغوية على طريقة السؤال والجواب.
وله في أصول الفقه ومناهجه :

٣٢- أصول الفقه.

٣٣- رسالة في الفرائض الأربعة.

٣٤- كتاب التاج.

الصاحبى : لابن فارس

سر تسميته بالصاحبى :

ذكرت مصادر التراجم أنه كانت هناك صلة وثيقة

بين صاحبتنا ابن فارس والصاحب بن عباد :

حيث تتلمذ الأخير على يديه، وكان يكرمه ويقول :
" شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف،
وأمن فيه من التصحيح " (١١).

ويبدو أنه كان من التلامذة النابيين المقربين لابن

فارس فوق مكانته الاجتماعية المرموقة : حيث

كان يناقش أستاذه في كل ما يقول ويكتب، وكان

من ثمار هذه العلاقة الوثيقة كتاب ابن فارس

هذا في فقه اللغة العربية، والذي سماه

الصاحبى " لمكانة تلميذه المرموق " الصاحب بن

عباد " عنده !

يوضح لنا ابن فارس كل هذا في مقدمة كتابه

المذكور قائلاً عنه : " وإنما عنوانته بهذا الاسم

لأنني لما ألفتها أودعته خزانة الصاحب الجليل كافي الكفاة عَمَّرَ الله عراض العلم والأدب والتخير والعدل بطول عمره تجملاً بذلك وتحسناً، إذ كان ما يقبله كافي الكفاة من علم وأدب مرضياً ومقبولاً، وما يردُّه أو ينفية منفيًا مردولاً، ولأن أحسن ما في كتابنا هذا مأخوذ عنه ومقاد منه (١٢).

152

وما لها من الاقتتان تحقيقاً ومجازاً .

في كتاب " فقه اللغة وسر العربية " : لأبي منصور الثعالبي (٣٥٠ - ٤٢٩ هـ) ، وفي كتاب " المزهر " : للسيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ) ، حيث تجد في الأخير أبواباً يرمتها (٢٠) ، أو اختصاراً لبعض الأبواب " (٢١) ..

الهوامش:

١- راجع : إشارة التعيين في تراجم النحاة و اللغويين : لعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، تحقيق الدكتور عبد المجيد دياب، ص ٤٣ وهامشها، الطبعة الأولى، شركة الطباعة العربية السعودية، سنة ١٤٠٦ هـ. وإنهاء الرواة على أنباء النحاة : وهامشها، ط. دار الكتب، سنة ١٣٦٩ هـ. والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة : لجعد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق محمد المصري، ص ٦١، الطبعة الأولى، مطبعة الفيصل، سنة ١٤٠٧ هـ. ومتخير الألفاظ : لأحمد بن فارس، تحقيق وتقديم هلال ناجي، (مقدمة التحقيق) ، ص ٨، ط. مطبعة فضالة، سنة ١٩٦٦ م. وتاريخ التراث العربي : فؤاد سيزكين، ترجمة الدكتور عرفة مصطفى، المجلد الثامن، الجزء الأول، ص ٢٧٧، ط. إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة ١٤٠٨ هـ. ومداخل المؤلفين والأعلام العرب حتى عام ١٢١٥ هـ : تأليف فكري زكي الجزار، الجزء الثالث، ص ١١١٣ وما بعدها، ط. مكتبة الملك فهد الوطنية، سنة ١٤١٥ هـ.

٢- والرازي: نسبة إلى الري، مدينة في بلاد الديلم والرازي زائدة فيها كما زادوها في المروزي عند النسبة إلى مرو الشاهجان. انظر: متخير الألفاظ: ص ٨.

٣- انظر: متخير الألفاظ: ص ٩.

٤- راجع: المصدر السابق: ص ١٤، ١٥.

٥- انظر: نفس المصدر: ص ١٥، ١٦.

٦- راجع: نزهة الألباء: أبو البركات بن الأنباري، ص ٢٢١، ٢٢٢، طبعة حجر.
٧- متخير الألفاظ: ص ١٩، نقلاً عن تمام فصيح الكلام: ص ٢٥.

٨- بتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: لأبي منصور الثعالبي، تحقيق مفيد محمد قمية، ٢/٤٦٣، ط. دار الكتب العلمية ببيروت، سنة ١٤٠٣ هـ.

٩- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: لشمس الدين محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ص ١٠٩، ط. دار الكتاب العربي، سنة ١٤١٥ هـ.

١٠- لمزيد من التفصيل: راجع: تاريخ التراث العربي: المجلد الثامن، ١/ ٣٧٨، ٣٩١. ومتخير الألفاظ: ص ٢٤، ٣٩. الصاحبي: لابن فارس: تحقيق السيد أحمد صقر، (مقدمة التحقيق) ، ص (هـ، ز) ، ط. عيسى البابي الحلبي، د. ت.
١١- انظر معجم الأدباء: ٨٣/٤. ونزهة الألباء: ص ٣٢١ وبغية الوعاة: ١/ ٣٥٢.

١٢- راجع: الصاحبي: ص ٢.

١٣- انظر: مقدمة متخير الألفاظ: ص ٢٦.

١٤- راجع: مقدمة التحقيق من كتاب الصاحبي (ج).

١٥- مقدمة الصاحبي: ص ٢.

١٦- المصدر السابق، ص ٢-٥.

١٧- راجع هذه البحوث في كتاب " الصاحبي " . وانظر: علم اللغة: للدكتور علي عبد الواحد وافي، ص ٧٦ وهامشها.

١٨- مقدمة التحقيق من كتاب الصاحبي (ج).

١٩- مقدمة الصاحبي: ص ٥.

٢٠- انظر: المزهر: ١/ ٦٠٤.

٢١- مقدمة التحقيق من كتاب الصاحبي (د).

عوف بن محلم الخزاعي

عبدالله بن أحمد الشباط

- السعودية -



هذا الأديب الراوي الشاعر قدم إلى بغداد أيام فتنة الأمين والمأمون.. وشاهد سفن طاهر بن الحسين قائد المأمون وهي تمخر عياب الماء وسط دجلة فانطلق لسانه يصور تلك الحراقة التي تسير في الماء فلا يدركها.. فوقف على الجسر وأخذ يترنم بصوت عال:

عجبت لحراقة ابن الحسين

كيف تعموم ولا تفرق

ويحران، من فوقها واحد

وأخر من فوقها مطبق

وأعجب من ذاك عيدانها

وقد مسها كيف لا تورق

لقد عنى بالبحر الذي من فوقها طاهر بن الحسين ويعجب كيف لا تورق الأعواد من مسه لها بيديه الملوثين ندى وبذلاً..

وما أن سمع طاهر بن الحسين هذه الأبيات حتى أشار إلى بعض رجاله لاحضار ذلك الشاعر الذي أبدع في المدح فيحضر إلى الحراقة ويلتقي المادح بالممدوح.. وبعد المحادثة يعجب طاهر بذلك الشاعر الأديب الظريف الذي يحفظ الأخبار والتواريخ والسير فيتخذة خليلاً وسميراً له يناديه ويجالسه ويفضي إليه بأسراره..

ثلاثون عاماً مضت وشاعرنا يحاول الانصراف إلى أهله والعودة إلى وطنه لكن الإعجاب وخالص المودة لا يسمحان لنفس طاهر بن الحسين أن يفرط في مثل هذا الرجل حتى إنه لا يفارقه في سفر ولا حضر.. وعندما مات طاهر بن الحسين ظن عوف أن المقام لم يعد يتسع له.. وأن عليه العود إلى وطنه غير أن حذسه لم يكن في محله فقد حل عبدالله بن طاهر محل أبيه.. فقربه وأنزله منزلته من أبيه وكان كلما قرب منه وأطلع على ألبه وفضله ازداد تمسكاً به.

وبعد أن سارت الأمور في مجراها الطبيعي بالنسبة لعبدالله بن طاهر خرج من بغداد قاصداً خراسان.. وكان من الضروري سفر عوف معه يسامره ويحادثه.. فسيار الموكب حتى دنا من الري.. فلما قرب منها سمع عبدالله عندليباً يغرد فأعجب بصوته وقال: ها ابن مطمح هل سمعت أشجى من هذا الصوت وأطرب منه؟.. فقال: لا والله أيها الأمير.. وإنه لحسن الصوت شجى النعمة.. مطرب التغريد.. وكان عبدالله قد أدرك بفطنته ما يعتمل في قلب عوف من الحبين إلى وطنه خاصة وأنه بلغ الثمانين من العمر.. فزاد أن يعطيه فرصة يستأنن بها في الرجوع لبلاده.. فقال: قاتل الله أبا كبير حيث يقول:

ألا يا حمام الأيك إلك حاضِر

وغصنك مباد فقيم تنوح

أفأ لا تنح من غير شيء فأننى

بكيت زمانا والفؤاد صحيح

وكوعاً فشطت دار زينب

فها أنا أبكي والفؤاد قريع

فقال عوف: أحسن والله أبو كبير وأجاد.. ولقد كان في الهذليين أصلح الله الأمير مائة وثلاثون شاعراً ما فيهم إلا مغلق وما فيهم مثل أبي كبير فإنه كان يبدع في شعره ويفهم آخر قوله وأوله..

وما شيء أبلى في الشعر من الإبداع فيه.. وهنا كان لابد من الامتحان الذي يعطى عوف الضوء الأخضر للاستئذان.. فقال عبدالله: أقسمت عليك ألا أخبرت شعر أبا كبير.. فقال: أصلح الله الأمير لقد كبر سنى وفنى ذهني وانكرت كل ما كنت أعرفه.

فقال عبدالله: سألتك بحق طاهر ألا قعلت؟..

لقد كانت فرصة مواتية لأن يعبر عما يريده إلا أنه فضل التريث والتردد والمراوغة حتى يتحرى العزيمة الصادقة الجد..



١٣٦

لقد كان طلب عبدالله وسؤاله بحق طاهر جاء
كل الجد... وهو لا يستطيع إلا الاستجابة لما طاهر
في قلبه من محبة وذكرى حسنة.. فقال:
أفي كل عام غربة وتزوج
أما للنوى من ذنية فيريح
لقد طلع البين المشت ركاتبي
فهل أرين البين وهو طليح
وأرقني بالرى نوح حمامة
فنحت ونو البث الغريب ينوح
على أنها ناحت ولم تتر دمة
ونحت وأسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما
ومن دون أفرأى مهامه فيح
ألا يا حمام الأيك إلك حاضر
وغصنك مباد فليم تنوح
عسى جور عبدالله أن يعكس النوى
فيلقى عصا التطواف وهي طريق
فإن الفتى يئني الفتى من صديقه
وعدم الفتى بالمقبرين طروح

وما أن أتمها حتى لس عبدالله تلك المعاناة التي
يعيش عوف جحيمها فلم يملك أن يمنع دمة
انحدرت على خده من شدة التأثر من ذلك النواح
الكتوم الذي انطلق من صدر الشاعر.. فأعطاه الإذن
بالعودة إلى أهله ووصله بثلاثين ألف دينار.. وقال له:
والله إني لضنين بمفارقتك شحيح على الفائت من
محاضرتك.. ولكن والله ما عملت معي وإن أودعك إلا
راجعاً إلى أهلك.. ولم يكن موقف الشاعر بأقل من
موقف الأمير فكلهما ضنين بصاحبه لولا الحنين
إلى الأهل والوطن.. وكان لابد أن يخرج بعثر يوضح
من خلاله موقفه وسبب طلبه العودة.. فقال:
ما بين الذي دان له المشرقان
والبس الأمن به المشرقيان

إن الثمانين وبلغتها قد
أصوجت سمعى إلى ترجمان
وأبدلتني بالشطاط انحنأ
وكنث كالصعدة تحت الأسنان
وقاربت منى خطى لم تكن
مقاربات وثنت من عنان
فتشلت بيني وبين الورى
عنانه من غير نسج العنان
ولم تدع في لمستمتع
إلا لسانى وبحسبي اللسان
أدعو به الله وأثني على
صنع الأمير المصعبى الهجان
وهمت بالأوطان وجدا بها
لا بالفوانى أين منى الفوان
فقرباني بأبي أنتما
من وطني قبل اصفرار البنان
وقبل منعائى إلى نسوة
أوطانها حران والرقتان

لقد قال هذه الأبيات مودعا وشاكراً للأمير
حسن صنيعة.. ثم يتجهز ويسير قاصدا
الشام لكن هل تراه يبلغ مقصده؟ هل يرى
النسوان اللواتي أشار إليهن في تلك
الأبيات؟
لقد كان له الأجل بالمرصدا فمات في الطريق
سنة ٢٢٠هـ عن عمر يناهز الثمانين أو يتوفى
عليها.. وتطوى صفحة أديب من أدباء العرب عاش
ومات على هامش التاريخ.

المراجع:

- معجم الأدباء ١٦: ١٣٩
- فوات الوفيات ٢: ١٦٢

لهزي إليك بظلي...

جبران خليل جبران - النعمانية

لهزي إليك بظلي والخشوع في وجهي
 والتمسك بي في الضيق والفتور
 والحي تقاسمي الحزن التي زعمت
 في خلعة فيك من عيني من خسر
 فتدركني في حزنك من شدة
 ولا ألقاك في سحر من سحر
 منسدة في سحر الذي لا يحد
 ولادتي أحسن في الأولى ولا أجلى
 من لا يحد في سحر الذي لا يحد
 من أحسن ولا أسعد من جدي
 كما يحد في سحر الذي لا يحد
 تقاسم في سحر الذي لا يحد
 هل يعطش الغيم إلا في سماءك كما
 منسدة في سحر الذي لا يحد
 من سحر الذي لا يحد
 من سحر الذي لا يحد
 من سحر الذي لا يحد
 من سحر الذي لا يحد

يُعد الشيخ عبدالعزيز التويجري ظاهرة فريدة ومتميزة في الحركة الثقافية والأدبية في المملكة العربية السعودية، إضافة إلى شهرته وذيوعه كرجل من رجالات الإدارة السعودية التي تدرج فيها حتى وصل إلى منصب نائب رئيس الحرس الوطني المساعد.

ولد عبدالعزيز التويجري في جنوة سدير العام ١٣٣٦هـ، وعاش طفولته في كنف ورعاية والده، الذي لم يمهل القدر طويلاً إذ توفي وهو غائد من رحلة علاج في البحرين عام ١٣٤٦هـ. فتأثر الابن بوفاة والده وهو لا يزال صغيراً فقال (اليتيم الموحج أثر في حياتي وعجزت عن احتماله أو تفهمه آنذاك).

عاش عبدالعزيز التويجري سنوات طفولته في حوطة بسدير الواقعة جنوب المجمعة وكان يميل إلى العزلة مع أنه تشكلت له بغض الصداقات مع عدد من أبناء بلدته الذين زاملوه في الكتاب.

وبعد سنوات انتقل الطفل إلى المجمعة ليعيش في كنف أخيه الأكبر حمد الذي كان مديراً المالية بالمجموعة وسدير والزلفي وهناك عمل الشاب عبدالعزيز مع أخيه حمد في إدارة بيت المال ورعاية شؤون الأسرة.

عبدالعزیز التویجری..

رجل الإدارة والأدب.. في ذمة الله



بداياته مع الثقافة والأدب،

كان لعبدالعزیز التويجري الشاب موقفاً قاده الظروف إليه دونما تخطيط أو موعيد مضروب كان له الأثر الأبرز في حياته الثقافية والأدبية، إذ بينما هو يسير في أحد أودية المجعة أثناء إقامته بها تنامى إلى سمعته صوت رجل مسن حكيم يرند قول المتنبي:

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً.. وحسب المنايا أن يكن أمانيا

فوقف الشاب وأدار حواراً طويلاً مع الشيخ الحكيم، فعرفه المتنبي وبأبي العلاء المعري، اللذين يسمع بهما الشاب لأول مرة في حياته، فسأله عنهما فأجاباه الشيخ بما أسره ويما وجهه إلى عالم آخر أوسع من عالم القرية آنذاك.

ومنذ ذلك الوقت لا يزال حواراه قائماً مع المتنبي والمعري، وقد وثق حواراته معهما بكتابه الشهيرين (في أثر المتنبي بين اليمامة والدهناء) و(أبا العلاء: ضجر الركب من غناء الطريق).

يقول التويجري عن ذلك الشيخ المسن الحكيم (لا أستبعد أن الشيخ في اختياره ذلك المكان المعزول في واد صغير مجاور لمقبرة قديمة، أراد أن يخلق لنفسه عالماً خاصاً يؤنس في غريته الروحية والفكرية، استنتجت ذلك من أول صوت سمعته منه، ونظرتي تلاقت مع نظرتة وهو ينشد بصوت رفيع: كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً).

بعد هذا اللقاء انطلق عبدالعزیز التويجري إلى آفاق واسعة في الثقافة فأخذ يعلم نفسه بنفسه، ويقرأ كثيراً، حتى اشتد أمره وأصبح أحد متعلمي بلدته ومثقفها.

رئاسته لمالية المجعة والزلفى وسدير

في العام ١٣٥٧هـ فكر الشاب عبدالعزیز التويجري في توجيه خطاب إلى الملك عبدالعزیز يطلب فيه عطفه وتوجيهه، فيم وجهه شطر الرياض وحظي

«اليتّم الموجد أثر في حياتي وعجزت عن احتماله أو تفهمه آنذاك».. التويجري

الشاب الطموح لبقاء مليكه وسيده، الذي أبرق لمحمد التويجري مخبراً إياه بتعيينه مديراً لمالية القصيم وتعيين أخيه عبدالعزیز بدلاً عنه في رئاسة مالية المجعة والزلفى وسدير فكان أن ذهب حمد إلى القصيم وتسلم الشاب عبدالعزیز أولى مهامه في عالم الإدارة السعودية.

طيلة الفترة من عام ١٣٥٧هـ إلى عام ١٣٨١هـ ظل عبدالعزیز التويجري في المجعة يدير مالياتها وما ارتبط بها من مدن وقرى.

رحلته مع الحرس الوطني،

بعد مرور ٢٤ عاماً من العمل في رئاسة بيت المال في المجعة والزلفى وسدير، وبعد ما حققه التويجري من حسن إدارة ومن صيت طيب وسمعة حسنة لدى ولاة أمره وبين الناس، انتقل إلى الرياض للعمل في الحرس الوطني وكيلاً لسمو رئيسه الأمير سعود بن سعود بن عبدالعزیز.

ويانتقاله إلى الرياض غابر المجعة، حيث ذكريات الطفولة وأحلام الشباب القامر غير أنها كانت ولا تزال لديه من أجمل الذكريات وأرجبها في نفسه.

يقول عنها ويشي من الحزن: (هي اليوم تلتقي بي وأنا على آخر عتبات سلم الحياة، ولقاء كهذا يرمي بالحجر الثقيل في أعماق النفس فتتفجر بالأحزان وتشق طريقها إلى قيعان الذات التي أمضيت، واتساعاً مع نفسي: هل صحيح أن الحياة مرت بنا على هذه الطريق الطويلة من الذكريات دون أن نشعر بها إلا حين أكل الصيف أيام الربيع عتينا؟).

الأب الروحي للجنادرية،

في الحرس الوطني عمل عبدالعزيز التويجري بكل جد وإخلاص في إدارة هذه المؤسسة العسكرية، فكان أحد بُنائتها الذين أرسوا دعائمها، وكان أحد الذين وقفوا خلف مساهمتها في العمل الثقافي من خلال مهرجاناتها الكبيرة (الجنادرية) الذي أسس للحوار الثقافي بين مثقفي الوطن العربي بمختلف أفكارهم وتوجهاتهم، وكان (الأب الروحي) لمهرجان الجنادرية للثقافة والتراث إذ نجح في خلق (توأمة) رائعة بين التاريخ والتراث من جهة، وبين منجزات الحاضر وإبداعاته من جهة أخرى.

كما ارتبط الشيخ عبدالعزيز التويجري بجسور قوية من الصداقات مع العديد من الرموز الثقافية في الوطن العربي، وتواصل معهم عبر الكلمة المكتوبة والمسموعة، فكانت معظم هذه الصداقات رافداً مهما لإثراء مهرجان الجنادرية كل عام، فكراً وشعراً وفناً. فالشيخ عبدالعزيز التويجري يعد الجسر الثقافي الكبير الذي يربط الثقافة السعودية بالثقافة العربية والعالمية.. إنه رمز التواصل الثقافي بين المثقف العربي والمثقف السعودي.

مؤلفات التويجري،

يتمتع التويجري بثقافة عريضة ويحتفظ بوثائق تاريخية ذات أهمية، ظل يجمعها عن تاريخ وملحة البطل عبدالعزيز الذي عشقه وأحبه، فاستولى على تفكيره واهتمامه. لكن ورغم ذلك، فقد تأخر ظهور التويجري مؤلفاً، إذ أصدر كتابه الأدبي الأول (في أثر المتنبّي بين اليمامة والدمهاء) بعد أن تجاوز الستين، وأصدر كتابه التاريخي الوثائقي الأول (سراة الليل هتف الصباح) بعد أن شارف على الثمانين، وما بين الكتابين وبعدهما توالى المؤلفات، التي غلب عليها الطابع الأدبي والفلسفي والوجداني، والتي بلغت خمسة عشر مؤلفاً، تزين المكتبة العربية، بأسلوب صاحبها ومنهجه التميز الفريد.

التويجري .. يعد الجسر الثقافي الذي يربط الثقافة السعودية بالثقافة العربية والعالمية

ومن أهم مؤلفاته:

- في أثر المتنبّي بين اليمامة والدمهاء.
- عند الصباح حمد القوم السرى.
- أبا العلاء.. فصر الركب من غناء الطريق.
- ذكريات وأحاسيس نامت على عضد الزمن.
- لسراة الليل هتف الصباح.
- رسائل خُفّت عليها الضياح.
- منازل الأحلام الجميلة.
- حتى لا يصيبنا الدوار.
- حاطب ليل ضجر.

ويعد..

فلقد عُرف عن الشيخ عبدالعزيز التويجري تواضعه الجم وإنسانيته المفرطة، وحب للأصدقاء غامر، مع حسن أدب وثقافة شمولية، جعلت منه كل هذه الأشياء، صديقاً مقرباً لأغلب المثقفين العرب باختلاف آرائهم وتوجهاتهم، أولئك الذين أنسوا به وأنس بهم، ناقشوه وناقشهم، راسلوه وراسلهم، وُجِّع الكثير من السعوديين والمثقفين العرب على ما كان يتمتع به الشيخ التويجري من حرص على قضاء حوائج الناس والعمل على إنقاذها.

وفاته:

بعد رحلة طويلة قاربت القرن وشارفت عليه، أمضى منها سبعين عاماً في خدمة وطنه ومليك انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ عبدالعزيز التويجري يوم الأحد الموافق ٢٤ جمادى الأولى ١٤٢٨هـ. تغمّد الله الفقيد بواسع رحمته وغفر الله لنا وله وألهم ذويّه ومخيه الصبر والسلوان، (وإنّا لله وإنّا إليه راجعون).



١٤٠



نازك الملائكة.. في ذمة الله

الحر في الأدب العربي، غير أن نازك الملائكة نفسها أوضحت في الطبعة الخامسة من كتابها "قضايا الشعر المعاصر" أن قصيدتها (الكوليرا) لم تكن الشعر الحر الأول بل هناك من سبقها عام ١٩٣٢م.

آثارها،

للشاعرة مجموعات شعرية منها،

- عاشقة الليل صدر عام ١٩٤٧م.

- شظايا ورماد صدر عام ١٩٤٩م.

- قرارة الموجة صدر عام ١٩٥٧م.

- شجرة القمر صدر عام ١٩٦٥م.

- مأساة الحياة وأغنية للإنسان صدر عام

١٩٧٧م.

بالإضافة إلى الأعمال الكاملة - مجلدان -

طبع عدة طبعات ولها من الكتب،

- قضايا الشعر المعاصر.

- التجزئية في المجتمع العربي.

- الصومعة والشرقة الحمراء.

- سيكولوجية الشعر.

كتبت عنها دراسات عديدة ورسائل جامعية

متعددة في الكثير من الجامعات العربية

والغربية.

ويذكر أن وفاتها كانت في ٦ جمادى الآخرة

١٤٢٨هـ / الموافق ٢١ يونيو ٢٠٠٧م رحم الله

الفقيدة، وغفر لنا ولها.

(إنا لله وإنا إليه راجعون).

توفيت الشاعرة العراقية نازك الملائكة - التي كانت تقيم في القاهرة - عن عمر ناهز ٨٤ عاماً.

ولدت الشاعرة نازك الملائكة في بغداد في الثامن والعشرين من أغسطس عام ١٩٢٣م.

ونشأت في بيت علم وأدب، في رعاية أمها الشاعرة سلمى عبدالرزاق وأبيها الأديب الباحث صادق الملائكة، فتربت على الدعة وهينت لها أسباب الثقافة.. وما أن أكملت دراستها الثانوية حتى انتقلت إلى دار المعلمين العالية وتخرجت فيها عام ١٩٤٢م، ثم توجهت إلى الولايات المتحدة الأمريكية للاستزادة من معين اللغة الإنجليزية وآدابها عام ١٩٥٠م.

وفي عام ١٩٥٩م حصلت على شهادة الماجستير في الأدب المقارن من جامعة وسكونسن في أمريكا وعينت أستاذة في جامعة بغداد وجامعة البصرة ثم جامعة الكويت.

كانت تجيد من اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية واللاتينية.

مثلت العراق في مؤتمر الأدباء العرب المنعقد في بغداد عام ١٩٦٥م ويعتقد الكثيرون أن نازك هي أول من كتب الشعر الحر في عام ١٩٤٧م ويعتبر البعض قصيدتها (الكوليرا) - التي تصور فيها تعاطفها مع ضحايا مرض الكوليرا الذي حصد الأرواح في الريف المصري في ذلك الوقت - من أوائل الشعر

رحم الله عبد العزيز محمددين



أ.د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري

قناة السويس، وجاءنا القبول جميعنا من جامعات مختلفة وساعدنا على ذلك ما حصلنا عليه من توصيات من أساتذتنا في جامعة القاهرة من أمثال الدكتور شوقي ضيف والأستاذة الدكتورة سهير القلعاوي والأستاذ الدكتور يوسف خليف وغيرهم رحمهم الله، ذهبنا إلى بريطانيا وبعد خمس سنوات عدنا جميعنا في سنة واحدة وكان في استقبالنا صديقنا القديم عبدالعزيز محمددين، أما العملاقة الآخرون من أعضاء هيئة التدريس فلم يبق منهم أحد إذ تغير الجهاز بكامله وتغيرت الأوجه والجنسيات ولم يبق من ذلك الرعيل الأول إلا "محمددين".

كان عبدالعزيز محمددين هو من يحمل القبة الأكبر في أعمال الامتحانات في نهاية العام عندما كان النظام الدراسي سنوياً، فكانت تجهز إحدى الغرف الكبيرة وتكون لجان للأرقام السرية وتوضع على أوراق الإجابة وتطبع الأسئلة على صفحات الشمع ثم تسحب وتوضع في أطراف ويكون وقتها الشمع الأحمر ساخناً فيوضع الشمع على مطاريف الأسئلة وتختتم بختم الكلية وتوضع في صندوق خاص ثم يجري الامتحان

وأنا في طريقي للمسجد لأداء صلاة الجمعة يوم السادس من جمادي الثانية ١٤٢٨هـ الموافق ٢٢ يونيو ٢٠٠٧م، واصلتني رسالة على الجوال وإذا الرسالة تنعى صديقاً حميماً من أعز أصدقائي، إنه الأستاذ عبدالعزيز أمين محمددين، فكانت مناسبة خيرة أن أدعو له خلال الصلاة وبعدها بالمغفرة. لقد كان الخبر فرصة للتأمل في هذه الحياة فقد طوت وفاته رحمه الله صفحة مدامها أكثر من أربعين عاماً بل أكثر من خمسين عاماً قضاها في خدمة جامعة الملك سعود منذ نشأتها.

عندما عدنا من جامعة القاهرة بالليسانس نحن الذين تخرجنا سنة ١٣٨٠هـ، وكنا زمرة قرابة خمس من الشباب الطموح وعيناً في قسم اللغة العربية معيين فوجدنا بطائفة من العلماء في أروقة الجامعة ومنهم الأستاذ الكبير مصطفى السقا والأستاذ الدكتور أحمد العدوي والأستاذ الدكتور أحمد الحوفي والأستاذ الدكتور القيرواي أستاذ الصيدلة الذي كان من أصحاب الردود على الأستاذ الدكتور طه حسين في قضية الأدب الجاهلي، والأستاذ الدكتور محمود الصياد والأستاذ الجبار والأستاذ محمددين. كنا نجل هؤلاء الفضائل الذين كنا نسمع عنهم دون أن نقتررب منهم وما نحن نجدهم أماناً وجهاً لوجه، وكان أقربهم إلينا في السن والتفكير الأستاذ محمددين، وكان قد حصل على دبلوم من بريطانيا في اللغة الإنجليزية بعد الليسانس من الجامعة، فوجدناها فرصة سانحة لكي يساعدنا في الكتابة إلى الجامعات البريطانية للحصول على قبول منها.

ولم يفكر أحد منا آنذاك أن نتقدم إلى الجامعات الأمريكية لأن بريطانيا في تلك الفترة كانت هي المسيطرة فكرياً وثقافياً على المنطقة، وإن كانت شمسها بدأت تغيب بعد العدوان الثلاثي، من شرق



من اليمين إلى اليسار من قسم اللغة الإنجليزي أ. حسين الجبار وأ. عبدالعزيز محمددين والمعيد عزت خطاب ومن قسم اللغة العربية د. أحمد الجوهري ود. محمد جابر الجبيني وعميد الكلية أ. مصطفى السقا ومن قسم الجغرافيا د. محمود الصياد ومن قسم التاريخ د. عبد الفتى رمضان

معه إن تسرب شيء عن الامتحان.. وتظهر النتائج بسلام ويقف الأستاذ عبدالعزيز محمددين من تلك المعركة وكأنه كان في غيبوبة.

كان عبدالعزيز محمددين أميناً في تعامله مع الجميع، لا يجامل ولا يمالئ، يحب الجميع، ويصادق الجميع، ويساعد الجميع، ويتعاطف مع الجميع، وعاش هكذا خلال النظام السنوي. وعندما تحولت الجامعة إلى نظام الساعات وبخل الحاسب الآلي كان ذلك رجعة للجميع، إذ انتقل الضغط جزئياً إلى إدارة مشيوي القبول والتسجيل وأصبح العمل في الكليات أكثر انفتاحاً وانتهى عهد الأرقام السبئية وأصبح للمدرس دوره في إظهار النتائج وأصبحت إدارة الامتحان في عهدة كل قسم. ولكن محمددين استمر ذلك الشخص المحبوب من الجميع إذ إنه يمثل ذاكرة الكلية في كل موضوع تقريباً وما أكثر ما تسمع من يقول: إسألوا محمددين، قرابة خمسين عاماً كان عبدالعزيز محمددين محل تقدير الجميع ومحبتهم وكان أبنياً عفيفاً صادقاً معطاءً. رحم الله أبا وائل وعزائني لأسرته الكريمة ولكل من تعامل معه من طلاب وأساتذة في أقسام كلية الآداب وفي إدارة جامعة الملك سعود.

وتصنع الأوراق تحت الأرقام السرية ثم تكون لجان لتفريغ النتائج من أربعة أعضاء لكل مادة. اثنا عشر منهم يملئون الدرجات وبعد الانتهاء يقوم الآخرين بمراجعة ما سجل. ثم تكشف الأرقام السرية وتظهر درجات كل طالب فيعاد تبييضها بالطريقة نفسها التي نسخت بها أولاً. وهكذا في كل مادة وبذلك يمكن أن نتصور مدى الجهد الذي كان يبذل والضغط الزمني والنفسي التي يلاقيها العاملون في الكنترول (غرفة لجان الامتحان) إذ نجد الطلاب على أعصابهم يحومون في ممرات الكلية ويحاولون استراق السمع.. والأساتذة يستعجلون لإجازاتهم.. والإدارة تستعجل لجان الامتحان ليوقع العميد أو مدير الجامعة النتائج.

كان قطب الرحي في كل ذلك الأستاذ عبدالعزيز محمددين وقد وضعت فيه كل الثقة من الجميع، فهو الذي يشرف على وضع الامتحانات وتحديد الغرض وتلقي الأسئلة للدورين الأول والثاني ووضع الأرقام السرية وكتابة كشوف النتائج، ولذا كان من المستحيل أن تستطيع التحدث معه لأنه كان غارقاً لأننية في كل هذه المسئوليات الجسام وويل له ولبن

ذو العصف والريحان

علي خضران القرني - الطائف

- ليس غريباً أن يكون المهندس الميكانيكي.. أو
التقني الصناعي.. أو أي تخصص آخر.. شاعراً
ملهماً يتفنن بروائع القصيد.. ويسمع الملائح
النشيد.. يشنف بالحناءه الأذان.. ويستترعي بها
الانتباه؟

- نعم ليس غريب ذلك فموهبة الشعر تواكب مسيرة
الإنسان منذ نشأته الأولى.. وتستمر طيلة مراحل
نموه، لتصبح جزءاً من كيانه.. وسلوى ترافقه في حله
وترحاله.

- وقد برز ببلادنا العديد من الشعراء من ذوي
الاختصاصات

سائلة الذكر كما

في غيرها من

يلدان العالم..

أمثال الشاعر:

جاسم محمد الصحيح

في المنطقة الشرقية..

والدكتور بهاء حسين

عزي في المنطقة الغربية

(جدة) ومحمد إبراهيم

يعقوب في المنطقة الجنوبية

قراءة في ديوان (ذو العصف والريحان)

للشاعر د. بهاء حسين عزي

الطبعة الأولى

ذو
العصف
والريحان

بعض
القصائد من ديوان

مطبوعات نادي الطائف الأدبي
الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

ذو
العصف
والريحان

١٤٤

(إجازان) وغيرهم كثر.

- ساكون هذه المرة ضيفاً في رحاب ديوان جديد: بعنوان (نو العصف والريحان) للشاعر الدكتور بهاء حسين عزي.. صدر عن نادي الطائف الأدبي عام ١٤٢٣هـ في ٢٩٧ صفحة من القطع المتوسط.. احتوى على (٢٤) قصيدة وقطعة من الشعر العربي الفصيح.. في أغراض شعرية متعددة الجوانب.

- وصاحب هذا الديوان أحد خريجي مدرسة الخليل بن أحمد وأحد تلامذتها النجباء.. امتطى جياذ الشعر فكان فارساً في ميدانه الربح.. ماهراً في فنونه.. خبيراً في بحوره.. ملماً بأسرار قوافيه.

- يفتتح الشاعر قصائد ديوانه بقصيدة عنوانها "أمة العرب" ص ١٩ عن الوضع العربي بشكله العام يناجيهِ ككل وهي ليست للنواح والتشكي.. بقدر ما هي صورة ثبتها واقع الحال وبها يسهم الشاعر في التبيان والإيضاح:

أمة العرب هل دهاك الزمان

ودنا منك للمشيب أوان

فتداجيك حالكات الليالي

وتبليك فرقة وهوان

وبرتك العواصف الهوج برياً

طاغيات يهيجها الطغيان

وغريب يجول حولك ذنباً

ودخيل كأنه الفيلان

أمة العرب هل تنبته يوماً

للدواهي وكم بها يستهان؟

فبك نور وفبك آيات وحى

قلم العزة التي لا تضان؟

- ولم يشار الشاعر لأمة

العربية.. يصف حالها ويذكرها

بأمجادها فحسب.. بل أرسل

قضاياه من بلاد الإسلام.. بلاد

الطهر والإيمان.. يهذي من روع

الأمهات المكومات.. أمهات

الشهداء من أبناء فلسطين

من استشهدوا ويستشهدون

بين عشية وضحاها من قبل

الصهيونية التي عاثت في

أرضها جوراً وظلماً وبهتاناً..

وانتقاماً يوضيحين بالصبر

والاحتساب فالصبر مفتاح

الفرج وفي قصيدته (٢٧)

تجسيد لذلك.

يا قدس مرعى لمن يهدي أشعاراً

وألف مرعى لمن أهدتك مغوارا

تلقفته حنانا حين مولده

وودعته شهيداً حينما سارا

رخص النفس يزججها للحمة

وما تردد يهدي الروح جبارا

له در شهيد لم يغر بهم

فهب يفديك يا قدس وما حارا

له در شهيدات بذلن صبا

فأين من بذلن الحسن مقدارا

وفي قصيدة بعنوان (أنا

القدس.. فبالى أين؟) ص (٢٩)

يوجه الشاعر قصيدة على لسان

القدس: تنادى بها أهلها تذكرهم

بها ويشهدانها ويصمودها

وترسم لهم ما ينبغي عليهم

تجاهها. وبها يؤكد الشاعر أن

القدس ثالث الحرمين الشريفين

ومسرى نبي الهدى والرحمة

سيدنا محمد بن عبدالله عليه

الصلاة والسلام لن ينسى، فهو

في قلب ووجدان كل عربي

ومسلم من المحيط إلى الخليج..

وسياتي بإذن الله اليوم الذي

سيتم تطهيره من أردان الغابثين

الفاصبين المحتلين وتحرير أرض

فلسطين الجريحة الصامدة

المجاهدة طال الزمن أم قصر؟

عجبت وما لعجي ما يزيل

سوى أمل يقلل أو يطيل

أحاوره الليالي في أمور

وأسأله فيحرسه الذهول

كلانا حار في فهم الأحاجي

وما فهم علينا يستحيل

ينادي على شرقي نحيب

ويهتف بي على غربي عويل

فحرت لأي درب سوف أمضي
وحملي من مغارمه ثقیل

- ويستلهم الشاعر مسيرة البطل
المؤسس الملك عبدالعزيز- طيب
الله ثراه- موحد الجزيرة وجامع
شمّلها على الحق والعدل والهدى
والخير والإخاء..

- مشيراً إلى الإرث الذي تركه
لأبنائه وأمه من بعده سواء
ما تعلق بالمسؤولية القومية
أو الوطنية والتنموية
البشرية والاقتصادية
والصناعية.. وفي قصيدته
ص(٥٧) ما يؤكد ذلك.

نادتني البید والأجبال من رفق
ونابت المدن تشكو الجور والنسبا
والبحر نادت على أمواجه سفن
تشكو قراصنة أوسعنها سلبا
فكيف يحلو الكرى في محنة رسخت
سبيل إجلانها فكر وسل ظبا
فهب عزمي وحولي فتية صدقت
عهد الإله فكنا جيشه اللجبا
الله وفقني والحزم أوسع لي
وشب عزمي دماء حرة لهبا
عبدالعزيز أنا والعز لي حسب

قد نلتها كابرأ عن كابر نسبيا
لا تسأل الكتب وانظر ما بنته يدي
فليس من فعلها فعل هوى ونبا

- وتهز الغيرة مشاعر الشاعر
حسرة على العلماء العرب

المهاجرين إلى بلدان أخرى حيث
يتوفر فيها المناخ الذي يساعدهم
على البروز في مجالاتهم.. بينما
الأولى أن توفر لهم بلدانهم
المناخات التي تضمن لهم البقاء
لخدمة أوطانهم وعدم مغادرتها..
وهي ظاهرة ملموسة مع الأسف
كان ينبغي علاجها وعدم التهاون
بها وعن هذا نرى الشاعر يتفاعل
مع ذلك بقصيدة عنوانها (من
مذكرات عالم عربي مهاجر)
ص(٩٧).

شغلت بقومي طول ليلي وفي يومي
شغلت بهذا الحب يحفزني علمي
فيحفزني في الصبح نوراً أشعه
وإن طاب نومي هب للحفز في الحلم
رأيت كاتني البحر عمقاً وموجة
يدل على قدر العزيمة والزمخ
ولبحر غوامس على الصدف الذي
بلؤلئه المكنون يغريه باللم
رأيت كاتني أنثر الدر مبهراً
فيغنمه قوم ويفغله قومي
وما أغفلوا إلا الذي عز مثله
لدى الصانع الجوال بالجوهر الوهمي

- ولم يقف زورق الشاعر عند
هموم الحياة.. وقضايا أمته بل
أخذ يجول في شطآن
الوجدانيات والعواطف يتناغم
معها عبر معارف أخاذة شجية
الألحان والروى الصالحة وفي

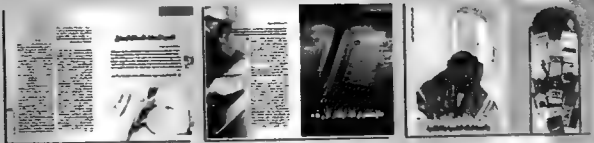
أنشودة الأحداق ص(١٠٩)
تلمس ذلك.

مالي وعزفي على مزمار داوود
مالي وشديدي لدى أحداقها السود
أحداق ملهمة ترنو للمهمها
جديدها الحث والإبداع تجديدي
مالي إذا خلقتها صدت جفلات أسي
وإن رنت تحتقي، عاودت تقريدي
فهل أنا مسرف في عشق غانية
أخالها كالهما في العين والجيد؟
هي التي تزدهي من صنعة حفلت
في كل طرس بأقوال وتجويد
يسمو بها الحس أن أهديتها درراً
من القريض الذي يهدى لأملود

- وإضافة إلى محتوى الديوان
من قصائد القوميات والوطنيات
والغزليات وسرى الهوى إلى
المدن فقد حفل الديوان بالعديد
من قصائد الإخوانيات
والرثائيات.

- والحق أن الشاعر قد أمتعنا
بشعره الجزل الرصين وتنقل بنا
عبر أجواء حاملة أخاذة، تهتز لها
المشاعر وتتفاعل معها الأحاسيس
ولا غربة فالشعر (ديوان العرب).

- وقديماً قيل:
إذا الشعر لم يهزرك عند سماعه
فليس خليفاً أن يقال له شعر



ترقبوا

كشاف حال المنهل الشامل

على (CD)

وسيكون متوفرا لمن يرغب
في اقتنائه من الباحثين والقراء



حال المنهل

مجلة الآداب والعلوم والثقافة

مع تحيات .. إدارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي (جدة) رمز بريدي ٢١٤٦١ - ص. ب ٢٩٢٥

هاتف: ٦٤٣٢١٢٤ - فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣

البريد الإلكتروني: E-mail: info@al-manhalmagazine.com

عنوان الموقع: WWW. al-manhalmagazine.com

من تداعيات أزمة الحقد...

صداع يسترسل... ضوضاء انخرم عقالها كما العادة، فانتشرت
مقتحمة عوالم وكيانات كل الساكنة... شجارات في الشوارع لا
تنتهي... واحتفال رعاة في أحد الشقق... و حلقات من مسلسل
العنف العائلي تتبعث من شقة لأخرى...

صقيع... والغربة... سيل جارف... ويحطم كل العلاقات في هذا البلد
البعيد... البعيد... البعيد...

عند كل منعطف وفي كل حين... الوجه الأربعيني ذاته... النظارة
والعنان الزرقاوان... الشعر الأشقر الذي يقالب بعض
المياض... والتجاعيد المبتدئة الأخذة في الانتشار...

حتى في رحاب الكلية نفس النظرات... المدينة حتى النخاع... ونفس
الابتسامة تصطنعها هي، لا يداخلها اليأس... إلا لما... حينما
تخلو... فيأخذها الفكر إلى فضاء التساؤل الرحب المترامي الأطراف...
لم تتوان... في إظهار المودة مذ جاورتها... لكن... همدود... نفور...
وتجتاحها الرغبة في التواصل متلججة مجددا كلما كان اللقاء...

انفتح باب المصعد... سياب... وإذا لعاب يتناثر... سياب... اشمرأز
يتفاقم... والابتسامة مستقرة على محياها... والوجه المتفغن مصير على
الازدراء... حمولة غف أمن اندلقت لتتكالب على الباب... وصوت
ارتطام... سياب عوض الصمت القاتل كان ينطلق مراراً ومرات لينضم إلى
مزيج الأصوات المنبعثة من المحيط... وهذه المرة كانت هي كبش القاء...

طوقت... فافتح الباب... وامتدت يد تحمل حافظة سقطت حين الهجوم
عبر فتحة متبقية بعد أن كاد ينفلق بعنف من جديد...
نظرات... وامتد حمرة تزحف عبر تقاسيم الوجه المتفغن... انتشلت
الحافظة... بضع كلمات قد لا تعني شيئاً... وانفلق الباب... بضع
ساعات وكان الموعد... شبح ابتسامة تردد على استحياء... وهو
وتسماق وانتشبي... والأمل الذي رابط دون كلل توج بالنضير
الحين... ستراما في الغد طبعاً... وفي كل الأيام... ستتفتح تلك
الجاهل... ستحاكيها عن بلد بعيد غادرت... وعن شوق جامع إليه...
و... عنها... وعن سبب إقامتها عندهم... نعم... سيسترد كل شيء...

ستعترق نياية عن الشاب الأسمر ذي الشعر الطويل الأجدد... ذلك
الذي يخلق المشاحنات كل يوم... ستحكي عن مأساة والديه اللذين
أنت بهما الحاجة للسواعد في بلدنا قبل الفاقة والفقر في بلده... ولن
تغفل الحديث عن جهلها وذريتها بالدنيا...

وستحاول أن توضح أن ذلك البعد عن ذلك الدين هو سبب
مأساته... ومأساة تلك الأسرة التي تنطلق صرخات ابنتها كلما جن
الليل... وستتوقف طويلاً... ثم مطولا ولن تتسوائى... ولن
تختصر... ستفسر الفرق بينهما ريت عليه تلك الفتاة من موروث
تقليدي ذهب أدراج الرياح حينما غابته قيم جديدة... وبين المبادئ
الحقيقية للدين التي كانت تستصمد... لو أن الأب كان يعرفها ولقنها
لغة كبد... وجنبها حينذاك الصدام معه... والضياغ على قارعة
الزمان والمكان...



وستعتمد نياية عنه أيضا... ذلك الأب الذي يتوسل
الرباء... يمشي يجر وراءه جسدا متلاشيا... وروحاً تائهة... و
هوية تآثرت أجزاؤها عبر أهات السنين...

ولن تنسى تلك المرأة الشابة ذات الوجه المصبوغ...
ستحكي... تماماً كما حكى لها... كيف استقدمت جسدا سلعة
لتوثق فضاء ذلك العجز المتصاني...

وكيف رويضت حين أعيائها عجزه... ثم كيف اندلقت على قارة
الطرقا...

وستؤكد إن ذلك الدين هو ما ينقصها هي أيضا... لم تعرف منه
إلا الفات هناك... وفقدتها هنا عند أول هبة ريح...

ستعتمد... وستفعل ذلك مرارا وتكرارا... لن تمل... وستعتمد
لأنهم فعلا سفراء الإسلام... لكن لم يحسنوا تمثيله... وستطلب

منها حتما أن تتخذ لهم العذر هي أيضا... يجهلون هذا الدين
الخاتم... فقدوه بفعل قلة تعهد الأئمة وانصرام السنين... و

أفقدوه... وهذا ما سوف لن تتجمل حين الحديث عنه... من طرف
آباء وأجداد لها تكالبوا على بلدانهم مستعمرين... نهبوا

الخيرات... واستعبدوا الطاقات... وأفقدوا الهوية... وعملوا
على طمس ما تبقى من مبادئ الدين منعا للانبعث وتكرسا

للتبعية...
والأمر لا يبدو بعد كل هذا سهلا... خسوانية... محترمة من ريق

الدين... وتسمية "أفيون الشعوب" كما أخبرتها إحداهن في
الكلية حيث تدرس هي، وتعمل الأخرى... لا تؤمن بشيء... و

تتسائل من كل شيء... وأي شيء...
لكنها بالرغم من كل شيء... ستحاول... وستحاول... وإن رأت

أنها قد تستوعب المزيد ستضيف... ستعديتها عن الفرق بين
الدين وبين أتباعه... وستدل على ذلك بما هو سائد هنا... لن

تغفل الصديق عن الجار في الطابق الأول... يضع في عنقه
صليباً لكنه لم يزر كنيسة في حياته كما حكى هو عن نفسه

لزوجها يوما حين تحدثا طويلا عن الدين، بعد أن اندلع أوار
الغدا حين نشرت تلك الرسوم...

ثم... كادت أن تنسى... لسوف تحدثها عنه... ذلك المتهمة
جاشاشاء... المشنع عليه جاشاشاء وجاشاشاء... الرحمة

المهداة... ستقول الله صلى الله عليه وسلم سيتبرأ منهم هؤلاء
الذين تكرهينهم من أجلهم... نعم هذا ما سوف تقوله لها... و

سنتقلها أولا... وترهن على أن المتبع غير مسؤول عما ابتدع
الاتباع التائهون...

ولسوف تحكي بعد ذلك عنه صلى الله عليه وسلم... ستفسر
أنه الرحمة للعالمين... وأنه... وأنه... وأنه لولاه لكان

الناس في بيحور مظلم...
وأنها لو كتبت لها أن تعيش وترادفها ارتضت بديلا عن العيش

بين المسلمين... ستتذكر إليها بشرز حتما... طبعا... ستتسائل
كيف يمكن أن تحب هي - وبينة الحضارة - التي بين بدو

متخلفين؟؟؟
ستحكي لها عن الليل يسقي بنور الغربة... فغتمساق منها

النباتات متسارعة كلما تآجج بركان الحنين... ليل ينساب
ببطء... ونهار ضوضاؤه هجمات تخلف ندوبا لا يعلم لها مكان

فتحس... تنتشر... تتوزع في مناحي الذات توارقها... وترغم
السكنية على رحيل يفسح الفرصة للباس ينشب

أظفاره... فتدعى الكوم كلما عن لها أن تيمم شطر مرفأ الأمل
يشفيها من ألم حزين...

هذه الغربة... وهذا الألم ما كان أبدا يعيشه غير المسلمين أينما
انتشرت تعاليم النبي الرحمة للعالمين... هكذا ستحدث إليها

بحزن... ونغم... وبقين...
شهادات كتب التاريخ... ستسرد لها... لن تغفل أيضا عن

هذا... جهود المينة... أهل الأمة... فلسطين... إيلياء... عمر بن
الخطاب... لن تعرف حتما... لا يهم... يعرف التاريخ... عتيق

الأندلس... أربع حرية في أستانة بني عثمان...
وكذلك رائحة الدم في قبو كنيسة هناك في أندلس جريحة... لن

تعترف... وأشلاء على جدران معسكرات هتلر... ورمصاصات
اخترقت أسمال محمد الدرة قرب جدار العار...

وقد لا تفهم... أو قد يفهمها حق أن تفهم... ستفهم... قد
تغضب... قد ترفض أن تسمع... لكن لم اليأس؟؟؟ ستفهم أنها

تريد أن تنير لها النبراس... لتتظن... ثم قد تقبل أو لا
تقبل... حرة هي... إذ لا إكراه في الدين...

شظايا الضوضاء أياها تنتشر... تمرق أديم فضاء متهاك
منهوك... تنتظر... وتنتظر... والصوت إياه لم يرق... جاب الشقة

لم يفتح...
ومع ذلك قد تسمع... قد تسمع... وقد تبتسم غدا بوضوح

أكبر... نعم... بل وقد تدعوا لحديث... قد يبدأ...
إذا... نعم... كادت أن تنسى... ستخبرها عن ماض أشرق حين

سلطان الدين... ذاك الذي تكره وتود لو ارتحل أهله إلى جحيم
مبين...

أشرق بالنور... انهال زخات... فانبج الصبح... ففاض حتى
أصاب أجداد لها كانوا في حلقة قانزاحت... وعم ضياء أضاء

هذا الآن... وذلك منذ زمن بعيد... وستسرد بحزن كيف انحسر
الضياء هناك حين أقل ضياء الدين...

وستفسر كيف أتت هي فكرة لها حتى منه بقبس... تعود به لعل
قلب الأمة يصطلي... فينبض من جديد... ستطمئنها... لن تبقى

هي... هي على الأقل لن تبقى... سترحل... وسترحل كل الطيور
حطوا هنا كرهين... لكن متى اطمئنا أن الغاصبين الإتين من وراء

البحار انقضوا من حول أوكارهم... فلعلهم آنذاك يجدون بعض
الفتات هم هناك بقيت تفهمهم عن الهجرة من جديد...

صداع... أرق يتلاشى... وسن تسلل في انسياب... وسكون
أغرق طوفان الضوضاء... ستقول... ستقول... وستقول... كل

شيء... وأي شيء... يذيق جاميد الجحيد تعاضب منذ أعوام...
سنيين... لن تلبس... ستفعل ما لا يقدر الشاظ الأسمر أن

يفعل... يجهل كما الأخرى كل شيء... لا شيء ينير دربه قبل
درب الفيز... شرويد... طريق...

ذات صباح

أحمد المؤذن - البحرين

تختلف دائماً كما هذا الوجه. ذليل، كيف تتحاشين
نيش السؤال، كف وجع تحمل غربة وذبول الأ..
هذا السطح القضي لا يعرف الكذب، رغم أن صراخه
فجه ويكشف عن شبح امرأة غريبة لها وجه متعب،
هالات سوداء تحاصر العينين فلا تعزيك مستحضرات
طاولة الزينة الفاخرة وترويجها الإعلاني الكاذب.
خوف عميق، عمق هذه الأخاديد التي أطلت من نسيان
الزمن.. يتسلل بارداً ما أقساه.
ستبحثين عن وجه تعرفينه، أما هذا الوجه المكود فهو
يشبه تعب وجه تلك المرأة التي تقسل سلالم العمارة،
تتحاشين النظر في حزنها.
تختلط أحاسيسك الآن، أحزان الأيام الماضية تستيقظ
ويتضح ما وراء ذلك الضباب، كل تلك المشاعر الغامضة
التي تاه تفسيرها عنك! أنت لست أنت، تتحاشين النظر
إلى شهادة التخرج المصلوقة على الجدار. أرقامها
تذكرك بما مضى من العمر.
سنوات متطاولة مطوية منسية.
تهربين نائمة في الخواء وأنت، أشئ تحترف أمومة ثلاثة
أطفال. ثم أنت. هنا، داخل الجبة، جنبك الصغيرة التي
شيدت أسوارها الخضراء، جنة جميلة يخفر بابها رجل
بحبك.
حقا بحبك»
تعاودين تفقد وجهك المسكين على صفحة المرأة، يغطي
دخاں السنوات التي احترقت، فكيف لا يكون الرماذ
وجبة الريح التي لا تهدأ! هذه تلاوين الخيبة، مرارة
وقحة تفضح الخطوط الدقيقة تكبر بك في مساحة
الوجع، عمر تكابدن مفاجئته.

ستارة نصف مفتوحة، شعاع الشمس يتسلل مخترقاً لوح
الزجاج البارد، فيستيقظ نوم الأشياء الساكنة. مزهية
تحتضن وردة على وشك الذبول، يغسلها الشعاع، يمر في
طريقه على إطار بلاستيكي مذهب الزوايا، يكتنز بين
أضله الأربعة، زوجاً حنوناً مع ثلاثة أولاد.
وأنت، يحتويك مقعد أثيق وفي حضنك طفلة بريئة الحلم
تصفق.

فوضى الضوء تملأ الغرفة، تستيقظين، الستارة نصف
مفتوحة، ساعة المنبه متوقفة.

تأكل الوسادة نصف وجهك والشعاع كما هو، يعاند
سكنية المكان، وبلا فائدة، إنها الستارة. إعلانيها
أفضل، ثوان وترجع غلالة العتمة أو بعضها. ففي هذه
اللحظات الصباحية النور أفضل، بعد هدوء ضجة
المطار القريب.

ترك دفء الفراش من أجل هذه ال.. تتأججين فتصطادك
المرأة.. تتوقفين.

ليس ككل مرة وثقة الاستسامة غرك مرسوم بناية،
تعرفين كل شي.. ليدخل شعاع الشمس، دائماً الأمور
نحتاج إلى تفقد، هذا الوجه لا يبدو أنك وثقة منه
ودهشة خوفه.

لحظة متعردة من الارتباب، وهذه المرة ليس شعرك بعد
الحمام تعلية هوملة وردية تحففيه على مهل وتغنين.
أبداً ولبست شفتيك ترسمينها بقلم روج جديد
استعداداً للتدية دعوة صديقة

هذه مفاجئة لا قبل لك بها نلش صباحك وأنت واقفة
أسماكك تتحسس قلق وجه لا تعرفينه»

وجه امرأة أخرى تتدفبن إلى مسام الوجه، الأشياء.



مباشرة بالضيق نفسك مهزومة ومتهوية
الدياسات ربما ستحطمين صراحة المرأة أو تمزقين
هذا الوجه!!

سوف تلاشي هذه الأفكار، مجرد هلوسة لعينة ستفنين
غبارها بعد حمام الصباح، كلها خريشات تافهة، الحمام
يكفل تخليصك منها. وتعمل يدك في تعرية هذا الجسد،
يقف تحت رذاذ المرشاش، روح تجدد صحوها وتنشعش
لحظات ثم لحظات.. لكن..؟

تضطادك على غفلة منك امرأة الحمام، لاملأ كرهت
شكلها، ذات مرة اعترضت عليه، وكيف قرر لوحده
جميعها وشكلها.

لم يأخذ رأيك بشأنها، تكرهينها، وتودين لو تحطمينها،
كيف تجرؤ على التطفل على خلوتك، متفطرة تسديك
سخريتها المرة.

هو ذا صدرك تتجمع فوقه قطرات الماء المنهمر، صدر بار
عليه الترهل، يفارق لذعة جنون الأمس، ويا أمس، أنهيت
فرحك ورحلت.

وبقايا الألم شهقة ينفلت إسارها هلعاً من أن..

هو لم يتغير وما زال من السهل إثارتها

هذا الصدر أسير يديك، رجل وكما كان، يحبك ولا تزالين
خبرات جنته أنى أشتته شرها يصبل، لكنه يدخل صامتاً
والصمت محيف.

بالإيام الماضية كم أسامت إلى نفسك وتمادت في
قسوتها، تبحثين عن مفاجآت الأبراج وتقوين عيباً
فصول الجنة التي تنوي، جنة لم تعد كذلك وتحسدن
عليها!

وجهك يتواصل في التصاق الخوف يتشبث بسطحها،
تأخذ كل تفكيرك بلا هوادة، ثم تبكين وتهزينها بعنف،

تطالبينها باسترداد وجهك حيث جمده فلاش الكاميرا
في الإطار البلاستيكي.

يا أمات الحسرة تنوقين طعامها، تعرفين تقاطيع الوجه،
مفضوح الآن بلا مكياج، حتى أنك تفارين إلى حد
الغضب من أنثى غلاف الصابون، مغرورة بشكل. لا
يصدق تحديقك بتعال!

مزقت الغلاف وتساقطت أشلائه لكن.. لكن الشريرة
تقف خلعت وجهها عار مكشوف في المرأة تتحداك فلا
تضامين بضارتها وهي تؤكد أنها أجمل منك ولا يمكن
المقارنة بين إطلالة قمر وقطعة حشب!

بخفتي شبحها، أنت لا تصلين إليها وتهزين المرأة.

عنفية دموع مهزومة الروح، تهزين وتهزين، توشمت إلى
شظايا نجمية، فتقر صيحات فزعك، جلبت صنيحاته وهو
متوتر يأكله الفرع أيضاً، طوقاته على باب الحمام
متعجلة. متوترة، مستفسرة.. (هنا، هنا، حبيبتي أنت
خير هنا، أحبيبي) باب الحمام مفتوح كما جروحك
مفتوحة لإسعافات عطف.

يحتويك بذراعي بوجهه يختلط فيه الخوف ويضحك!
بنشل دموع. تتعاضن حين يقول (تعرفين هنا، شكلك رائع
وأنت مبللة تثيرين جنوبي - كأنك مراشدة تحت المطر).

ترجعين طفلة ويا لحبانه، تحتشد كل الدهشة المخرونة
في وجهك والكلمات متقطعة على لسانك.. (وأنا مازال
حبيبك وأم عياك).

ما أروع بهاء اللحظة، كل الحرائق تنطفئ، ما أطفئ
مراقي العودة، لك تكوين جديد يعود.

ظافرة بقلبه كأول مرة، كأول لقاء كأول موعد، تحبينه
أكثر، تتشبهين به أكثر. يحتويك بذراعيه وسررك إغفاءة
خضراء من راحة وأمان.



« ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين »
الماء عصب الحياة
فحافظوا عليه ولا تهدروه

حال منهل

مجلة للأدب والعلوم والثقافة

مع تحيات .. دائرة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي (جدة) رمز بريدي ٢١٤٦١ - ص.ب ٢٩٢٥ - هاتف : ٦٤٣٢١٢٤ - فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣

WWW.al-manhalmagazine.com عنوان الموقع E-mail: info@al-manhalmagazine.com البريد الإلكتروني

القديس روجيه
للقدیم روجيه



للقدیم روجيه



رمضان في المدينة

الخالدة [طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى] ليكون هذا القرآن هدياً ونوراً للعالمين. كذلك اختار الله طيبة طيب الله ثراها لتكون مأوى الإيمان ورمضان في المدينة لا يعادله رمضان في أي مكان من العالم الإسلامي إلا روعة رمضان بجوار البيت الحرام. ويتميز صيام رمضان في المدينة بشغافية روحية خاصة يستشعرها المؤمن ويعجز القلم عن وصفها وتصوير الأجاسيس والرضا الإيمان في رياض الجنان كيف لا وأن في المدينة المنورة الروضة الشريفة البقعة الوحيدة على وجه الأرض من رياض الجنة. ولا يعدل خلاوة الإيمان والخشوع فيها إلا الوقوف عند الملتزم بجوار الكعبة حيث هناك تسكب العبرات وقد سجل التاريخ

اللهم هذا شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وهذا شهر الصيام وشهر الإنابة والمغفرة والرحمة وهذا شهر العتق من النار والفوز بالجنة وهذا شهر فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر اللهم فامن علينا فيه بالعفو والعتق من النار واجعلنا من سعداء خلقك بمفرتك. الحديث عن هذا الشهر الكريم متعدد الجوانب وقد اختاره الله من بين سائر الشهور لحكمة يعلمها وخصه بمزايا انفرد بها عن بقية العام كما اصطفى سبحانه من الملائكة رسلاً واختار سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وأرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً وخصه بالقرآن الكريم المعجزة



أهلَ بشهر رمضان

أهلاً بشهر اليمن والإيمان
والسعد والخيرات والغفران
يا مرحباً بالصوم والصلاة
ومرحباً بمؤنس الحياة
وموقظ الأرواح بالانكار
مع اختلاف الليل والنهار
يا بهجة الأثوار في الليالي
بالنكر والتعجيد والاجلال
الله قد خصك بالفرقان
فيك الهدى نزل للإنسان
الصوم فيك صحة الأبدان
والعزم بالتقوى وبالإيمان
فلنعم بالمسكين والمريان
تقريهما بالرغد والإحسان
يا رب وفقنا إلى الصيام
واكتب لنا الأجر مع الأنام

السيد أحمد السنوسي - جازان
المنهل (رمضان ١٤٢٨هـ / يناير وفبراير ١٩٦٤م)

والعلماء وصفاً حياً لما يتم في المسجد النبوي الشريف من إقامة رمضان وذلك بصلاة التراويح والتهجد وما يلمسه المسلم في الأيام الأخيرة من شهر رمضان في الروضة الشريفة لما يعجز الإنسان عن التعبير عنه. ففي ختم القرآن وصلاة التهجد ترتفع الأصوات بالأدعاء وتسكب عبرات الندم والتوجه ويذوق الإنسان حلاوة الإيمان ويزيد المسجد النبوي والجوار الكريم مقام هبة وجلالا ويستشعر الإنسان قوة الإيمان ليفود بذاكرته إلى مهبط الوحي حيث كان ينزل جبريل بالوحي على سيد الخلق.

ولم تنقطع إقامة صلاة التراويح في المسجد النبوي طيلة التاريخ الإسلامي وقد أرخ لها فضيلة الشيخ عطية محمد سالم في مبحث جيد في منهج عام لدراسة واسعة عن المسجد النبوي لمنزلته في الإسلام دينياً ولأن التراويح ارتبطت تاريخياً بالمسجد النبوي لأنها من إحدى خصائصه وأول ما شرعت فيه ولأن المسجد النبوي أولى بهذا التسلسل التاريخي على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم وإنني لأمل من الأخوة/ الباحثين والمؤرخين استكمال جوانب البحث عن صلاة التراويح في العالم الإسلامي.

اللهم أعنا على صيام رمضان وفقنا لقيامه واجعل لنا فيه عوناً على مانبئتنا إليه من مفترض طاعتك وتقبلها إنك الأكرم من كل كريم. اللهم سلمنا لشهر رمضان وتسلمه منا وسلمنا فيه حتى ينقضي عنا شهر رمضان وأسد من تعبد لك فيه واجعل صيامنا مقبولاً وبالحق والتقوى موصولاً واجعل قيامنا مبروراً وقرآننا مرفوعاً ودعائنا مستموراً حتى ينقضي رمضان وقد قبلت أعمالنا فيه واجعلنا اللهم فيما تقضي وتقدر من الأمر المحتوم وعنتها تفرق من الأمن الحكيم في ليلة القدر من القضاء الذي لا يزد ولا يبذل من عتقناك من النار. ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وفقنا عذاب النار.

د. محمد زيان عمر - جدة
المنهل: (رمضان ١٤٢٩هـ / سبتمبر ١٩٧٥م)

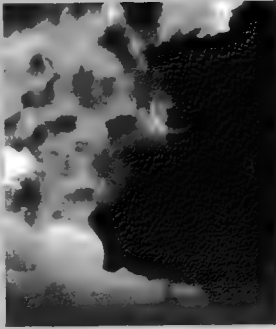
من آثار رمضان

كان الناس يصلون التراويح عشرين ركعة ما عدا الوتر، ثم تسامع الناس أن التراويح والوتر فقط إحدى عشرة ركعة والزيادة لا أصل لها. وحصل بين المصلين في المساجد خلاف في هذا الأمر، فئات يصرون على العشرين وآخرون يرقضون ذلك ويقولون ما دامت الزيادة لا أصل لها فلماذا نجهد أنفسنا وتصليها. وكان الذين يرقضون الزيادة يستندون على البحث الذي أذاعه العالم المحدث الفاضل الشيخ ناصر الدين الألباني في تضعيف حديث ابن خزيمة. وكان الذين يصلون العشرين يستندون على اجتماع المسلمين على صلاة العشرين في مساجدهم منذ فجر الإسلام إلى اليوم. حتى إنهم ذكروا أن عمر بن عبدالعزيز كان يصلها ستاً وثلاثين ركعة.

نعم جاء في الحديث الذي رواه الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في جوف الليل من ليالي رمضان وهي ثلاث متفرقة ليلة الثالث والخامس والسابع والعشرين وصلى في المسجد وصلى الناس بضلته فيها وكان يصلي بهم ثمانين ركعة، ويكملون بأقيها في بيوتهم فكان يسمعون لهم أزيز كأزيز النحل.

فنجد أن النبي بين التراويح وأما عدد العشرين فقد جاء من إجماع الصحابة على ذلك في زمن سيبينا عمر رضي الله عنه، ففهم أنهم لم يكونوا يقتصرين على ما صلوه في المسجد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كانوا يزيدون وعرفت هذه الزيادة بإجماعهم عليها في





ليلة شتوية في رمضان

عوت الرياح بجانب الشباب
وتسللت من ثغرة الأسلاك
واجتاح جسمينا هواء بارد
وخزاته في الجسم كالأشواك
كنا أنا ومرافقي في غرفة
متقابلين كعمش نساك
أغراضنا من حولنا موضوعة
في منظر متضاحك متباكي
قال الرفيق وقد تعالي صوته
حتى متى سنظل كالأسماك؟
قلت: ابتسم يا صاحبي فبقاؤنا

سيطول حتى مدفع الإمساك

مضج السيد - يندر

المنهل (نو القعدة ١٤٢٨هـ / أكتوبر ١٩٧٨م)

زمن عمر دون خلاف ومواصلة ذلك في مسجد
رسول الله إلى عصرنا هذا

ومع ذلك كان لتضعيف حديث ابن خزيمة في
مسألة ثبوت الزيادة إلى العشرين مع استمرار
المسلمين عليها عملياً، أثر كبير في ترك جمهرة
من أئمة المساجد الزيادة في عصرنا هذا.

لذلك أجد الرسالة التي أذاعها فضيلة العالم
الفاضل الشيخ إسماعيل الأنصاري في
تصحیح حديث ابن خزيمة الذي يثبت جواز
الزيادة إلى العشرين، لها قيمتها العلمية من
حيث أن كثيراً من المصلين الجاهلين أخذوا
ينسبون إلى سيدنا عمر ابتداء مسألة الزيادة
إلى العشرين، والواقع أن كل ما صنعه سيدنا
عمر أنه جمعهم على هذا العدد الذي يدل أنه
معروف لهم حيث لم ينكروا عليه ذلك.

لذلك أرجو من سماحة المفتي الأكبر الشيخ
محمد بن إبراهيم أن يأمر بتوزيع هذه الرسالة
إلى أئمة المساجد في العالم الإسلامي لما فيها
من النفع الكبير وإزالة أسباب الخصومات التي
تقع بين بعض المصلين والأئمة الذين اعتقدوا
بتحريم الزيادة.

كما أشكر الصديق المواطن العالم الفاضل
الشيخ إسماعيل الأنصاري على اهتمامه
بارتجال هذه الرسالة إليّ، لأنها كشفت غمة
وأزاحت خلافاً، وقررت حقيقة، وفق الله الجميع
لخدمة الإسلام والمسلمين.

هاشم دقتردار - بيروت

المنهل (نو القعدة ١٤٢٨هـ / مارس ١٩٦٥م)

الاغتراب

قاسم ماهر رضا - ألمانيا

الاغتراب ظاهرة يترك فيها المرء محبوبة ليعيش بعيداً عنه حينئذ إليه، لا تنفك عنه لحظة إلا وقد تذكره بمرارة شديدة وتتمنى بكل جوارحه وإحساسه العودة إليه، لكنه لا يستطيع ذلك لحائل يقوى على مشاعره وأحاسيسه وبالتالي فهو في ألم دائم لن يطاق، وتمنّ مرهف لن ينال. وإذا زال الحائل انتهى الاغتراب.

الاغتراب وحشة يشعر بها الفرد في داخله. ويقاسي ألماً بعد ألم وقلقاً بعد قلق.. وهذا الألم وذلك القلق يقوده إلى أمراض عضال، والخلاص منها شبه محال، وباليته من أصولها تزال. وإذا أدام الاغتراب قلبه مقال وألف مقال.. الاغتراب فراق عن الوطن والأهل والأقرباء والحبيب. والاغتراب ترك المحبّ لحيبته رغم أنفه... الاغتراب شمس غريت وقمر لم يبرز، فهو ظلمة كحلاء. بل هو ظلمة بعضها فوق بعض، يكاد لن يرى دنياه إلا من مقتربه. الإغتراب ليس بالتمنّ الآجل ولا بالحلم العاجل.

الاغتراب كما أنه ليس له يمين ولايسار كذلك ليس له فاجر ولا بار. ومن ثم فإنه إغتراب قلب ولا محال. الاغتراب أنشد عنه الشعراء في أجمل أشعارهم وغنى له المغنين في أكثر أغانيهم. وسطر له الكتاب أروع سطورهم.

والاغتراب قدر ليس لليد فيه حيلة، ولا للقلب فيه حصيلة، ولا للعقل فيه وسيلة. والاغتراب يبلغ عند النسوة أوجه، فهو بكاء وعويل. ليس فيه أي جميل. أوله أزمة وآخره شقوة. وأوسطه فيه بعض السلوى. وللإغتراب عند الرجال حكاية. فمنهم به يتقوى فكره فيصبح من أولي العقل والنهى، ومنهم من يعظم شاته فيصبح من أهل السياسة والدولة. ومنهم من يهتدي قلبه ويصبح من أهل الدين والقوى، ومنهم من يضل قلبه فيصبح من أهل الكرب والهوى.

ومع ذلك فبالإغتراب ناس تموت وناس تحيا، وناس بين الموت والحياة تبقى. فبالإغتراب أرواح تسمو وأرواح تنفى. وأرواح بين هذا وذاك تسعى. لا شر للإغتراب بالا. فالكل عنده يتساوى. وأنسى الأيام يوماً بعد يوم. وأزل الهموم هما بعد هم. واجعل لدينا عندك مغزى، وفي الآخرة لك ما هو خير وأبقى.

فلاغتراب ألوان وأشكال. أما لونه فأسود قاتم، وشكله لا طويل ولا أقزم. أما فلغرية الوطن سبق وعنها قد قيل، ولغرية الديار لا طريق ولا سبيل. للحيبيب فيها شعر وقصيدة. للطبيب فيها دواء ونصيحة. وأعلم أن للاغتراب تاريخ وجغرافية وحساب. فتاريخه منذ آدم. فهو ليس بميلادي ولا هجري، ولكنه أصيل كإنسالة بشر وأدمي. أما جغرافيته، فهو ليس بجبل كي يو صف ويرسم، ولا ببحر كي يقطع ويعبر، .. ولا ببلد كي يترك ويهجر، فهو إنقاء القلب والاحساس عند بحر العين، بدموع يذرفها وهو متأس وحزين. أما حسابه فهو حساب لا فيه قلم ولا دفتر، بل هو أشد وأعظم وأكبر. إنه حساب فيه اليوم كالشهر، وكذلك الدمع كالبحر، والحزن دؤوب كالنهر. لا يحتوي لا على جمع ولا تربيعة، ولا ضرب ولا تكسير، ولا طرح ولا باق، ولا قسمة ولا إشارة، فهو حساب عمر، وباليته من عمر.

للاغتراب غربة، فهو ليس بغربة وطن كما قلنا، ولا بغربة حبيب كما أسلفنا. غربة فوق الغربات، وإهات فوق الأهات. كما أن الأم والوطن والديار واحتمال وشكايات. إنها غربة لا تشبه أخواتها الاخريات .. إنها غربة دين وإسلام. وإنها من آخر الأزمان. فيه الناس يأمرون ما لا يؤمر، ويتكرون ما لا يتكر. وهذا هو الختام الذي عنه، قال سيد الأئمة (عليه السلام) يقول: (طوبى للغرباء). نعم طوبى للغرباء، وللغرباء منا ألف سلام.

شروط المسابقة:

- الاجابة عن جميع الاسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل الا الاجابات المدونة على القسيمة المرفقة
- يحق للمشارك الاشتراك باكثر من قسيمة لزيادة فرص الفوز.
- لا ينظر الى القسائم المصورة.
- ارسال الاجابات خلال ٦٠ يوماً من صدور العدد.

- يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة ويكتب على الخرف البريد «مسابقة المنهل الثقافية»



طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من المشاركين.
- يتم استبعاد القسائم ناقصة الاجابة.
- تجمع القسائم الصحيحة الاجابات ويعمل لها قرعة لاختيار الفائزين.
- ترسل الجوائز الى اصحابها فور الوصول الى النتيجة وتدفع بالريال السعودي او ما يعادله.

جوائز المسابقة

الاجائزة الاولى: ١٠٠٠ ريال	الاجائزة السادسة: ٢٠٠ ريال
الاجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال	الاجائزة السابعة: ٢٥٠ ريال
الاجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال	الاجائزة الثامنة: ٢٠٠ ريال
الاجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال	الاجائزة التاسعة: ٢٠٠ ريال
الاجائزة الخامسة: ٣٥٠ ريال	الاجائزة العاشرة: ١٥٠ ريال

الاسم : _____ السن : _____
العنوان : _____

المنهل

نتيجة سحب جوائز مسابقة المنهل الثقافية

نتائج العدد ٦٠٧

الفائزون:

السعودية	الجائزة الأولى : حسن محمد الحسن
السعودية	الجائزة الثانية : عطية حامد بلو
سوريا	الجائزة الثالثة : أيسر عمر الشلهبي
مصر	الجائزة الرابعة : مجدي إبراهيم محمود
الأردن	الجائزة الخامسة : مريم وجدان
المغرب	الجائزة السادسة : نوح محمد كزمان
تونس	الجائزة السابعة : خديجة بوراسي
الإمارات	الجائزة الثامنة : موزة العويد
السعودية	الجائزة التاسعة : خلف المحلاتي
الكويت	الجائزة العاشرة : فرج فراج العنزي

لطفًا: رجاء كتابة رقم المسابقة على الظرف

ترسل الاجابات خلال ٦٠ يوماً من صدور العدد

ستنشر نتائج مسابقة المنهل الثقافية لعدد (٦٠٨) في العدد (٦٠٩) ٠٠ وذلك لاتاحة اكبر فرصة للمشاركين .

قسيمة مسابقة العدد (٦٠٨)

ضع علامة ✓ امام الاجابات الصحيحة .٠

١ . يوافق ذكرى اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية:

☐ غرة الميزان من كل عام

ابحث عن الاجابات داخل هذا العدد...

عرض خاص

بعض كتب

عبد القدوس الأنصاري

• التوأمان (أول رواية سعودية).

• آثار المدينة المنورة.

• طريق الهجرة النبوية.

• الانصاريات.

• اصلاحات في لغة الكتابة والأدب.

• أدبنا الحديث.. كيف نشأ.. وكيف تطور.

للحصول على هذه المجموعة

فقط بـ ٨٥ ريالاً

يرجى الاتصال على :

٠٢٦٤٣٢١٢٤

مع تحيات .. دائرة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي (جدة) رمز بريدي ٢١٤٦١ - ص. ب ٢٩٢٥

هاتف : ٦٤٣٢١٢٤ - فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣

البريد الإلكتروني : E-mail: info@al-manhalmagazine.com

عنوان الموقع : WWW. al-manhalmagazine.com





تقبل الله صيامكم



مجموعة بن لادن السعودية
SAUDI BINLADIN GROUP